نثر الجواهر المضيَّة

على كتاب

أمالي في السيرة النبوية

للعلامة

حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله

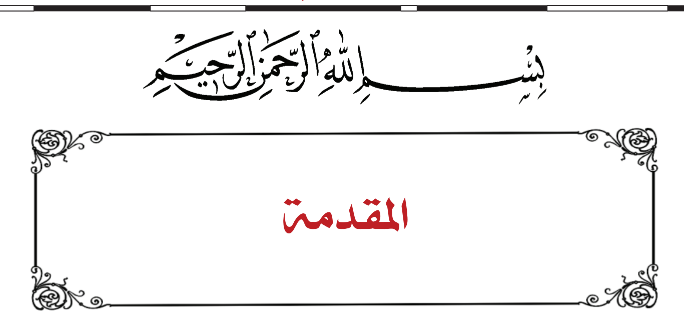
المتوفى (١٣٧٧هـ)

تأليف

أبي همام

محمد بن علي الصَّومعي البيضاني

عفا الله عنه بمنه وإحسانه



المقدمة

الحمد لله محلِّي محاسن السُّنَّة المحمدية بدرر أخبارها، ومجلِّي ميامن السِّيرة النبوية عَنْ غرر آثارها، ومؤيد مَنِ اقتبس نور هدايته من مشكاة أنوارها، ومسهِّل طريق الجنة لِمَنِ اتبع مستقيم صراطها، واهتدىٰ بضياءِ منارها، ومذلِّل سبيل الهداية لِمَنِ اقتفىٰ سرائر سيرها، أحمَدُه علىٰ ما أولىٰ مِنْ نِعَمٍ قَعَدَ لِسَانُ الشُّكر عن القيام بمقدارها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً تُبَلِّغُنا من ميادين القبول غاية مضمارها، وتسوغنا من مشارع الرحمة أصفىٰ مواردها، وأعذب أنهارها.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي ابتعثه وقدْ طَمَّت بحار الكفر بتيارها، وطَغَت شياطين الضلال بعنادها وإصرارها، وعتت طائفة الأوثان وعَبَدة الأصنام علىٰ خالقها وجبارها، فقام بأمره حتىٰ تجلت غياهب ظلماتها عن سَنَا أبدارها، وجاهد في الله حق جهاده حتىٰ أسفر ليل جهلها عن صباح نهارها صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه الذين حازت نفوسهم الأبيَّة من مراضيه غاية أوطارها، وفازت من سماع مقالِه ورواية أحوالِهِ ورؤية جلالِه بملءِ مسامعها وأفواهها وأبصارها، وسلم تسليمًا كثيرًا.[(١)]

(١) "عيون الأثر" (١/ ٩) بتصرف يسير جدًّا.

أما بعد:

فإن خير ما يتدارسه المسلمون ولاسيما الناشئون والمتعلمون، ويُعنَىٰ به الباحثون والكاتبون: دراسة السيرة المحمدية؛ إذ هي خير معلِّمٍ، ومُثَقِّفٍ، ومهذِّبٍ، ومؤدِّبٍ، وآصلُ مدرسةٍ تخرَّج منها الرعيلُ الأوَّلُ من المسلمين والمسلمات.

ففيها ما ينشده المسلمُ وطالبُ الكمالِ من دينٍ ودنيا، وإيمانٍ، واعتقادٍ، وعلمٍ، وعملٍ، وآدابٍ، وأخلاقٍ، وسياسةٍ، وكياسةٍ، وإمامةٍ، وقيادةٍ، وعدلٍ، ورحمةٍ، وبطولةٍ، وكفاحٍ، وجهادٍ، واستشهادٍ في سبيل العقيدة والشريعة، فما أجدرَ المسلمين في حاضرهم رجالًا ونساءً، وشبابًا وشيبًا أن يتعلَّموها، ويعلِّموها غيرهم، ويتخذوا منها نبراسًا يسيرون علىٰ ضوئه في تربية الأبناء والبناتِ، وتنشئة جيل يؤمن بالله ورسوله، ويؤمن بالإسلام وصلاحيته لكلِّ زمانٍ ومكانٍ، والتضحية بكلِّ شيء في سبيل سيادته وانتشاره، لا يثنيهم عن هذه الغاية الشريفة بلاءٌ، وإيذاءٌ، أو أطماعٌ وإغراءٌ.

لسنا نريد من دراسة السيرة العَطِرة: سيرة النبي ﷺ، وسيرِ الرَّعيل الأوَّل وهم الصحابة الكرام أن تكون مادةً علميَّةً يجوز بها طلابُ العلم في المعاهد والمدارسِ والجامعاتِ الامتحانَ، أو الحصول علىٰ الإجازاتِ العلميةِ، أو أن تكون حصيلةً علميةً نتَفَيهَق ونتشدَّق في المحافلِ والنوادي، وقاعاتِ البحثِ والدَّرس وَفِي المساجدِ والمجامعِ؛ كي نحظىٰ بالذِّكر والثناءِ، وننتزعَ من السَّامعينَ مظاهرَ الرضا والإعجاب.

ولكنا نريد من هذه الدراسة أن تكون مدرسةً نتخرَّجُ فيها كما تخرَّج السادةُ

الأوَّلون، وأن نكون مُثُلًا صادقة لصاحب الرسالة ﷺ، وصحابته الكرام -عليهم الرضوان- في إيمانهم وعقيدتهم، وَفِي علمهم وعملهم، وأخلاقهم، وسلوكهم، وسياستهم، وقيادتهم؛ حتىٰ يعتزَّ بنا الإسلامُ كما اعتزَّ بهم، ونكون في حاضرنا كما كانوا خير أُمَّةٍ أخرجت للناس.(١)

وقد كَتَبَ علماؤنا -رحمهم الله- في سيرة نبينا الأعظم ﷺ جيلًا بعد جيلٍ ما بين متوسع ومختصر، وشارح، وناظم، وممن شارك في ذلك شيخ مشايخنا العلامة حافظ بن أحمد حكمي رَحِمَهُ اللهُ، فكتب سيرةً مختصرةً كان يمليها علىٰ تلامذته علىٰ صيغةِ السؤال والجواب كما فعل في بعض كتبه مثل "دليل أرباب الفلاح"(٢)، و"مختصر دليل أرباب الفلاح"(٣)، وغيرهما من كتبه، وله كذلك "منظومة في السيرة" ضمن منظومته "نيل السُّول من تاريخ الأُمم وسيرة الرسول ﷺ".

فلما وقفت عليهما أُعجِبتُ بهما كثيرًا، وحينئذٍ عزمت علىٰ العمل فيهما؛ فاستعنت بالله علىٰ ذلك، فكان كما يلي:

١) عَمَدتُ إلىٰ السيرة النبوية ذات السؤال والجواب، وقمت بنسخها، وما أشكل علي في المخطوط رجعت إلىٰ المنظومة أتأمل فيها؛ فإن ظهر لي ذلك قيَّدْتُه؛ فإن لم يظهر سألت عنه فضيلة شيخنا علي بن قاسم الفيفي حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَىٰ؛ لأنه هو الذي خطَّ المخطوط وقد أفادني -جزاه الله خيرًا- وهو من

---

(١) "السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة" لأبي شهبة (١/ ١٩) بتصرف يسير جدًّا.

(٢) وهو مطبوع بتحقيقي.

(٣) وهو مطبوع بتحقيقي.

تلامذة المؤلف.

٢) أذكر الأدلةَ علىٰ الإجابة التي يذكرها رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأنَّ طريقته أنه يذكر السؤالَ ثم يذكر الجوابَ، ويكون الجوابُ مجردًا عن ذكر الدليل؛ فأذكر الأدلةَ التي هي مستنَدُه في هذا الجواب.

٣) إن كانت هذه الأدلة في "الصحيحين" ذكرتها، أو أذكر الشاهد منها، ثم أعزوها إليهما، أو إلىٰ أحدهما، كأن تكون عند واحدٍ منهما دون الآخر.

٤) إن كانت خارج "الصحيحين" أذكرها، أو الشاهد منها، ثم أحكم عليها بالصحة، أو الحسن، أو الضعف حسبما تقتضي قواعد علم مصطلح الحديث، وقد يكون ما استدلَّ به مذكورًا في كتب السِّيَر بدون سندٍ، فأذكره أو أذكر الشاهد منه، ثم أذكر أنه عند فلان بدون سند.

٥) بعد أنْ أذكر ما تقدم أذكر الشاهد علىٰ ما تقدم من تلك المنظومة؛ فأكون جمعتُ بين النثر والنظم.

٦) وقد أزيد شيئًا علىٰ ما ذكره رَحِمَهُ اللَّهُ في السيرة؛ ومناسبة ذلك إما للفائدة، وإما أنه ذكره في المنظومة ولم يذكره في الأخرىٰ، أعني: النثر.

٧) ترجمت للمؤلف ترجمةً مختصرةً.

هذا بالنسبة للعمل في الكتاب.

توثيق الكتاب وتحقيق اسمه

أما بالنسبة لكتاب «أمالي في السيرة النبوية» فقد ذكره تلميذ المؤلف شيخُنا العلامة زيد بن محمد المدخلي حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى عندما ترجم للمؤلف في مقدمة كتابه «الأفنان الندية»، فقال: وللشيخ حافظ رَحِمَهُ اللَّهُ مؤلفات مخطوطة لمَّا تُطبع بعد... نَمىٰ إلىٰ علمي منها ما يلي:

«أمالي في السيرة النبوية»، وكانت تُملَىٰ علينا أيام دراستنا في المعهد العلمي كمادةٍ من المواد المقررة نثرًا... إلخ.

وأثبت ذلك شيخنا علي بن قاسم الفيفي حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى بخط يده.

وأما بالنسبة لـ«منظومة السيرة» فهي ضمن منظومته رَحِمَهُ اللَّهُ «نيل السُّول في تاريخ الأمم وسيرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، وقد أثبتها شيخُنا زيد حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى في مقدمة كتابه الآنف الذكر، فقال: «نيل السُّول من تاريخ الأمم وسيرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» نظمًا بدأ هذه المنظومة المباركة بذكر بدء الخلق والحكمة من خلقهم، ثُمَّ بذكر إبراهيم الخليل وغيره من الأنبياء العِظَام، والرسل الكرام، ومقاماتهم الرفيعة، وبجانب ذلك تحدَّث عن أحوال الجاهلية الشنيعة، وأتبعها بذكر بزوغ فجر الحياة الجديدة حياة العزِّ والسعادة، حياة السيادة والقيادة في ظل تلك الشريعة التي جاء

بها محمد بن عبد الله من عند الله بيضاء نقية، عالية مضيئة.

وفصل القول في هذه المنظومة في الحوادث والأخبار التي تمت بقيادة رسول الله ﷺ ومعه أصحابه من المهاجرين والأنصار وما في ذلك من العظات والدروس والاعتبار.

إلىٰ أن ختمها بذكر المصيبة العُظمىٰ والفاجعة الكبرىٰ: مرض رسولنا الكريم محمد الناصح الأمين عليه من ربِّه أفضل الصلاة وأزكىٰ التحية والتسليم، ثم انتقاله إلىٰ الرفيق الأعلىٰ بجوار الرب الرؤوف الرحيم؛ فإن الله وإنا إليه راجعون... إلخ.

وكذلك أثبتها شيخنا علي الفيفي حفظه الله تعالى كما تقدم.



وصف المخطوط

أما بالنسبة لمخطوطتي الكتابين فهما مصورتان عن نسختين موجودتين بـمكتبة صامطة السلفية.[(١)]

فأما مخطوطة "أمالي في السيرة النبوية" فهي في اثني عشرة ورقةً في كل ورقة لوحتان في كل لوحة (٢١-٣٢) سطرًا، كُتِبت بخط نسخيّ جيد، كتبها شيخنا علي الفيفي حفظه الله تعالى، وكان ذلك سنة (١٣٦٦هـ) كما جاء ذلك في آخر المخطوط.

وأما بالنسبة لـ"منظومة السيرة النبوية" فهي مصورة أيضًا عن نسخة موجودة بـمكتبة صامطة السلفية، وعدد أوراقها ثلاث وعشرون ورقة في كل ورقة لوحتان في اللوحة الواحدة (١٧) سطرًا عدا الورقة الأولىٰ فإن عدد الأسطر التي فيها (١٢) سطرًا كتبت بخط نسخيٍّ جيد، كتبها شيخنا علي الفيفي حفظه الله تعالى، وقد طُبعت سنة (١٣٧٤هـ) في حياة المؤلف بمطابع البلاد بـمكة مع منظومة "نيل السُّول".

وقد سميت عملي هذا: "نثر الجواهر المضيَّة علىٰ أمالي السيرة النبوية".

أسأل الله العلي القدير أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأتوسل به إليه أن يُشَفِّع نبيه ﷺ فِيَّ؛ إنه جواد كريم.

---

(١) مؤسس هذه المكتبة هو شيخنا زيد بن محمد المدخلي حفظه الله تعالى، وكان ذلك سنة (١٤١٦هـ).

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحابته أجمعين.

والحمد لله رب العالمين

كتبه

الفقير إلى رحمة ربه القدير

أبو همام محمد بن علي الصومعي البيضاني

اليمني الأصل المكي مجاورةً بمكة المكرمة البلد الأمين

زادها الله تشريفًا

البريد الإلكتروني

abohammam999@hotmail.com



كلمة شكر وتقدير

عملًا بقول نبينا ﷺ: «**لا يشكرُ الله منْ لا يشكر الناس**» رواه أبو داود وغيره بإسناد صحيح؛ فإني أتقدم بالشكر الجزيل بعد شكر الله عزوجل لكلٍّ مِنْ: فضيلة شيخنا علي بن قاسم الفيفي عضو تمييز الأحكام الشرعية بالمنطقة الغربية بالمملكة السعودية سابقًا؛ فقد فرغ من وقته كثيرًا كي أعرض عليه مخطوطة الكتاب النثر والنظم، مع صبره علىٰ كثرة الأسئلة وسعة صدره.

كذا أشكرُ لولده الأستاذ الفاضل: فهد -جزاه الله خيرًا- جهده؛ فقد ساعدني كثيرًا لاسيما في البحث عن بعض أجزاء المخطوط؛ فإنَّ بعضه كان فيه طمس، فيبحث جاهدًا بين أوراق والده بكل صبر حتىٰ يجده ويصوره.

كذلك أشكر أخانا، وصديقنا المفضال الشيخ: أبا سليمان ماجد بن سليمان الرَّسِّي حفظه الله تعالى؛ فإنه ما من كتاب نحتاجه في هذا العمل أو غيره إلا ويقوم بتوفيره؛ حرصًا منه علىٰ خدمة العلم كما عهدناه.

وكذلك أشكر أخانا المفضال الأستاذ: أبا أنس عصام بن عثمان القباطي علىٰ اهتمامه بالكتاب بجودة الصف والتنسيق.

فجزىٰ الله الجميعَ خيرًا، وثبتنا وإياهم علىٰ الحق حتىٰ نلقاه؛ إن ربي لسميع الدعاء.

كلمة فضيلة شيخنا علي بن قاسم الفيفي[١] بإثبات المخطوط

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده،

وبعد:

فقد سألني الشيخ أبو همام محمد بن علي البيضاني عن مدىٰ صحة مخطوط «أمالي في السيرة النبوية»، و«منظومة السيرة النبوية» لشيخنا العلامة حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله تعالى.

والجواب:

أنهما ثابتان لشيخنا حافظ بن أحمد الحكمي، وقد كتبتهما بخطي كما هو مُدَوَّنٌ في آخر المخطوط عام (١٣٦٦هـ)، وبالله التوفيق.

علي قاسم الفيفي

(١٤٢٩/١/٢٤هـ)

---

(١) عضو تمييز في هيئة تمييز الأحكام الشرعية بالمنطقة الغربية بالمملكة السعودية سابقًا.

صورة لكلمة فضيلة شيخنا علي بن قاسم الفيفي بإثبات المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

علي بن قاسم آل طارش الفيفي
قاضي تمييز متقاعد

الرقم: ع/١/٢٩
التاريخ ٢٩ / ١ / ٢٩ ١٤ هـ
المشفوعات: ....

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. وبعد:
فقد سألني الشيخ أبو همام محمد علي البيضاني عن مدى صحة مخطوط أمالي السيرة النبوية ومنظومة السيرة النبوية لشيخنا العلامة حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله تعالى: والجواب أنهما ثابتان للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي وقد كتبها بخطه كما هو مدون في آخر المخطوط عام ١٣٦٦ هـ وبالله التوفيق.

علي قاسم الفيفي
علي بن قاسم الفيفي ١٤٢٩/١/٢٩

التعريف بصاحب الكتاب

بقلم شيخنا العلامة زيد بن محمد مدخلي حفظه الله تعالى

نسبه، ولادته، نشأته:

هو الشيخ الفاضل، علامة عصره، وفريد دهره: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي؛ نسبةً إلىٰ ابن سعد العشيرة بطن من مذحج.

ولد شيخنا حافظ لأربع وعشرين ليلة من شهر رمضان المبارك من عام (١٣٤٢هـ) بقرية السلام التابعة لمدينة المضايا الكائنة في جنوب مدينة جازان، وانتقلت أسرته إلىٰ قرية الجاضع التابعة لمدينة صامطة التي تبعد عنها مسافة ستة كيلو مترات تقريبًا من الناحية الشرقية، وكان الشيخ أحد أفراد تلك الأسرة المباركة.

نشأ مبارك العمر –حافظ بن أحمد- كغيره من أبناء المنطقة، غير أنه لما شب بدأ يتطلع إلىٰ حياة العز في الدارين، حياة القيادة في الخير والبر والصلاح، فحقق الله له ماتطلع إليه، وعزم عليه، وأعطاه ربه ما نواه وتمناه.

فبدأ في سن مبكرة بالعناية بالقرآن الكريم، تلاوة وحفظًا، فأحسن تلاوته، وحفظ الكثير منه، وقد أُوتي سرعة في الحفظ، وقوة في الفهم، وجودة في الخط

بالقلم، وذكاءً خارقًا امتاز به عن أقرانه آنذاك.

تلك المحاولة الشريفة كانت كالتمهيد والتوطئة للدخول في باب طلب العلم الشريف بصورة جادة ومنتظمة بعد أن كان يشتغل برعي غنيمات لوالديه الكريمين اللذين قد رسما له خير قدوة فيهما من صحة العقيدة، والالتزام بالشعائر التعبدية، وعلىٰ العموم: صدق التعامل مع الله، وحسنه مع عباد الله؛ ممَّا جعله وإخوانه يتميزون عن كثير من أسر مجتمعهم وأفراده، وسبحان الله الذي يعلم حيث يجعل فضله، ويودع خيره، وبره، وإحسانه.

استمر الشيخ حافظ -أسكنه الله فسيح جناته- علىٰ تلك الحال العجيبة من رعي الغنم، وحمل المصحف، وبر الوالدين حتىٰ قدم من بلاد نجد إلىٰ منطقة الجنوب الإمام المجدد العالم العامل الفذ، التقي، السخي، نبيل الخلق، عالي الهمة، حسن النية، سلفي العقيدة، سوي القصد، أعني شيخنا عبد الله بن محمد القرعاوي[(١)]، الذي اختار طلب العلم ونشره له منهجًا، وجعل الدعوة إلىٰ الله بالحكمة والموعظة الحسنة له سبيلًا، غايته منها رضا الله وجنة عرضها كعرض السماء والأرض، قدم هذا الداعية المجاهد المخلص إلىٰ هذه المنطقة بمشورة من العالم الجليل، والناصح المخلص الأمين، الشيخ: محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمة الله علينا وعليه- مفتي الديار السعودية في أيام حياته الطيبة المباركة، حياة العلم والجهاد والإصلاح، والدعوة إلىٰ الله، ونصرة الحق وذويه في أرض الله.

لقد حدثني من أثق به: أن أول موعظة قام بها الشيخ عبد الله بن محمد

---

(١) تنظر ترجمته في كتاب "المسيرة لداعية جنوب الجزيرة" تأليف بندر بن فهد الأَيْدَاءِ.

القرعاوي في المسجد الجامع في مدينة جازان استهلها بقول الله الحق المبين: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۞ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١].

وشرحها شرحًا بيَّن فيه المراد من هاتين الآيتين الكريمتين ونظائرهما من آيات تصحيح العقيدة، وإخلاص العبادة لله المستحق لكل عبادة مالية وبدنية، قولية، وفعلية، وقلبية، شأنه شأن كل داعية إلىٰ الله يعلم أنه ورث علم الأنبياء، فيجب أن يسلك مسلكهم، وينهج نهجهم في الدعوة إلىٰ الله، مبتدئًا بتوضيح العقيدة السلفية التي تعتبر شرطًا أساسيًّا لقبول الأعمال، ورجاء ثوابها من عند الله، والتي اتفقت عليها دعوة الرسل أجمعين، ومن تأسىٰ بهم من أهل العلم والفقه في الدين.

وفي عام (١٣٥٩هـ) شاء الله وأراد أن يلتقي هذا الداعية المخلص بعلمنا المترجم له، فتعرف عليه وتحبب إليه، ورغَّبه في صحبته لطلب العلم الشريف؛ لما رأىٰ فيه الذكاء وصراحة القول، وحسن السمت، والأدب، وملامح النجابة والرجولة المقتضية للصبر والثبات، ففرح الشيخ حافظ بذلك العرض المحبوب إلىٰ أصحاب الفطر السليمة إلا أنه شرط موافقة الوالدين علىٰ ذلك.

فاتجه الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي بالعرض علىٰ الوالدين بلطف، وحكمة، وترغيب، ووعد كريم، ولكن لشدة حاجة الوالدين إلىٰ ابنهما لم يسمحا له بالذهاب إلىٰ صامطة كما طلب شيخه ذلك ورغب فيه، غير أنه كان يتعاهده

بالدروس والتوجيه، والترغيب في التوسع في علوم الشريعة، ويعده خيرًا.

فلما حل عام (١٣٦٠هـ) توفيت والدة الشيخ حافظ، وفي نفس العام توفي والده –رحم الله الجميع برحمته التي كتبها لأوليائه، ونسأل الله أن يجعلنا من أوليائه– وفي هذا العام تفرغ الشيخ حافظ لمواصلة السير الحثيث في طلب العلم الذي تذوق لذته، وطعم حلاوته، وحث عليه فيما بعد في "ميميته" بقوله:

يـا طالـب العلـم لا تبغـي بـه بـدلًا ... فقد ظفرت ورب اللـوح والقلـم

وقدس العلم واعرف قـدر حرمتـه ... في القول والفعل والآداب فـالتزم

واجهـد بعـزم قـوي لا انثنـاء لـه ... لو يعلم الْمَرْءُ قدر العلم لَم يَنَم

ولقد خص بجل أوقات التحصيل علوم القرآن والحديث ووسائلها التي قال فيها:

مـا العلـم إلا كتـاب الله أو أثـر ... يجلـو بنـور هـداه كـل منبهـم

ما ثَمَّ علم سوىٰ الوحي الْمُبين ومَـا ... منـه اسْـتُمِدَّ ألا طـوبَىٰ لمغتـنم

كانت ملازمة هذا الطالب العجيب –الذي صار بحق أعجوبة زمانه تفوقه علىٰ الكبار من أقرانه– لشيخه الداعية المحتسب لا نظير لها في الاستمرارية المتعاقبة في جلساتِها كتعاقب الليل والنهار، وتتابع المطر السح المدرار، مما جعل تلك الشجرة تفوق جميع الأشجار في إيتاء ثمارها المرغوبة الشهية في أقصر وقت وأغلاه في ميدان السباق في كسب العلم الشريف ونشره بين محتاجيه ومحبيه، فما هي إلا سنوات قليلة حتىٰ ظهر واشتهر مستوىٰ الشيخ حافظ

العلمي، وكان حديثًا حسنًا في المجالس والمنتديات بين داعٍ له بزيادة العلم والفقه في الدين، والتوفيق لما يرضي رب العالمين، وبين غابط يتمنىٰ أن ينال من العلم مثله كي ينفع الناس ويحشر في زمرة العلماء الربانيين، وبين مادح له بما هو فيه غير مبالغ في الثناء عليه.

وكان الشيخ كما عرفته لا يرغب أن يسمع مدح من يمدحه، أو ثناء من يثني عليه؛ لعظم خوفه من الله، ومدىٰ خشيته واستحيائه منه.

وأذكر أن بعض الإخوان المعجبين بالشيخ وبما وصل إليه من العلم النافع الغزير أرسل إليه قصيدة فيها ثناء عليه بما هو فيه، حيث قال صاحب القصيدة:

أهدي السلام دوامًا لا انتهاء له	مد الدهور بلا حد يدانيه
ما دامت الأرض أرض والسماء	والْخَلق خلق وباري الْخَلق ينميه
يكون أضعاف ما قد خط في ورق	من العلوم ومن بالجد يتليه
قال الأحباء ما يهدىٰ السلام كذا	بين لنا أي شخص أنت تعنيه
فقلت حاء وفاء ثُمَّ يتبعها	ظاء لِمَن يريد التبيان يحكيه
هذا الذي ذِكْرُهُ نعلو به شَرفًا	من شا يخوض بحور العلم يأتيه
يقذف له الْحَق من أنوار حكمته	فصارت أولو النهىٰ تشكر مساعيه
طلابة العلم قد فاقت مراتبهم	لكنه عنهم علت مراقيه
هم النجوم وهو كالبدر مكتمل	في عشر وأربع فما نور يضاهيه
هذا من الرب قد أعطاه مكرمة	فنسأل الله يمنحنا معاطيه
يا طالب العلم وجه نَحو صامطة	تجد بها الفخر فاسكن حيث تلفيه

مـن آل قرعـا وعبـد الله منتخـب		وباجتهـــاد لـــدين الله يحييـــه
هـــب تلاميـــذه في كـــل ناحيـــة		فـاللهم ارض عـنهم ثُـمَّ رضـيه
أحيوا الـبلاد بـذكر الله واجتهـدوا		هـم الهـداة لِمَـن شـاء الله يهديـه
غرســوا العلــوم فقــد طابــت		وأينـع الثمـر الحـالي لجانيـه
من يعمل الخير يطلب مـن يعلمـه		لا عامل إلا بنور الله العلم يكسيه
العلــم نــورٌ ومصــباحٌ لصــاحبه		حصنٌ منيعٌ لمـن بالـذهن يوعيـه
متـىٰ قـام يطلبـه بالجـد مجتهـدًا		لابـد يبلـغ إلـىٰ مـا كـان يبغيـه
يكــون في الرتبــة العليــاء مجلســه		بـما حكـىٰ عـن رسـول الله يرويـه
آيــات حــق مــن الــرحمن منزلــة		دلــت عليــه بـــما يخفــي ويبديــه
ثُمَّ الصلاة علىٰ الْمُختار من حضـر		مـا لاح نجـمٌ ومـا جنـت دياجيـه
والآل والصــحب والأتبـاع قاطبـة		ومــن علــىٰ السـنَّة الغـرَّا يواليـه

فأجاب الشيخ حافظ بالأبيات التالية بعد كتابة بسم الله الرحمن الرحيم:

عــادت علــيكم تحيــات مضــاعفة		أمـا الْمَـديح فـما لـي حاجـة فيـه
ولســت أرضــاه في ســرٍّ وفي علــنٍ		ولست أصغي إلىٰ مـن قـام ينشـيه
إذ يـورث العبـد إعجابًـا يسـر بـه		ومـا جنـاه مـن الـزلات ينسـيه
ما لي وللمدح والأملاك قـد كتبـوا		سعيي جميعًا ورب العرش مُحصـيه
ولست أدري بِمَا هم فيه قد سـطروا		ومـا أنـا في مقـام الْحَشـر لاقيـه
وما مضىٰ لست أدري مـا عملـت		ومـا بقـي أي شـيء صـانع فيـه

ومــا اغتــراري بأهــل الأرض لــو	وفي السموات ذكري لسـت أدريـه
إيــاكمو أن تعيــدوا مثلهــا أبــدًا	فاستقبلِ النُّصحَ منِّي حيـث أمليـه
لكن علىٰ خيـر مـن هـذا أدلكمـو	أن تقبلــوه فـــما شـــيء يســـاويه
دعاكمو لـي بظهـر الغيـب لاسـيما	وقــت الإجابــة بالأســحار تلفيــه
والنصح للمسـلمين ابذلْـه مبتغيًـا	وجــه الإلــه بــه للــدين تحييــه
والعرف فأمر به والْمُنكر انـه وكـن	لله حبـك والـبغض اجعلـن فيـه
بــدون ذا لم تَنــل قـــط ولايتـــه	فـــإن ربـــك مـــولَىٰ مـــن يواليـــه
والْحَمد لله مع أزكىٰ الصلاة علـىٰ	خيــر الأنـــام وصـــحب ثُـــمَّ تاليـــه

أسباب نبوغه وتفوقه في العلم على جميع أقرانه بل وعلى سائر علماء زمانه

أذكر بأنه وُجِّه إليّ سؤال في هذا الموضوع من بعض الإخوة المحبين للشيخ حافظ، والمتطلعين إلىٰ فهم أسباب علو منزلته العلمية رغم صغر سنه، فأجبته قائلًا:

إن أسباب نبوغ شيخنا في العلم ووصوله إلىٰ ما وصل إليه تكاد تنحصر فيما يأتي:

(١) عناية ربانية رحيمة، وكرامة من كرامات الله لأوليائه، وهو ولي من أولياء الله الذين آمنوا وكانوا يتقون، والزهد، والورع، والتضحية التي لا نظير لها في عصره في سبيل تحصيل العلم الشريف في مختلف فنونه الطيبة المباركة.

(٢) توجيهات تلقاها من عالم فذٍّ، مجرب، ماهر بطرق تحصيل العلم وكيفية قطف ثمراته، ألا وهو الشيخ: عبد الله بن محمد القرعاوي، الذي تتلمذ علىٰ يديه مدة وجيزة المقدار، بَيْدَ أنها مليئة بالخير والبركة، والفضل والإحسان، من صاحب الخير العظيم، والفضل والإحسان الله الكريم المنان.

﴿٣﴾ ما أمده به شيخه من الدعم المعنوي والمادي حيث كـان مسـكن الشـيخ حافظ مأوىٰ لطلاب العلم المغتربين من داخل البلاد وخارجها أيام كـان في بيش وبعد مغادرته لها، يشبه السكن الجامعي الذي أنشأته جامعاتنا في مملكتنا المحبة للعلم والعلماء.

﴿٤﴾ استثمار جميع الوقت في القراءة ذات التأمل والتدبر علىٰ سبيل الـدوام بـلا ملل ولا فتور، ولاسيما في كتب علوم الشريعة علىٰ اخـتلاف فنونهـا مـن توحيد، وتفسير، وحديث، وفقه، وأصول، وتاريخ، وأدب سلوك، وأدب معارف، مع العناية بوسائلها ذات العلاقة المتينة بهـا كـالنحو والصـرف، والبلاغة، وقواميس اللغة، ونحوها، والدليل علىٰ ذلـك مؤلفاتـه الكثيـرة المنثورة والمنظومة.

﴿٥﴾ ما كان يتصف به شيخنا رَحِمَهُ اللهُ كما أسلفت من زهد، وورع، وإيثار للآجلـة علىٰ العاجلة، وتقديم لمراضي الله علىٰ متطلبات النفس الأمـارة بالسـوء، فلقد نصر اللهَ في نفسه؛ فنصره اللهُ علىٰ كـل عـدو داخـلي وخـارجي كمـا وعد، ووعده الحق: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد:٧].

﴿٦﴾ قوة الذاكرة، وسرعة الفهم، وعمقه، وتحديـد الفكـر والاتجـاه، وحفـظ المتون المفيدة نظمًا ونثرًا، وفي مقدمـة محفوظاتـه كتـاب الله الـذي هـو مصدر كل خير وعلم وفضيلة، ولشدة حرصه علىٰ حفظ المتون أنـه كـان يستخرج المتن من الكتاب الذي يشرح ذلك المتن، هكذا رأيته يفعل.

 إخلاص النية في الطلب مقرونة بالعمل بالعلم ونشره في كل مناسبة من المناسبات الخاصة والعامة، وهذا الصنيع له أثر عظيم في زيادة العلم ونمائه المطرد السريع.

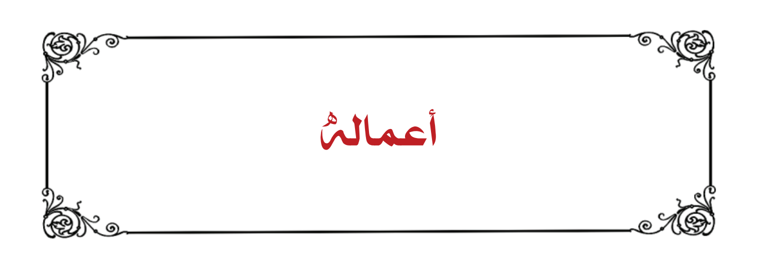
نظرته إلى المجتمع الإسلامي ونظرة المجتمع إليه:

أما نظرته إلىٰ المجتمع الإسلامي الكبير فقد كان حريصًا علىٰ ثباته علىٰ الحق، والتزامه به، وتمسكه بما جاء به نبي الإسلام ﷺ من عقيدة، وعبادة، ومعاملة، وسلوك، وأدب، وكان مجاهدًا في سبيل الله بلسانه، وقلمه، شأنه شأن كل داعية واعٍ مخلص يحب لإخوانه من الخير ما يُحبه لنفسه، ويكره وصول الشر إليهم كما يكره وصوله إليه؛ عملًا بالحديث الوارد في هذا المعنىٰ.[(١)]

وأما نظرة المجتمع الذي كان يعيش فيه ومن حوله إليه، فقد كان له في نفوسهم غاية التقدير، وفائق الاحترام، وأعلىٰ المحبة والقبول ما لا أستطيع وصفه، فقد كانوا يستمعون لتوجيهاته السديدة، ويصغون إلىٰ نصائحه الغالية المفيدة، ويقبلون وصاياه عن قناعة، ومحبة، وتصديق، وكانوا يوقرونه بما لا مزيد عليه، وكنا نستدل بذلك التقدير والاحترام والمحبة علىٰ أن الله قد وضع له القبول في الأرض بعد أن أحبه وأحبته ملائكة السماء، وجعل له لسان صدق أيام حياته وبعد مماته؛ إذ هو بحق قدوة حسنة، ومثال يُحتذىٰ في صدق التعامل مع الله، وحسن التعامل مع عباد الله.

---

(١) الحديث الوارد في ذلك هو ما رواه الإمام أحمد في "مسنده" بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**». (ج٣/ ص١٧٦، ٢٧٢، ٢٧٨).
كذا خرجه شيخُنا زيدٌ حفظه الله، وهو في "الصحيحين".



أعماله

تولىٰ شيخُنا التدريس في المدرسة السلفية في كلٍّ من صامطة، وبيش، وكان يعطي كل مستوىٰ ما يناسبه، وقد حضرت وأنا صغير أعقل وأفهم في إحدىٰ الحلقات وهو يدرس فيها السنن الأربع، وفي كل من صامطة وبيش هو مدير المدرسة، وأستاذها، والقائم المباشر بالنفقة علىٰ طلابها، غير أنه في صامطة كان مشرفًا علىٰ بعض المدارس المجاورة لصامطة، وموجِّهًا في معظم المدارس التي تمَّ فتحها علىٰ يد الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي في منطقة الجنوب: تهامة، وعسير.[(١)]

وفي عام (١٣٧٣هـ) تمَّ تعيينه مديرًا لمدرسة ثانوية بمدينة تابعة لوزارة المعارف، فاستمر في إدارتها وتربية طلابها بكل جد ونشاط وإصلاح، حتىٰ هيأ الله فتح المعهد العلمي في صامطة في عام (١٣٧٤هـ)، فتولىٰ إدارة المعهد والقيام بالتدريس فيه، وتأليف الكثير من مقرراته، وإملائها علىٰ الطلاب بكل عناية وكفاية، وبقي مديرًا إلىٰ أن وافاه الأجل المسمىٰ عام (١٣٧٧هـ).

---

(١) ولمعرفة هذه المدارس وتاريخ تأسيسها ينظر كتاب "المسيرة لداعية جنوب الجزيرة" (ص١٥٧-١٦٠).



مؤلفاته

مؤلفات شيخنا كثيرة، منها المنظوم، ومنها المنثور، ومنها المطبوع، ومنها المخطوط، وكلها تدل القارئ الواعي علىٰ ما كان له من جهد كبير في القراءة لمراجعها، نظمًا ونَثْرًا، وإليك بعض مؤلفاته:

(١) "سلم الوصول إلىٰ علم الأُصول" في التوحيد نظمًا.

وقد تجلىٰ قدر هذه المنظومة وشمولها لأصول الدين، وكافة فضائله من خلال شرحها المسمىٰ "معارج القبول".

(٢) "معارج القبول شرح سلم الوصول إلىٰ علم الأصول".

في مجلدين كبيرين، وهو من المراجع المهمة لأهل الدراسات العليا في العقائد؛ إذ إنه كتاب جامع في موضوعه لا نظير له من مؤلفات معاصريه، أو ممن جاء بعده.

(٣) "أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة".

وهي علىٰ طريقة السؤال والجواب، وقد دون فيها من العلوم ما يستغني عنه مسلم، أو مسلمة.

(٤) "الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة" نظمًا.

وهي في إيضاح عقيدة أهل السنة والجماعة سلفًا وخلفًا، والرد علىٰ أهل الزيغ والضلال من أصحاب العقائد الباطلة، والنِّحَل المنحرفة، والمبادئ الهدامة الباطلة.

٥ "دليل أرباب الفلاح في تحقيق فن الاصطلاح".

وهو من خير ما كتب في هذا الفن من مصطلح الحديث؛ حيث استوعب فيه جوانب هذا العلم الذي يعتبر من أشرف العلوم بعد علوم القرآن الكريم؛ ذلك لأن سنة المصطفىٰ ﷺ لا تتضح تمام الاتضاح إلا بتحقيق علم المصطلح الذي يُعنَىٰ بأسانيد السنة ومتونها؛ فيتبين صحيحها من سقيمها، وقويها من ضعيفها، والكتاب علىٰ طريقة السؤال والجواب.

٦ "اللؤلؤ المكنون في أحوال الأسانيد والمتون".[١]

وهو نظم فريد في فن المصطلح؛ لما اشتمل عليه من قواعد، وضوابط تتعلق بالسند والمتن، ومراتب التعديل والجرح، وصيغ الأداء، وغير ذلك من مباحث هذا الفن.

٧ "متن لامية المنسوخ".[٢]

منظومة أورد فيها أمثلة كثيرة من النصوص الناسخة والمنسوخة، بحيث يذكر المنسوخ ويشير إلىٰ ناسخه بدقة في التعبير ووضوح في التمثيل.

٨ "السبل السوية لفقه السنن المروية" نظمًا.

---

(١) وهو مطبوع بتحقيقي ضمن "مجموع الرسائل والمنظومات العلمية" للشيخ حافظ رَحِمَهُ اللهُ.
(٢) قمت بتحقيقها ضمن مجموع فيه عشر رسائل للشيخ حافظ رَحِمَهُ اللهُ.

وهذه المنظومة المباركة تعتبر قاموسًا من قواميس السنة المحمدية حيث تعرَّضَ الشيخ فيها لبحث العبادات والمعاملات، والأخلاق والآداب، والسلوك والرقائق، ترغيبًا وترهيبًا، وأبياتُها (٢٣٥٩) بيتًا، وقد أعانني الله علىٰ إتمام الجزء الأول من شرحها، وها هو ذا بين يدي القراء الكرام من المسلمين والمسلمات، أرجو من الله أن ينفعني به، وينفع به من شاء من عباده؛ إنه جواد كريم، كما أسأله -وهو أعظم مسئول، ومالك الإجابة وحده- أن يعينني علىٰ إتمام شرح هذه المنظومة المباركة[١] التي قد احتوت علىٰ جميع مباحث فقه الدين الإسلامي القويم، وأن يجعل القصد حسنًا والعمل صالحًا، خالصًا متقبلًا.

(٩) "وسيلة الحصول إلىٰ مهمات الأصول" نظمًا.[٢]

فصَّل فيها التعريفات بأصول الأحكام التكليفية والأحكام الوضعية، كذا الأدوات الدالة علىٰ المعاني، وأصول أدلة الأحكام التي هي الكتاب والسنة والإجماع، وأسهب في ذلك بما لا مزيد عليه.

كما أوضح فيها وجوه الخطاب من أمرٍ ونهي، ومنطوق ومفهوم، وعموم وخصوص، وإطلاق وتقييد، ومُجمل ومبين، ومحكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، وراجح ومرجوح، وختمها بمبحث القياس والاجتهاد والفُتيا بأسلوبه المنظوم السهل المُيَسَّر رَحِمَهُ اللهُ.

---

(١) وقد أكمل شرحها فجاء ذلك في تسعة مجلدات، وسماه "الأفنان الندية شرح منظومة السبل السَّويَّة لفقه السنن المروية" طبع بدار المنهاج بمصر.

(٢) وقد شرحها شيخنا زيد -وفقه المولىٰ- وسمىٰ ذلك الشرح "الجهد المبذول في تنوير العقول بشرح منظومة وسيلة الحصول إلىٰ مهمات الأصول" طبع بدار المنهاج بمصر.

١٠ "نيل السُّول من تأريخ الأمم وسيرة الرسول ﷺ" نظمًا.

بدأ هذه المنظومة المباركة بذكر بدء الخلق، والحكمة من خلقهم، ثم بذكر إبراهيم الخليل وغيره من الأنبياء العظام، والرسل الكرام، ومقاماتهم الرفيعة، وبجانب ذلك تحدث عن أحوال الجاهلية الشنيعة.

وأتبعها بذكر بزوغ فجر الحياة الجديدة: حياة العز والسعادة، حياة السيادة والقيادة، في ظل تلك الشريعة التي جاء بها محمد بن عبد الله من عند الله بيضاء نقية، عالية مضيئة.

وفصَّل القول في هذه المنظومة في الحوادث والأخبار التي تمت بقيادة رسول الله ﷺ ومعه أصحابه من المهاجرين والأنصار، وما في ذلك من العِظات والدروس والاعتبار.

إلىٰ أن ختمها بذكر المصيبة العظمىٰ والفاجعة الكبرىٰ: مرض رسولنا الكريم محمد الناصح الأمين –عليه من ربه أفضل الصلاة وأزكىٰ التحية والتسليم– ثم انتقاله إلىٰ الرفيق الأعلىٰ بجوار الرب الرؤوف الرحيم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.(١)

١١ "المنظومة الميمية في الوصايا والآداب العلمية".(٢)

وهي قصيدة عظيمة النفع جمَّة الفوائد تحث علىٰ طلب العلم وترغب فيه، وتدعو إلىٰ الإخلاص فيه والدعوة إليه، وقد دلل فيها رحمه الله علىٰ صحة ما قال

(١) وقد قمت بتحقيق جزء منها وهو ما يتعلق بسيرة نبينا محمد ﷺ، وطبعت ضمن مجموع فيه عشر رسائل للشيخ حافظ رحمه الله.

(٢) وقد قمت بتحقيقها، وطُبعت ضمن مجموع فيه عشر رسائل للشيخ حافظ رحمه الله.

ببراهين قاطعة، وأدلة قائمة وواضحة.

(١٢) "نصيحة الإخوان عن تعاطي القات والشمة والدخان".

وقد تجلىٰ في هذه القصيدة النصح الخالص من الشيخ لقومٍ طالما فتنتهم تلك القاذورات المسمومة المنتنات من قات وشمة ودخان، التي لا يلتذ بها إلا من مُحِقَتْ فطرته، وتغير طبعه عن الإنسان العاقل المفكر، وبالأحرىٰ لا يدافع عن ذمها ويشك في خبثها إلا أشباه عباد الهوىٰ الذين غرهم الشيطان، وزين لهم ما كانوا يعملون.

ومن قرأ هذه القصيدة والرد عليها من بعض المفتونين بهذه القاذورات تبين له ما كان عليه الشيخ من حق مؤيد بالأدلة الصحيحة الصريحة.

ومما كان يتفوه به الخصم المفتون من باطل أرسله استجابة لهواه، وانتصارًا لمن كان علىٰ شاكلته ممن أضلهم الشيطان عن طريق الحق وسناه، وحقًّا إن للحق أنصارًا ودعاةً وحماةً، وللباطل أنصارًا، ومروجين ودعاة، فاللهم اجعلنا حربًا علىٰ أنصاره ودعاته، ومروجيه.[1]

(١٣) قصيدة في الترغيب والترهيب والحث علىٰ تقديم الآجلة علىٰ العاجلة، والاستعداد للقاء الله بمجاهدة النفس الأمارة بالسوء والهوىٰ والشيطان، حتىٰ تلتزم بالطاعة مصدر العزة والسعادة، وتبتعد عن المعصية مصدر الذل والهوان، والردىٰ والشقاوة.

---

(١) وقد ناولني شيخنا ربيع المدخلي حفظه الله نسخةً قديمة لهذه المنظومة، طلب مني أن أحققها وأضيف عليها بعض التعليقات، وتم ذلك بحمد الله وطبعت ضمن مجموع فيه عشر رسائل للشيخ حافظ رحمه الله.

كما تناول فيها التحذير من الاغترار بالدنيا وإيثارها علىٰ الآخرة، وبيان ما سيئول إليه المغرورون الذين استعذبوا هذه الحياة الدنيا واطمأنوا بها، وغفلوا عمَّا من أجله خلقوا، وبه علىٰ لسان نبيه ﷺ استخلفوا.

وشوق النفوس المطمئنة بأوصاف الجنة دار الكمال والجمال والبقاء والدوام، علىٰ ضوء وصف خالقها لها في كتابه الكريم، وعلىٰ لسان عبده ورسوله محمد سيد الأولين والآخرين الذي بوأه ربه الرفيق الأعلىٰ في عليين.

وأحمد الله الذي أعانني علىٰ التعليق علىٰ هذه القصيدة بشرح موجز يتضمن نثر منظومها، وإبراز ما تضمنته من آيات الكتاب الكريم، وسنة النبي الهادي الأمين صلىٰ الله عليه وسلم وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وتمَّ طبعها علىٰ حساب نادي حطين بمدينة صامطة، جزىٰ الله كل من كان ويكون سببًا في نشر العلم ومفتاحًا لأبوابه.

(١٤) رسالة "النور الفائض من شمس الوحي في علم الفرائض".[1]

وهي رسالة مختصرة بالنسبة إلىٰ المطولات في هذا الفن؛ بَيْدَ أنها وافية بمسائله، وجامعة لما تفرق من مقرراته، أكثر فيها إيراد الضوابط التي تعرف بها كيفيات قسمة المواريث، كما أكثر فيها من ضرب الأمثلة التي توضح قواعد هذا الفن الجليل الذي تولىٰ الله قسمة مواريثه ولم يكله إلىٰ أحد من خلقه، فجزاه الله خير الجزاء، ورفع درجته عاليةً مع الصالحين والشهداء.

---

(١) وعندي لهذه الرسالة مخطوطة أسأل الله أن يعينني علىٰ تحقيقها وإخراجها.



المخطوط من مؤلفاته

وللشيخ حافظ رَحِمَهُ اللهُ مؤلفات مخطوطة لَمَّا تطبع بَعْدُ، نَمىٰ إلىٰ علمي منها ما يلي:

(١٥) "أمالي في السيرة النبوية"(١)، وكانت تُملىٰ علينا أيام دراستنا في المعهد العلمي كمادة من المواد المقررة نثرًا، وكانت مخطوطة عندي في كراريس، وعندما طلبها مني الأستاذ: أحمد بن حافظ سلمتها له، وهي محفوظة لديه.

(١٦) "مفتاح دار السلام بتحقيق شهادتي الإسلام" نثرًا.

(١٧) "شرح الورقات في أصول الفقه" نثرًا.

(١٨) "همزية الإصلاح في تشجيع الإسلام وأهله" نظمًا، بلغت أبياتُها مائتين وأربعة عشر بيتًا، ركز فيها علىٰ التمسك بالعروة الوثقىٰ التي اتفقت عليها دعوة الرسل وأتباعهم، ثم بين معتقد أهل السنة والجماعة، وموقفهم الحق من نصوص الكتاب والسنة في باب الأسماء والصفات، وفي أصحاب رسول الله ﷺ، مع ذكر محبتهم لهم والترضي عنهم،

---

(١) وقمت بتحقيقها والتعليق عليها، وطبعت ضمن مجموع فيه عشر رسائل للشيخ حافظ رَحِمَهُ اللهُ، ثم شرحتها في مجلد وسمَّيت ذلك الشرح "نثر الجواهر المضيَّة علىٰ كتاب أمالي في السيرة النبوية"، وهو هذا الذي بين أيدينا.

والسكوت عما شجر بينهم، ومحبتهم جميعًا؛ لأنهم صفوة أولياء الله بعد أنبياء الله ورسله.

ثم أشار إلىٰ تضحياته الجهادية، وحنكتهم القيادية، حيث فتحوا الدنيا من أجل أن يُعبد الله، وتحكَّم شريعته بين العباد في جميع البلاد، وقد أثنىٰ فيها علىٰ العلماء الربانيين، والفقهاء المحققين، قادة الأمة إلىٰ هدىٰ الله، وفي طريق الحق ليصلوا بهم إلىٰ مقر الأمن والأمان، إلىٰ رحاب الكريم المنان، في جنة وصفت بكل كمال وجمال وإحسان في معظم نصوص السنة والقرآن.

وقد قيل: من أراد أن يطلع علىٰ وصف الجنان فليقرأ سورة الرحمن.

ثُمَّ دعا فيها المسلمين أجمعين -وبالأخص علماءهم- إلىٰ دعوة الخلق إلىٰ سبيل الحق، وإلىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ براءةً للذمة، ونصحًا للأمة، ثم ختمها بدعوات مباركة له ولكافة المسلمين، نسأل الله أن يستجيب له، وأن يجزيه عنا نحن المسلمين خير الجزاء.

(١٩) "مجموعة خطب للجُمع والمناسبات"، التي تستدعي خطابةً وتوجيهًا.

وكنت قد جمعت الكثير منها، واستعنت علىٰ كتابتها بأحد طلابي آنذاك، ثم طلبها مني فضيلة الشيخ: محمد بن أحمد الحكمي كي يطلع عليها ويعيدها إليَّ، وأعطيته ولَمَّا تعد إليَّ؛ حيث اعتذر مني بأنها قد فقدت منه، وهو صادق في اعتذاره، والحمد لله علىٰ وجود أصلها عند أبناء الشيخ الكرام، وفقنا الله وإياهم

للعلم النافع، والعمل به، ونشره.[1]

---

(١) وهناك بعض المخطوطات التي لم تطبع، قمت بتحقيقها، منها:

١) "مجمل تاريخ الأندلس في الإسلام".

٢) "لُمع حافلة في الفقه والتفقه والفقهاء في عصر الصحابة والتابعين".

٣) "تعريفات في علم مصطلح الحديث"، وجمعتها هي وغيرها في المجموع السابق ذكره.

إسهام شيخنا -علينا وعليه رحمة الله- في الدعوة إلى الله وبذل النصح لعباد الله

كان الشيخ حافظ رَحِمَهُ اللَّهُ يؤمن بأن الدعوة إلىٰ الله فريضة من فرائض دين الإسلام، وعلىٰ مثله يتعين القيام بها، فألزم نفسه بالقيام بها بأساليب شتىٰ، وطرق مختلفة بحسب حال المدعوين وحاجتهم ومستوياتهم، فكان يؤدي هذه الفريضة تارة بالخطب في الجمع والأعياد، والمناسبات الأخرىٰ المشروعة، وتارة بألقاء المحاضرات العامة، ومرة بتعليم العوام وتلقينهم أمر دينهم، وإما بالتدريس الذي هو أعظم طريق لتربية الأجيال؛ فهو سبيله من بداية تتلمذه علىٰ شيخه عبد الله بن محمد القرعاوي إلىٰ أن توفاه الله، وهكذا الفتوىٰ في المنطقة وإقامة فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي الدعوة إلىٰ الله بذاتها.

وقصارىٰ القول: فتأليف الشيخ حافظ دعوة إلىٰ الله، وإرادته دعوة، وإدارته دعوة، وتدريسه دعوة، ومحاضراته دعوة، وزياراته للأعيان وطلاب العلم دعوة، وسلوكه دعوة، فالرجل داعية إلىٰ الله في إدارته، وفي حلقة تدريسه، وفي محراب صلاته، وفي جلساته التعليمية والعادية، وفي محل إقامته، وأثناء سفره، وإن أردت مصدرًا لما قلتُ وشاهدًا علىٰ ما وصفت فاجمع مؤلفاته من منظوم الكلام ومنثوره، وستلفيها خير شاهد علىٰ ما ذكرت، وأعظم برهان علىٰ ما وصفت.

ظل شيخنا علىٰ تلك الحياة الطيبة المباركة: حياة التحصيل العلمي، والتعليم، والتأليف، والدعوة إلىٰ الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإحياء السنة، وقمع البدع، والرد الوافي الكافي علىٰ أهل الانحراف، حتىٰ توفاه الله، الذي قال في محكم تنزيله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥].

وكان ذلك في اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة (١٣٧٧هـ) في مكة المكرمة علىٰ إثر مرض أَلَمَّ به وهو في حسن الشباب وتمام القوة و﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥]، وكان عمره حين الوفاة (٣٥ عامًا) خمسة وثلاثين عامًا وثلاثة أشهر، ودفن بخير البقاع عند الله: البلد الحرام، مكة المكرمة، فرحمه الله رحمة الأبرار الأتقياء، وغفر له مغفرة المجاهدين الشهداء، ورفع درجته بحشره يوم القيامة في زمرة الرسل والأنبياء.

ونحن يا ربنا، نمد أكف الضراعة إليك، ونطمع في الفضل والإحسان الذي في يديك، نسألك اللهم أن تجعلنا من حزبك المفلحين، وأوليائك المتقين، وأن تحسن إلينا بمغفرة الذنوب وستر العيوب، وأن تحشرنا في موكب الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، إنك أكرم مسئول، وخير مرجوٍّ ومأمول.

وقد رثاه شعراء المنطقة منهم الكبير الدكتور زاهر بن عواض الألمعي بقصيدة تدل علىٰ مدىٰ تأثره عندما سمع نبأ وفاة العالم الهُمَام الشيخ حافظ، حيث

قال:

لقـد دوَّىٰ علـىٰ المخـلاف مـوت ... نعـىٰ النحريـر عالمهـا الهمامـا

تفجعـت الْجَنـوب وسـاكنوها ... علـىٰ بـدر بهـا يَمحـو الظلامـا

وذاعـت في الـدُّنا صـيحات خطـب ... فهـزت مـن فجائعهـا الأنامـا

فكفكفـت الـدموع علـىٰ فقيـد ... علـىٰ الإسـلام شـمر واسـتقاما

وأحيـا في الربـوع بيـوت علـم ... وواسـىٰ مقعـدًا ورعـىٰ يتامـا

أحـافظ كنـت للعليـاء قطبًـا ... وللإسـلام طـودًا لا يسـاما

وبَحـرًا في العلـوم بعيـد غـور ... كثيـر النفـع قوامًـا إمامًـا

وقـد خلفـت آثـارًا جسـامًا ... فرائـد خـرَّدًا عظمـت مقامًـا

نشـرت العلـم فانتعشـت بـلاد ... ونالـت في مطالبهـا المرامـا

ونـورت الـدجىٰ بـثمار فكـر ... وهـل الفكـر مـا يَجلـو الظلامـا

ألا صـبرًا بنـي جـازان إنـا ... لنبكـي مـثلكم هـذا الهمامـا

ولكـن ذاك دولاب المنايـا ... يـدور ولـيس يسـتثني العظامـا

فقيـد الفضـل فضـلك سـوف يبقـىٰ ... منـارًا في الزمـان وإن ترامـىٰ

حبـاك الله رضـوانًا وخلـدًا ... وألهمنـا علـىٰ الصـبر اعتصـامًا(١)

---

(١) نقلًا من مقدمة «الأفنان الندية» لشيخنا زيد بن محمد المدخلي حفظه الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

س كيف نسب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من جهت ابيه

ج هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانه بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وهو من ولد اسمعيل بن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام]

س كيف نسبه من جهت امه

ج امه آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة وقد ولد صلى الله عليه وسلم من نكاح ولم يولد من سفاح وحماه الله من ذلك جميع آبائه وامهاته]

س متى توفي ابوه

ج توفي ابوه بالمدينه وهو صلى الله عليه وسلم حمل]

س متى كان مولده

ج كان مولده صلى الله عليه وسلم عام الفيل في الاثنين ثاني عشرين شهر ربيع الاول]

س من حواضنه غير امه

ج ارضعته مولاة ابيه ام ايمن وثويبة مولاة ابي لهب ثم استرضع في بني سعد بن بكر ارضعته حليمه بنت ابي ذؤيب

س متى كان حادثة شق الصدر]

ج كان ذلك وهو غلام قريبا اربع سنين يرعى بهما الابل من الرضاع ثم بعدها ردوه الى امه

س متى توفيت امه ومن كفله بعدها

ج

صورة للورقة الأولى من المخطوط

ج توفي في شهر من السنة الحادية عشر من الهجرة . وله من العمر ثلاث وستون
س متى اشتد به وجع موته صلى الله عليه وسلم
ج اشتد به يوم الخميس وتوفي يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء .
س من استخلف على الصلاة في مرض موته
ج استخلف على الصلاة بالناس صاحبه في الغار ورفيقه في السفر والحضر وأول [illegible]
برسالته ومنقادا لما جاء به والخليفة بعده في أمته أبو بكر الصديق رضي الله عنه
س عن كم توفي من زوجاته صلى الله عليه وسلم
ج توفي صلى الله عليه وسلم عن تسع نسوة وهن عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر وأم
حبيبة بنت أبي سفيان وأم سلمة بنت أبي أمية وسودة بنت زمعة و
زينب بنت جحش [illegible] وميمونة بنت الحارث وجويرية بنت الحارث و
صفية بنت حيي ومات قبله من زوجاته خديجة رضي الله عنها قبل الهجرة وزينب
بنت خزيمة قبل وفاته وكان يقال لها أم المساكين .
س كم له من ولد
ج له صلى الله عليه وسلم من الولد ثلاثة من الذكور القاسم ويقال الطيب والطاهر
وبه كان يكنى وعبد الله وإبراهيم وأربع من النساء فاطمة وزينب
ورقية وأم كلثوم وكل ولده صلى الله عليه وسلم من خديجة إلا إبراهيم وكل
مات قبله إلا فاطمة رضي الله عنها فبعده بستة أشهر .
س هل ورث النبي صلى الله عليه وسلم شيئا .
ج قال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة وإنما
ورث صلى الله عليه وسلم العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر [illegible]
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين
إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا آمين
تم بقلم ناسخه من مؤلفه علي بن قاسم [illegible] في نصف شهر شوال عام ١٣٦٦ [illegible]

صورة للورقة الأخيرة من المخطوط

(كتاب سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم)

(ذكر نسبه الشريف المطهر)

هو الرسول الهاشمي المصطفى ... خير الأنام محمد وشرفا

أبوه عبد الله عبد المطلب ... فهاشم عبد مناف ينتسب

ابن قصي بن كلا وانسب ... مرة كعب بن لؤي غالب

هو ابن فهر بن مالك الى ... نضر كنانة خزيمة على

مدركة الياس وهو ابن مضر ... ابن نزار بن معد اشتهر

هو ابن عدنان الى النبيح [?] ... ينسب قطعا وهو في الصحيح

وأمه آمنة تنتسب ... لوهب من عبد مناف نسبوا [?]

زهرة ابن كلاب اتصلا ... بالنسب الذي ذكرنا أولا

وقد حمى الله أصول المصطفى ... من السفاح الجاهلي حتى صفا

(ذكر مولده صلى الله عليه وسلم)

صورة للصفحة الأُولى من مَنظومة السيرة النبوية

وكان دفنه بلا مراء ... فيما روي ليلة الأربعاء

وعمره ثلاث مع ستين ... إذ عاش قبل الوحي أربعينا

ثم ثلاث بعدها يوحى إليه ... من قبل أن يفرض تبليغ عليه

وقام بالتبليغ عشرين سنة ... حتى أتم دينه وأحسنه

ولم يورث درهما كلا ولا ... دينارا فاحفظ وافهمن ما نقلا

بل ورث الوحيين نورا وضيا ... كذاك علم الدين في إرث الأنبياء

صلى عليهم ربنا وسلما ... والآل والصحب وتابع سما

وتم بالإجمال نظم السيرة ... على اختصار قاصدا تيسيره

وبعده يتلوه بإذن الله

نظم شمائل النبي الأواه

والله أرجو العون والتوفيقا

ودفع المانع والتعويقا

صورة للصفحة الأخيرة من منظومة السيرة النبوية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

س١/ كَيْفَ نَسَبُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ جِهَةِ أَبِيْهِ؟

ج/ هُوَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ ابْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسِ بْنِ مُضَرِ بْنِ نِزَارِ ابْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيْلَ بْنِ إِبْرَاهِيْمَ الْخَلِيْلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. (أ)

(أ) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في "السيرة" (١/ ٢٤٦): وهذا النسب بهذه الصفة لا خلاف فيه بين العلماء؛ فجميع قبائل عرب الحجاز ينتهون إلى هذا النسب؛ ولهذا قال ابن عباس وغيره -في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى:٣٣]-: لم يكن بطنٌ من بطون قريش إلا ولرسول الله ﷺ نَسَبٌ يتصل بهم.اهـ[١]

قال الشيخ حافظ رحمه الله في منظومته "نيل السول من تاريخ الأمم وسيرة الرسول":

(١) رواه البخاري برقم (٣٣٠٦).

هُوَ الرَّسُولُ الهَاشِمِيُّ المُصْطَفَىٰ ... خَيْرُ الأَنَامِ مَحْتِدًا[1] وَشَرَفَا

أَبُوهُ عَبْدُ اللهِ عَبْدُ المُطَّلِبْ ... فَهَاشِمٌ عَبْدُ مَنَافٍ يَنْتَسِبْ

ابْنُ قُصَيٍّ بْنِ كِلَابٍ وَانْسِبِ ... مُرَّةَ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ غَالِبِ

هُوَ ابْنُ فِهْرٍ بْنِ مَالِكٍ إِلَىٰ ... نَضْرٍ كِنَانَةٍ خُزَيْمَةٍ عَلَا

مُدْرِكَةَ إِلْيَاسَ وَهْوَ بْنُ مُضَرْ ... ابْنُ نِزَارِ بْنِ مَعَدٍّ اشْتَهَرْ

هُوَ ابْنُ عَدْنَانَ إِلَىٰ الذَّبِيحِ ... يُنْسَبُ قَطْعًا وَهْوَ فِي الصَّحِيحِ

---

(١) في الأصل: [محنَد]، والمحتد هو الأصل. "تهذيب اللغة" (٤/ ٤٠٤) للأزهري.

س٢/ كَيْفَ نَسَبُهُ مِنْ جِهَةِ أُمِّهِ؟

ج/ أُمُّهُ: آمِنَةُ بِنْتُ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ (أ)، وَقَدْ وُلِدَ ﷺ مِنْ نِكَاحٍ وَلَمْ يُولَدْ مِنْ سِفَاحٍ (ب)؛ حَمَىٰ اللهُ مِنْ ذَلِكَ جَمِيعَ آبَائِهِ وَأُمَّهَاتِهِ.

(أ) قال الشيخ حافظ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأُمُّـــــهُ آمِنَـــــةٌ تَنْتَسِـــــبُ لِوَهْـبِ مِـنْ عَبْـدِ مَنَـافٍ نَسَـبُوا
لِزُهْـــرَةٍ ابْـــنِ كِـــلَابِ اتَّصَـــلَا بِالنَّسَـــبِ الَّـــذِي ذَكَرْنَـــا أَوَّلَا

(ب) ورد من حديث أبي هريرة، وعلي، وعائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ مرفوعًا: «**وُلِدتُ من نكاح لا سفاحٍ**»، وفيه ضعف، وتكلم الألباني علىٰ أسانيده في "إرواء الغليل" (٦/ ٣٢٩-٣٣٤)، وخَرَجَ بتحسينه، وانظر "السيرة" لابن كثير (١/ ٢٤٨-٢٤٩)، و"صحيحها" للألباني (ص١٠-١١).

قال الشيخ حافظ رَحِمَهُ اللهُ في منظومته "السيرة":

وَقَــدْ حَمَــىٰ اللهُ أُصُــولَ المُصْــطَفَىٰ مِــنَ السِّــفَاحِ الجَــاهِلِيْ حَتَّــىٰ صَــفَا

س٣/ مَتَى تُوُفِّي أَبُوهُ؟

ج/ تُوُفِّيَ أَبُوهُ بِالْمَدِيْنَةِ وَهُوَ ﷺ حَمْلٌ. (أ)

س٤/ مَتَى كَانَ مَوْلِدُهُ؟

ج/ كَانَ مَوْلِدُهُ ﷺ عَامَ الْفِيْلِ (ب) ....

(أ) ينظر لذلك "السيرة" لابن إسحاق (١/ ٤٥)، و"الطبقات" لابن سعد (١/ ٩٩-١٠٠).

(ب) لِمَا روىٰ الحاكم (٢/ ٦٠٣) من طريق أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: وُلِد النبي ﷺ عام الفيل.

قال الحاكم رَحِمَهُ اللهُ: صحيح علىٰ شرط الشيخين.

قلتُ: وأبو إسحاق هو السبيعي، مدلس، وقد عنعن؛ بيد أنَّ له شاهدًا أخرجه ابن إسحاق في "السيرة" (١/ ١٦٧)، والحاكم (٢/ ٦٠٠) بإسناده إلىٰ قيس بن مخرمة، قال: ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل؛ فنحن لدان.

ولكن فيه: المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخرمة، وهو كما قال الحافظ: مقبول. أي: عند المتابعة، وإلا فَليِّن، وبمجموع الطريقين يكون حسنًا، والله أعلم.

فِي الإِثْنَيْنِ (أ) ثَانِيَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَبِيْعٍ الأَوَّلِ. (ب)

(أ) لِما روىٰ مسلم برقم (١١٦٢) من حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ سئل عن صوم الإثنين فقال: «**فيه ولدت، وفيه أُنزِل عليَّ**».

(ب) لم أقف علىٰ شيء صحيح يثبت أن مولده ﷺ في الثاني عشر من شهر ربيع الأول.

قال الشيخ حافظ رحمه الله:

مَوْلِــــدُهُ كَـــانَ بِعَـــامِ الفِيـــلِ	وَنُقِــلَ الخِـــلَافُ عَـــنْ قَلِيـــلِ
ثَـــانِيَ عَشْـــرٍ مِـــنْ رَبِيـــعِ الأَوَّلِ	فِـــي يَـــوْمِ الاثْنَـــيْنِ بِـــلَا تَحَـــوُّلِ
مَـــاتَ أَبُـــوهُ فِـــي زَمَـــانِ حَمْلِـــهِ	عَلَـــىٰ أَصَـــحِّ مَـــا أَتَـــىٰ فِـــي نَقْلِـــهِ

س٥/ مَنْ حَوَاضِنُهُ غَيْرُ أُمِّهِ؟

ج/ أَرْضَعَتْهُ مَوْلَاةُ أَبِيهِ أُمُّ أَيْمَنَ (أ)، وَثُوَيْبَةُ مَوْلَاةٌ لِأَبِي لَهَبٍ (ب)، ثُمَّ اسْتَرْضَعَ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، أَرْضَعَتْهُ حَلِيْمَةُ بِنْتُ أَبِي ذُؤَيْبٍ (ج).

(أ) فكانت أم أيمن[1] تحضنه حتى كَبِرَ رسول الله ﷺ فأعتقها، ثم أنكحها زيد ابن حارثة.

(ب) لما صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**أرضعتني وأبا سلمة ثويبة**».[2]

(ج) هذه القصة –أعني قصة إرضاع حليمة السعدية لنبينا ﷺ مشهورة، كما في كتب السيرة، كالسيرة لابن هشام (١/ ٢١٤) وغيرها، لكنها غير ثابتة سندًا، انظر "السيرة النبوية" للعمري (١/ ١٠٢-١٠٣) في الحاشية.

قال الشيخ حافظ رحمه الله:

لَـهُ ثُوَيْبَـةٌ مِـنَ الحَوَاضِـنِ	مَـوْلَاةُ عَمِّـهِ وَأُمُّ أَيْمَـنِ
وَظِئْـرُهُ بَعْـدُ بِـدُونِ رَيْـبِ	حَلِيمَـةٌ بِنْـتُ أَبِـي ذُؤَيْـبِ

(١) رواه مسلم برقم (١٧٧١).

(٢) رواه البخاري برقم (٥١٠١)، ومسلم برقم (١٤٤٩).

س٦/ مَتَى كَانَتْ حَادِثَةُ شَقِّ الصَّدْرِ؟

ج/ كَانَ ذَلِكَ وَهُوَ غُلَامٌ قَرِيبَ أَرْبَعِ سِنِينَ يَرْعَىٰ بَهْمًا لِأَبَوَيْهِ مِنَ الرَّضَاعِ، ثُمَّ بَعْدَهَا رَدُّوهُ إِلَىٰ أُمِّهِ.(1)

(1) وهذه الحادثة وهي شق صدره ﷺ حصلت مرتين: الأولىٰ وهو صغير كما في "صحيح مسلم"[1] من حديث أنس رضي الله عنه، والثانية: ليلة الإسراء، روىٰ ذلك البخاري[2] ومسلم[3] عن أنس رضي الله عنه.

قال الحافظ رحمه الله في "فتح الباري" (١/ ٥٩٧): ورجح عياض أن شق الصدر كان وهو صغير عند مرضعته حليمة، وتعقبه السهيلي بأن ذلك وقع مرتين وهو الصواب...، ومحصله أن الشق الأول كان لاستعداده لنزع العلقة التي قيل له عندها: «**هذا حظ الشيطان منك**»، والشق الثاني كان لاستعداده للتلقي الحاصل له في تلك الليلة.اهـ[4]

قال الشيخ حافظ رحمه الله:

وَشُـقَّ صَـدْرُهُ هُنَـاكَ وَغُسِـلْ ... ثُـمَّ مُلِـي بِحِكْمَـةٍ نَصًّـا نُقِـلْ
ثُـمَّ لِأُمِّـهِ أُعِيـدَ آمِنَـا ... يُنْبِتُـهُ اللهُ نَبَاتًـا حَسَـنَا

(١) برقم (١٦٢) و(٤٢٦١).

(٢) برقم (٣٤٩).

(٣) برقم (١٦٣)، وينظر "صحيح السيرة النبوية" (ص١٨-١٩) مع الحاشية للألباني.

(٤) وينظر "دلائل النبوة" (١/ ١١٨) لأبي نعيم، و"شرح الزرقاني علىٰ المواهب اللدنية" (١/ ١٥٠).

س٧/ مَتَى تُوُفِّيَتْ أُمُّهُ وَمَنْ كَفَلَهُ بَعْدَهَا؟

ج/ تَوُفِّيَتْ أُمُّهُ وَهُوَ ابْنُ سِتٍّ سِنِيْنَ بِالأَبْوَاءِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِيْنَةِ وَهِيَ رَاجِعَةٌ بِهِ مِنْ عِنْدِ أَخْوَالِهِ بَنِي النَّجَّارِ (أ)، وَكَفَلَهُ بَعْدَهَا جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ.

س٨/ مَتَى تُوُفِّيَ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، وَمَنْ كَفَلَهُ بَعْدَهُ؟

ج/ تُوُفِّيَ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَمَانِ سِنِيْنَ، وَكَفَلَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ[(١)]، وَكَانَ بِهِ حَفِيًّا.

(أ) ذكر أهل السِّيَر أن وفاتها كانت بالأبواء بين مكة والمدينة، وكانت قَدِمَتْ به علىٰ أخواله من بني النجار فماتت وهي راجعة إلىٰ مكة، كذا يذكر أهل السير، أما صحة الأسانيد فلم تثبت.[(٢)]

قال الشيخ حافظ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقُبِضَتْ وَهْوَ ابْنُ سِتٍّ وَنَقَلْ	ابْنَ ثَمَانِ الأُمَوِي وَهْوَ مُعَلْ
ثُمَّ رُبِي فِي حِجْرِ جَدِّهِ إِلَىٰ	أَنْ مَاتَ وَهْوَ ابْنُ ثَمَانٍ كَمُلَا
لَمَّا قَضَىٰ أَوْصَىٰ أَبَا طَالِبِ بِهْ	فَلَمْ يَزَلْ أَحْنَىٰ عَلَيْهِ مِنْ أَبِهْ

(١) انظر "عيون الأثر" (١/ ٥٠).

(٢) انظر "السيرة" لابن هشام (١/ ١٩٣)، و"عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسِّيَر" لابن سيد الناس (١/ ٤٧)، و"دلائل النبوة" للبيهقي (١/ ١٨٨).

س٩/ مَتَى سَافَرَ مَعَ عَمِّهِ إِلَى الشَّامِ؟

ج/ وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ اِثْنَا عَشَرَ سَنَةً، وَفِيْهَا رَآهُ بَحِيْرَا الرَّاهِبُ، وَرَأَىٰ فِيْهِ أَعْلَامَ النُّبُوَّةِ، وَأَمَرَ عَمَّهُ بِرَدِّهِ.

قصة سفره مع عمه إلىٰ الشام رواها الترمذي[١]، والحاكم[٢] عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه، وبعد أن ساقها الحاكم بطولها قال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاها. وتعقبه الذهبي بقوله: أظنه موضوعًا؛ فبعضه باطل.[٣]

وفي "السيرة" (ص٥٧) من "تاريخ الإسلام" قال: وهو حديث منكر جدًّا.

وقال كذلك: وفي الحديث ألفاظ منكرة تشبه ألفاظ الطُّرُقِيَّة.

وصحح القصة الألباني في "صحيح سنن الترمذي"[٤]، وأعلَّ بعض الألفاظ.

قال الشيخ حافظ رحمه الله:

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ بَحِيرَا الرَّاهِبْ	حَارَ لَمَّا رَأَىٰ مِنَ الْمَوَاهِبْ
إِذْ نَزَلُوا مَالَ إِلَيْهِ الظِّلُّ	كَذَا لَهُ غَمَامَةٌ تُظِلُّ

(١) برقم (٣٦٢٠).

(٢) (٢/ ٦١٥-٦١٦).

(٣) انظر "سنن الترمذي" برقم (٣٦٢٠)، و"مستدرك الحاكم" (٢/ ٦١٥-٦١٦)، و"صحيح سنن الترمذي" للألباني رحمه الله (٣/ ١٩١)، وأعل بعض الألفاظ.

(٤) (٣/ ١٩١).

وَقَدْ رَأَىٰ فِيهِ مِنَ الصِّفَاتِ	مَا جَاءَ فِي الإِنْجِيلِ وَالتَّوْرَاةِ
وَقَدْ خَشَىٰ عَلَيْهِ مَنْ حُسَّدِهِ	وَلَمْ يَزَلْ مُنَاشِدًا بِرَدِّهِ
وَكَانَ سِنُّهُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ فِي	سَفْرَتِهِ تِلْكَ بِلَا تَوَقُّفِ

س١٠/ مَتَى كَانَ حَرْبُ الْفِجَارِ؟

ج/ كَانَ حَرْبُ الْفِجَارِ وَلَهُ ﷺ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً أَوْ خَمسَ عَشْرَةَ، وَكَانَ يَنْبُلُ [أ] عَلَىٰ أَعْمَامِهِ.

س١١/ مَتَى كَانَ سَفَرُهُ الثَّانِي إِلَى الشَّامِ؟

ج/ كَانَ سَفَرُهُ الثَّانِي إِلَىٰ الشَّامِ فِي تِجَارَةٍ لِخَدِيْجَةَ وَمَعَهُ غُلَامُهَا مَيْسَرَةَ، وَفِي رُجُوعِهِ تَزَوَّجَهَا وَلَهُ إِذْ ذَاكَ مِنَ الْعُمرِ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً. [ب]

[أ] أي: يناولهم النَّبل ليرموا بها[1]، يقال: نبَّلت الرجل –بالتشديد– إذا ناولته النبل، والنبل: السِّهام العربية ولا واحد لها من لفظها، فلا يقال: نبْلة، وإنما يقال: سَهْمٌ ونُشَابة.[2]

[ب] تشير روايات ضعيفة –بل معظمها واهٍ– إلىٰ تفاصيل تتعلق بزواج الرسول ﷺ من أُمِّ المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وهي تحدد بداية التعارف بينهما عن طريق عمل الرسول ﷺ في تجارة خديجة رضي الله عنها التي كانت ثرية تضارب بأموالها، وقد ذهب بتجارتها... إلىٰ الشام، فربح بتجارتها، وحكىٰ لها غلامُها ميسرة الذي صحبه ما رأىٰ من أخلاقه وطِباعه؛ فأُعجِبت به، وتزوجها بعد رجوعه، وبالرغم أن ذلك لم يثبت سندًا، لكنه مشهور عند الأخباريين.[3]

(١) ذكر هذه القصة ابن هشام في "السيرة" ولم يذكر سندًا لها. انظر "السيرة" لابن هشام (١/ ٢٤٣)، و"السيرة" لابن كثير (١/ ٣٠٦).

(٢) انظر "النهاية" (٢/ ٧٥) مادة: نَبَل.

(٣) "السيرة النبوية" (١/ ١١٣-١١٤) للعمري.

ومما اتفق أهل العلم عليه أن خديجة أُوْلَىٰ أزواجه ﷺ، وقد أنجبت منه ذكرين هما: القاسم، وعبد الله، وأربع بنات هنَّ: زينب، وأم كلثوم، ثم فاطمة، ثم رقية، فأما القاسم وعبد الله فماتا قبل الإسلام، وأدركت البناتُ الإسلامَ فأسلمن، وقد توفيت خديجة قبل الهجرة إلىٰ المدينة.(١)

قال الشيخ حافظ رَحِمَهُ اللهُ:

وَثَانِيًا سَفْرَتُهُ مُتْجِرَا ... للشَّامِ مَعْ خَدِيجَةٍ مُسْتَأْجَرَا

وَهْوَ ابْنُ عِشْرِينَ وَخَمْسٍ عُمْرُهْ ... وَمَعَهُ كَانَ الغُلَامُ مَيْسَرَهْ

وَقَدْ رَأَىٰ[٢] لَهُ مِنَ الآيَاتِ مَا ... يَزِيدُ عَمَّا قَبْلَهُ تَقَدَّمَا

وَبَعْدَ أَنْ قَدْ آبَ إِيَّاهَا خَطَبْ ... وَهْيَ مِنْ اوْسَطِ(٣) قُرَيْشٍ فِي النَّسَبْ

وَهْيَ الَّتِي قَدْ بَادَرَتْ تَصْدِيقَهْ ... عَنْ رَبِّهِ وَكَانَتِ الصِّدِيقَهْ

وَهْيَ الَّتِي مِنْهَا جَمِيعُ مَنْ وَلَدْ ... مَا غَيْرَ إِبْرَاهِيمَ فَافْهَمْ مَا وَرَدْ

(١) انظر "فتح الباري" (٧/ ١٧١) شرح حديث رقم (٣٨٢١)، و"السيرة النبوية" (١/ ١١٤) للعمري.

[٢] في المخطوط: [رؤي]، والصواب ما أثبت؛ لأن الذي رأىٰ هذه الآيات هو ميسرة كما تقدم قريبًا علىٰ جواب السؤال رقم (١١)، فقد رأىٰ فيه من النجابة والأمانة وغير ذلك من الأمور التي جعلت خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تطمع بأن يكون زوجًا لها، وينظر جواب السؤال رقم (١١) من "الأمالي" مع التعليق عليه.

(٣) وقع في المخطوط: (أوساط) بدل: (أوسط).

س١٢/ مَتَى بَنَتْ قُرَيْشٌ الْكَعْبَةَ؟

ج/ بَنَتْ قُرَيْشٌ الْكَعْبَةَ وَعُمرُهُ خَمْسٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً، وَحَكَّمُوهُ فِي: مَنْ يَضَعُ الْحَجَرَ؟ فَوَضَعَهُ فِي ثَوْبٍ وَأَمَرَ كُلَّ قَبِيْلَةٍ أَنْ تَأْخُذَ بِطَرَفٍ مِنَ الثَّوْبِ، وَكَانُوا أَرْبَعَ قَبَائِلَ، فَلَمَّا رَفَعُوهُ إِلَىٰ مَوْضِعِهِ وَضَعَهُ بِيَدِهِ[1] ﷺ.

[1] هذه القصة وهي وضعه ﷺ الحجر الأسود بيده الشريفة في موضعه رواها لنا السائب بن عبد الله، وأنه كان فيمن يبني الكعبة في الجاهلية، قال: ولي حَجَرٌ أنا نحَتُّه بيدي، أعبده من دون الله تبارك وتعالىٰ، فأجيء باللَّبَنِ الخاثر الذي أَنْفَسُهُ علىٰ نفسي، فأَصُبُّه عليه، فيجيءُ الكلب فَيَلْحَسَهُ، ثم يَشْغَرُ فيبولُ، فبنينا حتىٰ بَلَغْنا مَوْضِعَ الحَجَرِ، وما يَرَىٰ الحَجَرَ أحَدٌ، فإذا هو وسط حجارتنا مثل رأسِ الرَّجُل يكاد يتراءىٰ منه وَجْهُ الرَّجُل. فقال بَطْنٌ من قريش: نحن نضعه. وقال آخرون: نحن نضعه. فقالوا: اجعلوا بينكم حَكَمًا. قالوا: أَوَّلُ رجلٍ يَطْلَعُ من الفَجِّ. فجاء النبي ﷺ فقالوا: أتاكم الأمينُ. فقالوا له. فوضعه في ثوب، ثم دعا بطونهم، فأخذوا بنواحيه معه، فوضعه ﷺ.(١)

(١) رواه أحمد (٣/ ٤٢٥)، والحاكم (٣/ ٤٥٨)، وصححه، وهو حديث حسن رجاله كلهم ثقات سوىٰ: هلال بن خباب فهو حسن الحديث، وله شاهد عند الطيالسي برقم (١١٥) من حديث علي رضي الله عنه بإسناد حسن، وحسنه الألباني رحمه الله في تحقيق "فقه السيرة" (ص٨٠)، و"صحيح السيرة" (ص٤٥).

قال الشيخ حافظ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَـدْ بَنَـتْ قُـرَيْشٌ الْبَيْـتَ وَلَـهْ ... إِذْ ذَا ثَلَاثُـونَ وَخَمْـسٌ كَامِلَـهْ

وَاخْتَلَفُـوا فِـي شَـأْنِ وَضْـعِ الحَجَـرِ ... فَحَكَّمُـوهُ فِيـهِ نَـصَّ الأَثَـرِ

بِحَيْـثُ فِـي رِدَائِـهِ قَـدْ وَضَـعَهْ ... وَكُلُّهُـمْ بِطَـرْفٍ قَـدْ رَفَعَـهْ

وَبَيْـنَهُمْ كَـانَ اسْـمُهُ الأَمِينَـا ... لِخُلُـقٍ قَـدْ حَـازَهُ مُبِينَـا

س١٣/ كَمْ عُمْرُهُ ﷺ يَوْمَ بُعِثَ وَإِلَى مَنْ بُعِثَ؟

ج/ بَعَثَهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ رَأْسِ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً (أ) إِلَىٰ كَافَّةِ النَّاسِ بَشِيْرًا وَنَذِيْرًا.

(أ) لِمَا روىٰ البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: بُعِث رسول الله ﷺ لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحىٰ إليه، ثم أُمِر بالهجرة فهاجر عشر سنين ومات وهو ابن ثلاث وستين.[1]

قال الحافظ رحمه الله في "فتح الباري" (٧/ ٢٨٧): هذا أصح مما أخرجه أحمد عن يحيىٰ بن سعيد عن هشام بن حسان بهذا الإسناد –يعني إسناد حديث ابن عباس– قال: أنزل علىٰ النبي ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين ومكث بمكة عشرًا، وأصح مما أخرجه مسلم من وجه آخر عن ابن عباس أن إقامة النبي ﷺ بمكة كانت خمس عشرة سنة.اهـ

وقال النووي رحمه الله في "شرح صحيح مسلم" (١٥/ ١٠٠): وهذا الذي ذكرناه أنه بعث علىٰ رأس أربعين سنة هو الصواب المشهور الذي أطبق عليه العلماء، وحكىٰ القاضي عياض عن ابن عباس وسعيد بن المسيب روايةً شاذةً أنه بُعث علىٰ رأس ثلاث وأربعين سنة، والصواب: أربعون كما سبق.اهـ

(١) انظر "صحيح البخاري" برقم (٣٩٠٢)، و"فتح الباري" (٧/ ٢٨٧) ط/ دار الكتب العلمية.

س١٤/ مَا أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ مِنَ الْوَحْيِ؟

ج/ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، فَكَانَ لَا يَرَىٰ رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ.(أ)

س١٥/ كَيْفَ كَانَ حَالُهُ[١] قَبْلَ الْوَحْيِ، وَمَا أَوَّلُ مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ؟

ج/ كَانَ ﷺ يَتَعَبَّدُ فِي غَارِ حِرَاءٍ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ[٢] الْعَدَدِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَىٰ خَدِيْجَةَ وَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّىٰ جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ.(ب)

(أ) لِمَا روىٰ البخاري(٣) ومسلم(٤) عن عائشة رضي الله عنها قالت: أول ما بُدِئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرىٰ رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح... الحديث، واللفظ لمسلم.

(ب) لما روىٰ البخاري(٥) ومسلم(٦) من حديث عائشة رضي الله عنها، وفيه: ...، وكان يخلو بغار حـراء(٧)، فيتحنث فيه، -وهو التعبد الليالي ذوات العدد- قبل أن ينزع

---

[١] في المخطوط: [حالته] بدل: حاله.

[٢] في المخطوط: [ذواتي]، وما أثبته هو الموافق لنص الحديث.

(٣) برقم (٣).

(٤) برقم (١٦٠).

(٥) برقم (٣).

(٦) برقم (١٦٠).

(٧) وغار حراء علىٰ قمة جبل النور شمال شرقي مكة علىٰ يسار الذاهب إلىٰ الشرائع والزيمة من الطريق=

إلىٰ أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلىٰ خديجة فيتزود لمثلها حتىٰ جاءه الحق... الحديث.

قال الشيخ حافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَكَـانَ فِـي غَـارِ حِـرَاءٍ يَعْبُـدُ ... مَـوْلَاهُ مُـدَّةً لَهَـا يَـزَّوَّدُ

حَتَّـىٰ أَتَـاهُ الحَـقُّ فِـي غَـارِ حِـرَا ... وَهْـوَ عَلَـىٰ ذَاكَ وَكَـانَ لَا يَـرَىٰ

رُؤْيَـا لَـدَىٰ المَنَـامِ إِلَّا تَـأْتِي ... كَفَلْـقِ الصُّـبْحِ عَلَـىٰ اسْـتِثْبَاتِ

= القديم، ويبعد عن مكة أربع كيلومترات، وارتفاعه يبلغ حوالي (٢٠٠) متر، ويبعد الغار عن قمة الجبل نحو (٥٠) مترًا. انظر "تاريخ مكة" للأزرقي (ص٥٩٣)، و"تراث مكة" (١/ ٨٦).

س١٦/ مَا أَوَّلُ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ؟

ج/ أَوَّلُ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:١-٥]، ثُمَّ فَتَرَ الْوَحْيُ.(١)

(١) لِما روىٰ البخاري برقم (٣) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة. . .

وفيه: ثم حُبِّب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراءٍ فيتحنث فيه...، حتىٰ جاءه الحق وهو في غار حراءٍ، فجاءه الملك فقال: «**اقرأ**» قال «**ما أنا بقارئ**» قال: «**فأخذني فغطني حتىٰ بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثانية حتىٰ بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال:** ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾[العلق:١ - ٣].

قال الشيخ حافظ رحمه الله:

ثُـمَّ أَتَـىٰ جِبْرِيـلُ بِالتَّنْزِيـلِ ... إِلَيْـهِ تَبْلِيغًـا عَـنِ الجَلِيـلِ
أَوَّلَ مَـا أُنْـزِلَ صَـدْرُ القَلَـمِ ... إِلَـىٰ انْتِهَـا آيَـةِ (مَـا لَمْ يَعْلَـمِ)
فَعَـادَ رَاجِفًـا فُـؤَادُهُ بِهَـا ... إِلَـىٰ خَدِيجَـةٍ فَـإِذْ أَنْبَأَهَـا
فَصَـدَّقَتْ بَـادِئَ بَـدْءٍ خَبَـرَهْ ... وَلابْـنِ نَوْفَـلٍ غَـدَتْ مُبَشِّـرَهْ
ثُـمَّ دَعَـا بِـهِ فَلَـمَّا أَنْ تَـلَا ... قَـالَ ابْشِـرَنْ هَـذَا الَّـذِي قَـدِ أُنْـزِلَا
عَلَـىٰ الكَلِـيمِ وَالَّـذِي نَجْـزِمُ بِـهْ ... إِيمَانُـهُ بِـالْوَحْيِ حَقًّـا فَانْتَبِـهْ
وَبَعْـدَ ذَا فَـالْوَحْيُ عَنْـهُ فَتَـرَا ... فِـي سَـنَتَيْنِ أَوْ ثَـلَاثٍ أُثِـرَا

س١٧/ كَمْ كَانَ فَتْرَةُ الْوَحْيِ، وَمَا أَوَّلُ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ بَعْدَ فَتْرَتِهِ؟

ج/ كَانَتْ فَتْرَةُ الْوَحْيِ ثَلَاثَ سِنِيْنَ فِيْمَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ (أ)، وَأَوَّلُ (ب) مَا نَزَلَ بَعْدَهَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر:١]، ثُمَّ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، ثُمَّ حَمِيَ الْوَحْيُ، وَتَتَابَعَ.

(أ) الذي في "السيرة" هو قوله: (ثم فتر الوحي عن النبي ﷺ فترة من ذلك).[1]

لكن الحافظ رحمه الله في "فتح الباري" (١/ ٣٧) قال: وقع في تاريخ أحمد بن حنبل عن الشعبي أن مدة فترة الوحي كانت ثلاث سنين. وبه جزم ابن إسحاق.اهـ

(ب) أي: أول ما نزل بعد انقطاع الوحي؛ فتكون أولية مخصوصة بما بعد انقطاع الوحي، وأما نزول سورة اقرأ فهي أولية مطلقة، وبهذا يزول الإشكال فيما روىٰ البخاري برقم (٤٩٢٤)، ومسلم برقم (١٦١) من طريق أبي سلمة بن عبدالرحمن أنه سأل جابر بن عبد الله: أيُّ القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر:١]، فقلت: أُنبئتُ أنه ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق:١]؟ فقال: لا أخبرك إلا بما قال رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «**جاورت في حراء، فلما قضيت جواري هبطت فاستبطنت الوادي، فنوديت فنظرت أمامي وخلفي، وعن يميني وعن شمالي، فإذا هو جالس علىٰ العرش بين السماء والأرض، فأتيت خديجة فقلت: دثروني، وصُبُّوا عليَّ ماءً باردًا، وأُنزل علي:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾» [المدثر:١-٣].

---

(١) انظر "السيرة" له (ص١٧٩).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في "تفسيره" (١٤/ ١٧٥): ثبت في "صحيح البخاري" عن جابر أنه كان يقول: أول شيء نزل من القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر:١]، وخالفه الجمهور فذهبوا إلىٰ أن أول القرآن نزولًا قوله تعالىٰ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق:١]، ووجهُ الجمع: أنَّ أول شيء نزل بعد فترة الوحي هذه السورة.اهـ.

يعني: سورة المدثر.

وقال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ في "فتح الباري" (٨/ ٨٧٦-٨٧٧): أول ما نزل سورة المدثر أولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي، أو مخصوصة بالأمر بالإنذار لا أنَّ المراد أنها أوليَّةٌ مطلقة، فكان من قال: أول ما أُنزل اقرأ. أراد أولية مطلقة، ومن قال: إنها المدثر. أراد بقيد التصريح بالإرسال. قال الكرماني: استخرج جابر: أول ما نزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ باجتهاد وليس هو من روايته.

والصحيح ما وقع من حديث عائشة، ويحتمل أن يكون قوله في هذه الرواية: «**فرأيت شيئًا** -أي: جبريل بحراء- **فقال لي: اقرأ. فأتيت خديجة فقلت: دثروني، دثروني، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾**» قلت -الحافظ-: ويحتمل أن تكون الأولية في نزول ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ بقيد السبب، أي: هي أول ما نزل من القرآن بسبب متقدم وهو ما وقع من التدثر الناشئ عن الرعب، وأما ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ فنزلت ابتداءً بغير سبب متقدم، ولا يخفىٰ بُعدُ هذا الاحتمال.اهـ

قال الشيخ حافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَبَعْـــدَ ذَا فَـــالْوَحْيُ عَنْـــهُ فَتَـــرَا ... فِـــي سَـــنَتَينِ أَوْ ثَـــلَاثٍ أُثِـــرَا

وَبَعْـــدَهَا أُرْسِـــلَ بِالْمُـــدَّثِرِ ... للنَّـــاسِ كُـــلَّا جِـــنِّهِمْ وَالبَشَـــرِ

فَقَـــامَ بِـــالتَّبْلِيغِ للرِّسَـــالَهْ ... بِـــالحَقِّ مُنْـــذِرًا أُوْلِـــي الضَّـــلَالَهْ

مُبَشِّـــرًا لِمَـــنْ أَطَاعَـــهُ بِـــأَنْ ... يَسْعَدَ فِي الدَّارَيْنِ فَضْـلُ (ذِي المِـنَنْ)[١]

[١] غير واضحة في المخطوط.

س١٨/ مَنْ أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِرِسَالَتِهِ ﷺ؟

ج/ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ النِّسَاءِ: خَدِيْجَةُ، وَمِنَ الرِّجَالِ الشُّيُوخِ[١]: وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ، وَمِنَ الْمُكتَهِلِيْنَ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيْق، وَمِنَ الصِّبْيَانِ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَمِنَ الْمَوَالِي: زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَمِنَ الأرِقَّاءِ: بِلَالٌ، وَآمَنَ بِدَعْوَةِ أَبِي بَكْرٍ: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَسَعْدٌ، وَسَعِيْدٌ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَغَيْرُهُم. (أ)

(أ) قال الشيخ حافظ رَحِمَهُ اللهُ:

أَوَّلُ مُــؤْمِنٍ مِــنَ الرِّجَــالِ ... بِــهِ أَبُــو بَكْــرٍ وَمِــنْ مَــوَالِي
زَيْــدٌ وَمِــنْ غِلْمَانِهِــمْ عَلِــيُّ ... بِــلَالٌ مِــنْ رَقِيــقِهِمْ وَلِــيُّ
كَــذَا خَدِيجَــةٌ مِــنَ النِّسَــاءِ ... أَوَّلُ مَــنْ حَــازَ ذُرَىٰ العَلْيَــاءِ
وَآمَنُــوا بِــدَعْوَةِ الصِّــدِّيقِ ... لله قَــوْمٌ مِــنْ أُولِــي التَّوْفِيــقِ
كَسَــعْدٍ وَالزُّبَيْــرِ طَلْحَــةٍ كَــذَا ... عُــثْمَانَ وَابْــنِ عَــوْفٍ ثُــمَّ بَعْــدُ ذَا
أَبُــو عُبَيْــدَةَ وَغَيْــرُهُمْ إِلَــىٰ ... أَنْ كَانَ فِـي الإِسْـلَامِ جَمْـعٌ دَخَـلَا(٢)

[١] في المخطوط: [الشيوغ].

(٢) انظر "السيرة" (١/ ٣٠٥-٣٠٦) لابن هشام، و"صحيح السيرة" (ص١١٥-١٢٤) للألباني.

س١٩/ كَيْفَ كَانَ أَوَّلُ الدَّعْوَةِ إِلَى الإِسْلَامِ؟

ج/ كَانَتِ الدَّعْوَةُ أَوَّلًا سِرًّا (١) نَحْوَ ثَلَاثِ سِنِيْنَ، ثُمَّ أُمِرَ ﷺ بِالصَّدْعِ بِهَا جَهْرًا.

(١) ومما يدل علىٰ سريتها في بَدْءِ أمرها ما رواه مسلم برقم (٨٣٢) من حديث عمرو بن عبسة في قصة إسلامه وفيه: فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارًا فقعدت علىٰ راحلتي فقدمت عليه فإذا رسول الله ﷺ مُسْتَخفيًا جُرءاءُ عليه قومه، فتلطفت حتىٰ دخلت عليه بمكة... الحديث.[1]

فقوله: (مستخفيًا) دليلٌ علىٰ سرية الدعوة في بدء أمرها؛خوفًا من الأعداء الكفرة.

قال ابن القيم رحمه الله في "زاد المعاد" (١/ ٨٦): وأقام ﷺ ثلاث سنين يدعو إلىٰ الله مستخفيًا ثم نزل عليه: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الحجر:٩٤].

أقولُ: وبما أن السِّريَّة كانت في بداية دعوته ﷺ، فهل يكون هذا دليلًا لمن يتكتمون في دعوتهم في عصرنا هذا، ويعقدون الجلسات السرية؟

الجواب: أنَّ هذا لا يصلح أنْ يكون دليلًا لهم؛ لأمور منها:

❑ أنَّـا لسنا في جاهلية، فالحمد لله الإسلام منتشر وظاهـر، فنحن في اليمن عـلىٰ

---

(١) وانظر "السيرة" لابن هشام (١/ ٣٢٥)، و"السنة" لابن أبي عاصم (٢/ ٤٩٤-٤٩٥) برقم (١٠٧٠)، و"زاد المعاد" (١/ ٨٦)، و"المورد العذب الزلال" (ص٢١٦) لشيخنا النجمي رحمه الله.

سبيل المثال دعوة السلفيين قائمة علىٰ قدم وساق، يدعون إلىٰ الله، ويعلمون كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ.

- ولا يجدون مضايقات أبدًا، وإنْ وجدوا فإنما يحصل ذلك من أصحاب هذه السرية لا من الدولة، فالفارق واضح جلي بين السرية التي كانت في عهده ﷺ، والسرية التي في عصرنا، ومع هذا فالسرية في عهد النبوة كانت لوقتٍ محددٍ كما تقدم، ثم أُمر ﷺ بالصدع بالدعوة فهي كانت عبارة عن توطئة وتهيئة للصدع بذلك، ونحن في عصرنا نصدع بالدعوة إلىٰ الكتاب والسنة بكل يُسْرٍ، فلماذا السرية؟!

وإننا لو نظرنا بعين الإنصاف إلىٰ السرية عند أهلها في هذا العصر نجدها مباينةً تمامًا للسرية التي كانت في عصر النبوة؛ لأن السرية في عصرنا ليست من أجل الدعوة إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإنما هي من أجل:

- إزالة حاكم من منصبه، وقلب الحكم وإعطائه لشخص آخر، وعلىٰ إثر ذلك تسفك الدماء، ويقتل الرجال، وترمل النساء، ويُيَتَّمُ الأطفال.

فهذه آثار السرية، فهي إذن من خلال عواقبها ضد الإسلام وأهله، أما السرية في عهده ﷺ فهي لمصلحة الإسلام، وفي عصر جاهلي، ومع هذا فقد حذر ﷺ عن السرية في هذا الباب كما جاء ذلك عند ابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (٢/ ٤٩٤-٤٩٥) برقم (١٠٧٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ

فقال: يا رسول الله، أوصني. قال: «**اعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وأقم الصلاة، وآت الزكاة، وصم رمضان، وحج البيت، واعتمر، واسمع، وأطع، وعليك بالعلانية وإياك والسِّر**»، وهو حديث حسن، وجوَّد إسناده العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في تحقيقه لكتاب «السنة».

وعلماؤنا يحذرون من هذه السريات؛ لأنهم يدركون مخاطرها.

قال شيخنا العلامة أحمد بن يحيىٰ النجمي مفتي عام جنوب المملكة السعودية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه الماتع «المورد العذب الزلال» (ص٢١٦): السرية، والتكتم في دعوتهم -يعني الحزبيين- بدون حاجة إليه، فالدولة مسلمة تؤيد الدعوة وتعين عليها، وتضع مرتبات لأهلها، والمجتمع مسلم يؤيد كل دعوة إصلاحية، ويتظافر معها، فما هو الداعي للسرية؛ إلا أن في دعوتهم أمورًا غير تعليم الأحكام الشرعية يريدون التكتم عليها حتىٰ يصلوا إلىٰ مآربهم.اهـ

قال الشيخ حافظ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَكَانَـــتِ الـــدَّعْوَةُ سِـــرًّا أَوَّلَا ... نَحْـوَ ثَـلَاثٍ مِـنْ سِـنِينٍ كُمَّـلَا

س٢٠/ بِمَنْ بَدَأَ ﷺ حِينَ جَهَرَ بِالدَّعْوَةِ؟

ج/ لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء: ٢١٤] رَقِيَ جَبَلَ أَبِي قُبَيْسٍ[أ]، فَعَمَّ وَخَصَّ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، وَيَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، وَيَا بَنِي هَاشِمٍ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُم، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُم مِنَ النَّارِ؛ لَا أُغْنِي عَنْكُم مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِب لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِيْنِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ؛ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا»[(١)].

الحديث عند البخاري برقم (٤٧٧١)، ومسلم برقم (٢٠٤).

[أ] ولم أقف علىٰ شيء من الروايات فيها رقيه ﷺ لهذا الإنذار علىٰ جبل أبي قبيس، وإنما الذي ورد هو صعوده ﷺ علىٰ الصفا، وجبل أبي قبيس هو المطل علىٰ الصفا، وهو سبق قلم منه رحمه الله، ومما يؤيد ذلك أنه رحمه الله في المنظومة ذكر الصفا فقال:

حتىٰ إذا جاء الصفا وصعدا	أعلاه ناداهم بأبلغ الندا

والسر في إنذار الأقربين أولا: أن الحجة إذا قامت عليهم تعدت إلىٰ غيرهم، وإلا فكانوا عِلَّة للأبعدين في الامتناع وأن لا يأخذه ما يأخذ القريب للقريب من العطف والرأفة، فيحابيهم في الدعوة والتخويف؛ فلذلك نص له علىٰ إنذارهم. "فتح الباري" (٨/ ٦٣٩).

---

(١) وهذا الإنذار عام فيمن آمن منهم ومن لم يؤمن. "فتح الباري" (٨/ ٦٣٩).

فائدة:

قال الحافظ رحمه الله في "فتح الباري" (٨/ ٦٤٤): استدل بعض المالكية بقوله في هذا الحديث: «**يا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئتِ لا أغني عنك من الله شيئًا**»، أنَّ النيابة لا تدخل في أعمال البر؛ إذ لو جاز ذلك لكان يتحمل عنها ﷺ بما يخلصها، فإذا كان عمله لا يقع نيابة عن ابنته؛ فغيره أولىٰ بالمنع. وتُعُقِّب بأنَّ هذا كان قبل أن يعلمه الله تعالىٰ بأنه يشفع فيمن أراد وتُقبل شفاعته؛ حتىٰ يدخل قومًا الجنة بغير حساب، ويرفع درجات قوم آخرين، ويخرج من النار من دخلها بذنوبه، أو كان المقام مقام التخويف والتحذير، أو أنه أراد المبالغة في الحضِّ علىٰ العمل، ويكون في قوله: «**لا أغني شيئًا**» إضمار: إلا إنْ أذن الله لي بالشفاعة.اهـ

قال الشيخ حافظ رحمه الله:

وَبَعْدَهَا[1] بِالصَّدْعِ جَهْرًا أُمِرَا ... فَقَامَ بَيْنَ الأَقْرَبِينَ مُنْذِرَا

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ الصَّفَا وَصَعَدَا ... أَعْلَاهُ نَادَاهُمْ بِأَبْلَغِ النِّدَا

فَعَمَّ ثُمَّ خَصَّ بِالتَّحْذِيرِ ... نَذَارَةً مِنْ نِقْمَةِ القَدِيرِ

وَلَمْ يَكُنْ أَسْوَأَ مِنْ أَبِي لَهَبْ ... رَدًّا عَلَىٰ ابْنِ أَخِيهِ المُنْتَخَبْ

(١) أي: وبعد سرية الدعوة.

س٢١/ كَيْفَ كَانَ حَالُهُ ﷺ وَمَنْ آمَنَ بِهِ مَعَ الْمُشْرِكِيْنَ بَعْدَ الْجَهْرِ بِالدَّعْوَةِ؟

ج/ لَمَّا جَهَرَ ﷺ بِالدَّعْوَةِ بَالَغَ الْمُشْرِكُونَ فِي أَذِيَّتِهِ (أ)، وَأَذِيَّةِ الْمُسْلِمِيْنَ مَعَهُ حَتَّىٰ أُذِنَ لَهُم فِي الْهِجْرَةِ إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ.................،

(أ) ومما فعله المشركون بسيِّد ولد آدم ﷺ ما رواه البخاري[1] من طريق عروة قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ؟ قال: بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ، ولوىٰ ثوبه في عنقه، فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله ﷺ، وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر:٢٨].[2]

ويخبر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن أسلوب سخيف استخدمه أئمة الكفر مع رسول الله ﷺ؛ ليستفزوه بذلك، فيقول: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ وَقَدْ نُحِرَتْ جَزُورٌ[3] بِالأَمْسِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَىٰ سَلَا[4] جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ فَيَأْخُذُهُ فَيَضَعُهُ فِي كَتِفَي مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ.

---

(١) برقم (٤٨١٥).

(٢) انظر "صحيح البخاري" برقم (٢٩٣٤)، و"صحيح مسلم" برقم (١٧٩٤).

(٣) وهي الناقة.

(٤) السلا: هو اللفافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوان، وهي من الآدمية: المشيمة.

فَانْبَعَثَ أَشْقَىٰ الْقَوْمِ[١]، فَأَخَذَهُ، فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ. قَالَ: فَاسْتَضْحَكُوا[٢] وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ. لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ[٣] طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالنَّبِيُّ ﷺ سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّىٰ انْطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ فَجَاءَتْ وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ[٤]، فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ. ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ تَشْتِمُهُمْ[٥]، فَلَمَّا قَضَىٰ النَّبِيُّ ﷺ صَلاتَهُ رَفَعَ صَوْتَهُ ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ، وَكَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلاثًا، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ[٦] ثَلاثًا، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ**»، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمُ الضِّحْكُ، وَخَافُوا دَعْوَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ[٧]، وَأُمَيَّةَ ابْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ**»، وَذَكَرَ السَّابِعَ وَلَمْ أَحْفَظْهُ، فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ سَمَّىٰ صَرْعَىٰ يَوْمَ بَدْرٍ.[٨]

---

(١) أي: بعثته نفسه الخبيثة من دونهم، فأسرع السير، وهو عقبة بن أبي معيط كما صرح به في الرواية الثانية.

(٢) أي: حملوا أنفسهم علىٰ الضحك والسخرية، ثم أخذهم الضحك جدًّا؛ فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم علىٰ بعض من كثرة الضحك.

(٣) هي بفتح النون، وحُكي إسكانها، وهو شاذ ضعيف، ومعناه: لو كان لي قوة تمنع أذاهم، أو كان لي عشيرة بمكة تمنعني.

قلتُ: والقائل ذلك هو عبدالله بن مسعود رضي الله عنه راوي القصة.

(٤) هو تصغير جارية، بمعنىٰ: شابة، يعني أنها إذ ذاك ليست بكبيرة.

(٥) وهو وصف الرجل بما فيه إزراء ونقص.

(٦) هو الدعاء، لكن عطفه لاختلاف اللفظ توكيدًا.

(٧) كذا في جميع نسخ "صحيح مسلم"، قال النووي رحمه الله: واتفق العلماء علىٰ أنه غلط، وصوابه: والوليد ابن عتبة.

(٨) رواه البخاري برقم (٢٩٣٤)، ومسلم برقم (١٧٩٤)، واللفظ له، والتعليقات التي عليه هي من=

فإذا كان هذا الإيذاء لرسول الله ﷺ وهناك من يدافع عنه، ويحميه، فكيف بالمستضعفين؟ لاشك أنهم لقوا صنوفًا من البلايا، والاضطهاد من أعداء الله؛ ولـــذا يقول ابن مسعود رضي الله عنه: أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمَّار وأمُّه سُميَّة، وصهيب، وبلال، والمقداد، فأمَّا رسول الله ﷺ فمنعه اللهُ بعمِّه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأمَّا سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم إنسان إلا وقد واتاهم علىٰ ما أرادوا إلا بلال، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان علىٰ قومه، فأعطوه الولدان، وأخذوا يطوفون به شِعاب مكة، وهو يقول: أحدٌ، أحد.(١)

= "شرح النووي علىٰ صحيح مسلم".

(١) رواه أحمد (١/ ٤٠٤)، وهو حديث حسن؛ رجاله ثقات كلهم سوىٰ عاصم بن أبي النجود وهو حسن الحديث.

فَهَاجَرَ مِنْهُم نَحْوُ ثَمَانِيْنَ رَجُلًا بَعْضُهُم بِنَفْسِهِ وَبَعْضُهُم بِأَهْلِهِ.

لما كثر المسلمون وخاف منهم الكفار اشتدَّ أذاهم له ﷺ، وفتنتهم إياهم، فأذن لهم رسول الله ﷺ في الهجرة إلىٰ الحبشة، وقال: «**إن بها ملكًا لا يُظلم الناس عنده**»؛ فهاجر من المسلمين اثنا عشر رجلًا، وأربع نسوة، منهم عثمان بن عفان، وهو أول من خرج ومعه زوجته رُقيَّة بنت رسول الله ﷺ، فأقاموا في الحبشة في أحسن جوار، فبلغهم أن قريشًا أسلمت، وكان هذا الخبر كذبًا؛ فرجعوا إلىٰ مكة، فلما بلغهم أن الأمر اشد مما كان رجع منهم من رجع، ودخل جماعة فلقوا من قريش أذًىٰ شديدًا، وكان ممن دخل مكة عبد الله بن مسعود، ثم أُذن في الهجرة ثانيًا إلىٰ الحبشة، فهاجر من الرجال ثلاثة وثمانون رجلًا، إن كان فيهم عمار فإنه يشك فيه، ومن النساء ثمان عشرة امرأة، فأقاموا عند النجاشي علىٰ أحسن حال... .[1]

وقد روت لنا أمُّ المؤمنين أُمُّ سلمة ابنة أبي أُميَّة بن المغيرة زوج النبي ﷺ ورضي الله عنها قصة إقامتهم في الحبشة فقالت: نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ، جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ: النَّجَاشِيَّ، أَمِنَّا عَلَىٰ دِينِنَا وَعَبَدْنَا اللَّهَ، لَا نُؤْذَىٰ، وَلَا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا ائْتَمَرُوا أَنْ يَبْعَثُوا إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ فِينَا رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ، وَأَنْ يُهْدُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَا مِمَّا يُسْتَطْرَفُ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ، وَكَانَ مِنْ أَعْجَبِ مَا يَأْتِيهِ مِنْهَا إِلَيْهِ الْأَدَمُ، فَجَمَعُوا لَهُ أَدَمًا كَثِيرًا، وَلَمْ يَتْرُكُوا مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقًا إِلَّا أَهْدَوْا لَهُ هَدِيَّةً،

---

(١) انظر "زاد المعاد" (١/ ٩٧-٩٨).

ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيِّ، وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ، وَأَمَرُوهُمَا أَمْرَهُمْ، وَقَالُوا لَهُمَا: ادْفَعُوا إِلَىٰ كُلِّ بِطْرِيقٍ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمُوا النَّجَاشِيَّ فِيهِمْ، ثُمَّ قَدِّمُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَاهُ، ثُمَّ سَلُوهُ أَنْ يُسْلِمَهُمْ إِلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ. قَالَتْ: فَخَرَجَا فَقَدِمَا عَلَىٰ النَّجَاشِيِّ وَنَحْنُ عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ، وَعِنْدَ خَيْرِ جَارٍ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقٌ إِلَّا دَفَعَا إِلَيْهِ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَا النَّجَاشِيَّ، ثُمَّ قَالَا لِكُلِّ بِطْرِيقٍ مِنْهُمْ: إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَىٰ بَلَدِ الْمَلِكِ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتُمْ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَىٰ الْمَلِكِ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ لِيَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ فَتُشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسْلِمَهُمْ إِلَيْنَا وَلَا يُكَلِّمَهُمْ؛ فَإِنَّ قَوْمَهُمْ أَعَلَىٰ بِهِمْ عَيْنًا وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ. فَقَالُوا لَهُمَا: نَعَمْ. ثُمَّ إِنَّهُمَا قَرَّبَا هَدَايَاهُمْ إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ، فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا، ثُمَّ كَلَّمَاهُ فَقَالَا لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَىٰ بَلَدِكَ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَيْكَ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ لِتَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَهُمْ أَعَلَىٰ بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ. قَالَتْ: وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَىٰ عَبْدِاللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ النَّجَاشِيُّ كَلَامَهُمْ. فَقَالَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ: صَدَقُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَوْمُهُمْ أَعَلَىٰ بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ؛ فَأَسْلِمْهُمْ إِلَيْهِمَا، فَلْيَرُدَّاهُمْ إِلَىٰ بِلَادِهِمْ

وَقَوْمِهِمْ. قَالَ: فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ ثُمَّ قَالَ: لَا هَيْمُ اللَّهِ[١]، إِذَنْ لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْهِمَا وَلَا أُكَادُ قَوْمًا جَاوَرُونِي وَنَزَلُوا بِلَادِي وَاخْتَارُونِي عَلَىٰ مَنْ سِوَايَ حَتَّىٰ أَدْعُوَهُمْ فَأَسْأَلَهُمْ مَا يَقُولُ هَذَانِ فِي أَمْرِهِمْ؛ فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولَانِ أَسْلَمْتُهُمْ إِلَيْهِمَا وَرَدَدْتُهُمْ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا عَلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ، مَنَعْتُهُمْ مِنْهُمَا، وَأَحْسَنْتُ جِوَارَهُمْ مَا جَاوَرُونِي.

قَالَتْ: ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَدَعَاهُمْ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللَّهِ مَا عَلَّمَنَا، وَمَا أَمَرَنَا بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ كَائِنٌ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ. فَلَمَّا جَاؤُوهُ وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَاقِفَتَهُ، فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ، سَأَلَهُمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ؟ قَالَتْ: فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَىٰ ذَلِكَ حَتَّىٰ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَىٰ اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنْ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنْ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ

---

(١) قال في "تاج العروس": هَيمُ اللهِ، بفتح وضم الميم، والأصل: ايم الله، قلبت الهزة هاء.

وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ.

قَالَتْ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ.

فَصَدَّقْنَاهُ، وَآمَنَّا بِهِ، وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا؛ فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا، فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا؛ لِيَرُدُّونَا إِلَىٰ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنْ الْخَبَائِثِ، فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا، وَشَقُّوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا؛ خَرَجْنَا إِلَىٰ بَلَدِكَ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَىٰ مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ.

قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ؟

قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ. فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ. فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ قَالَتْ: فَبَكَىٰ وَاللَّهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّىٰ أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّىٰ أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ. ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَاللَّهِ وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ، انْطَلِقَا فَوَاللَّهِ لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَدًا، وَلَا أُكَادُ.

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: وَاللَّهِ لَأُنَبِّئَنَّهُمْ غَدًا عَيْبَهُمْ عِنْدَهُمْ، ثُمَّ أَسْتَأْصِلُ بِهِ خَضْرَاءَهُمْ. قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُاللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ وَكَانَ أَتْقَىٰ الرَّجُلَيْنِ فِينَا: لَا تَفْعَلْ؛ فَإِنَّ لَهُمْ أَرْحَامًا، وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا.

قَالَ: وَاللَّهِ لَأُخْبِرَنَّهُ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ. قَالَتْ: ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ الْغَدَ فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا؛ فَأَرْسِلْ إِلَيْهِمْ فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ. قَالَتْ: فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ؟ قَالَتْ: وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُهُ، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَىٰ إِذَا سَأَلَكُمْ عَنْهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللَّهِ فِيهِ مَا قَالَ اللَّهُ، وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ. فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالَ لَهُمْ: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَرُوحُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ. قَالَتْ: فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَىٰ الْأَرْضِ، فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا ثُمَّ قَالَ: مَا عَدَا عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ. فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ. فَقَالَ: وَإِنْ نَخَرْتُمْ وَاللَّهِ، اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ سُيُومٌ بِأَرْضِي -وَالسُّيُومُ الْآمِنُونَ- مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي دَبْرًا ذَهَبًا وَأَنِّي آذَيْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ -وَالدَّبْرُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ الْجَبَلُ- رُدُّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهَا، فَوَاللَّهِ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي فَآخُذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ، وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِيَّ فَأُطِيعَهُمْ فِيهِ.

قَالَتْ: فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحَيْنِ مَرْدُودًا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَا بِهِ، وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ.

قَالَتْ: فَوَاللَّهِ، إِنَّا عَلَىٰ ذَلِكَ إِذْ نَزَلَ بِهِ -يَعْنِي مَنْ يُنَازِعُهُ فِي مُلْكِهِ- قَالَت: فَوَاللَّهِ، مَا عَلِمْنَا حُزْنًا قَطُّ كَانَ أَشَدَّ مِنْ حُزْنٍ حَزِنَّاهُ عِنْدَ ذَلِكَ؛ تَخَوُّفًا أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ

عَلَىٰ النَّجَاشِيِّ فَيَأْتِيَ رَجُلٌ لَا يَعْرِفُ مِنْ حَقِّنَا مَا كَانَ النَّجَاشِيُّ يَعْرِفُ مِنْهُ.

قَالَتْ: وَسَارَ النَّجَاشِيُّ وَبَيْنَهُمَا عُرْضُ النِّيلِ. قَالَتْ: فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ حَتَّىٰ يَحْضُرَ وَقْعَةَ الْقَوْمِ، ثُمَّ يَأْتِينَا بِالْخَبَرِ؟ قَالَتْ: فَقَالَ الزُّبَيْرُ ابْنُ الْعَوَّامِ: أَنَا. قَالَتْ: وَكَانَ مِنْ أَحْدَثِ الْقَوْمِ سِنًّا. قَالَتْ: فَنَفَخُوا لَهُ قِرْبَةً فَجَعَلَهَا فِي صَدْرِهِ ثُمَّ سَبَحَ عَلَيْهَا حَتَّىٰ خَرَجَ إِلَىٰ نَاحِيَةِ النِّيلِ الَّتِي بِهَا مُلْتَقَىٰ الْقَوْمِ، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّىٰ حَضَرَهُمْ. قَالَتْ: وَدَعَوْنَا اللَّهَ لِلنَّجَاشِيِّ بِالظُّهُورِ عَلَىٰ عَدُوِّهِ وَالتَّمْكِينِ لَهُ فِي بِلَادِهِ، وَاسْتَوْسَقَ عَلَيْهِ أَمْرُ الْحَبَشَةِ، فَكُنَّا عِنْدَهُ فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ حَتَّىٰ قَدِمْنَا عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِمَكَّةَ.(١)

قال الشيخ حافظ رحمه الله:

وَبَالَغَ الكُفَّارُ فِي أَذِيَّتِهْ ... وَفِي إِيذَاءِ[٢] مُسْتَجِيبِ دَعْوَتِهْ

ضَرْبًا وَحَبْسًا وَإِهَانَةً وَقَدْ ... حَمَاهُ ذُو العَرْشِ المُهَيْمِنُ الصَّمَدْ

هَذَا وَلَمَّا ازْدَادَ ظُلْمُ الظَّلَمَهْ ... آذَنَ أَنْ يُهَاجِرُوا لِأَصْحَمَهْ

هُوَ النَّجَاشِيُّ فَسَارَ مِنْهُمُ ... إِلَيْهِ مِنْ فَوْقِ الثَّمَانِينَ هُمُ

(١) رواه أحمد (١/ ٢٠١)، وهو حديث حسن، وحسنه شيخنا الوادعي رحمه الله في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" (٢/ ٥٣٨) برقم (١٦٥١).

[٢] في المخطوط: [إذاء].

س٢٢/ مَاذَا لَقِيَ ﷺ هُوَ وَأَهْلُ بَيْتِهِ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ؟

ج/ لَمْ يَزَلِ الْمُشْرِكُونَ مُبَالِغِيْنَ فِي أَذِيَّتِهِ حَتَّىٰ أَجْمَعُوا عَلَىٰ قَتْلِهِ، فَحَاطَهُ اللهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، فَجَمَعَ أَهْلَهُ وَعَشِيْرَتَهُ بَنِي هَاشِمٍ، وَبَنِي الْمُطَّلِبِ فَأَجْمَعُوا مُؤْمِنُهُم وَكَافِرُهُم عَلَىٰ حِمَايَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَتَقْدِيْمِ أَنْفُسِهِم دُونَهُ غَيْرُ أَبِي لَهَبٍ تَبَّتْ يَدَاهُ وَتَبّ. (ش)

(ش) لقد اشتد المشركون علىٰ المسلمين كأشد ما كانوا حتىٰ بلغ المسلمين الجهد، واشتد عليهم البلاء، واجتمعت قريش في مكرها أن يقتلوا رسول الله ﷺ علانية، فلما رأىٰ أبو طالب عمل القوم جمع بني عبد المطلب، وأمرهم أن يُدخِلوا رسول الله ﷺ شعبهم، ويمنعوه ممن أراد قتله، فاجتمعوا علىٰ ذلك مسلمهم وكافرهم، فمنهم من فعله حمية، ومنهم من فعله إيمانًا ويقينًا.[١]

---

(١) رواه البيهقي في "دلائل النبوة" (٢/ ٣١١) عن الزهري مرسلًا.

س٢٣/ مَاذَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ لَمَّا رَأَوا [ذَلِكَ][١]؟

ج/ لَمَّا رَأَىٰ الْمُشْرِكُونَ ذَلِكَ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ قَطِيْعَةِ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ عَلَىٰ أَنْ لَا يُخَالِطُوهُم، وَلَا يُكَالِمُوهُم، وَلَا يُنَاكِحُوهُم، وَلَا يَنَالُوهُم بِخَيْرٍ أَبَدًا، وَكَتَبُوا بِذَلِكَ صَحِيْفَةً وَأَلْصَقُوهَا[٢] فِي جِدَارِ الْكَعْبَةِ، وَاجْتَمَعَ بَنُو هَاشِمٍ، وَبَنُو الْمُطَّلِبِ فِي شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ عَلَىٰ مَا هُم فِيْهِ. (أ)

(أ) لما عرفت قريش أن القوم قد منعوا رسول الله ﷺ واجتمعوا علىٰ ذلك اجتمع المشركون من قريش فأجمعوا أمرهم أن لا يجالسوهم، ولا يبايعوهم، ولا يدخلوا بيوتهم حتىٰ يسلموا رسول الله ﷺ للقتل، وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهودًا ومواثيق لا يقبلوا من بني هاشم أبدًا صلحًا ولا تأخذهم بهم رأفة حتىٰ يسلموه للقتل.

فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين واشتد عليهم البلاء والجهد، وقطعوا عنهم الأسواق فلا يتركون طعامًا يَقْدَم مكة ولا بيعًا إلا بادروهم فاشتروه؛ يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله ﷺ.(٣)

وقد ثبت عنه ﷺ تحديد الموضع الذي تقاسم وتعاقد فيه المشركون علىٰ

---

[١] في المخطوط: [لذلك] بدل: ذلك.

[٢] في المخطوط: [ولصقوها]، والمثبت هو الصواب.

(٣) رواه البيهقي في "دلائل النبوة" (٢/ ٣١١-٣١٢) عن الزهري مرسلًا، وينظر "السيرة" لابن هشام (١/ ٤٣٠)، و"عيون الأثر" لابن سيد الناس (١/ ١٢١)، و"السيرة" للذهبي (ص٢٢١).

ذلك، قال أبو هريرة ﷺ، قال رسول الله ﷺ حين أردنا حنينًا: «**منزلنا غدًا –إن شاء الله– بخيف بني كنانة حيث تقاسموا علىٰ الكفر**».[(١)]

وهذا الحديث فيه دلالة علىٰ صحة أصل القصة؛ ولذا قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في "فتح الباري" (٧/ ٢٤٢): ولما لم يثبت عند البخاري شيء من هذه القصة اكتفىٰ بإيراد حديث أبي هريرة؛ لأن فيه دلالة علىٰ أصل القصة؛ لأن الذي أورده أهل المغازي من ذلك كالشرح لقوله في الحديث: «**تقاسموا علىٰ الكفر**».

قلت: وخيف بني كنانة هو المُحَصَّب: موضعٌ بين مكة ومنىٰ، وهو إلىٰ منىٰ أقرب، وحَدُّه من الحُجُون ذاهبًا إلىٰ منىٰ... .[(٢)]

وأما شعب أبي طالب ويُعرف اليوم بشعب علي؛ فهو الشعب الذي يسيل بطرف أبي قبيس من الشمال بينه وبين الخندمة، فيه مولد رسول الله ﷺ –كذا يقال– وهو اليوم[(٣)] (مكتبة مكة) يصب سيله علىٰ سوق الليل فوق المسجد الحرام بحوالي ثلاث مائة متر.

وقد صار هذا الشعب حيًّا من أحياء مكة له عمدة يدعىٰ عمدة شعب علي، ثم أُزِيل الشعب كلُّه ونَزَح أهله سنة (١٤٠١هـ) إِثر وقعة جهيمان.[(٤)]

(١) رواه البخاري برقم (١٥٨٩) و(٣٨٨٢).
(٢) "معجم معالم الحجاز" (٨/ ١٥١٥) للبلادي.
(٣) أي: المكان الذي يقال: إنه وُلِدَ فيه ﷺ، وليس هناك ما يثبت ذلك.
(٤) "معجم معالم الحجاز" (٥/ ٩١٤).

قال الشيخ حافظ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَـــدْ تَــمَالَأَتْ قُـــرَيْشٌ أَجْمَعَـــا ... أَنْ يَقْتُلُـــوا النَّبِـــيْ فَلَمَّاجْتَمَعَـــا

شِـــعْبَا بَنِـــي هَاشِـــمِ وَالمُطَّلِـــبِ ... مَـــعْ عَمِّـــهِ عَلَـــىٰ حِمَايَـــةِ النَّبِـــيْ

أَجْمَـــعَ كُلُّهُـــمْ عَلَـــىٰ قَطْعِهِمُـــو ... فَمَكَثُـــوا ثَـــلَاثَ فِـــي شِـــعْبِهِمُو

فَاشْـــتَدَّ جِـــدًّا بِهِـــمُ الـــبَلَاءُ ... وَالجَهْـــدُ وَالغَـــلَاءُ وَالْعَنَـــاءُ

س٢٤/ مَتَى كَانَ نَقْضُ الصَّحِيْفَةِ؟

ج/ لَمْ يَزَالُوا مَحْصُورِيْنَ فِي الشِّعْبِ ثَلَاثَ سِنِيْنَ حَتَّىٰ مَشَىٰ فِي نَقْضِ الصَّحِيْفَةِ هِشَامُ بْنُ عَمْرٍو، وَزُهَيْرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، وَمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ، وَأَبُو الْبُخْتُرِيِّ بْنُ هِشَامٍ، وَزَمْعَةُ بْنُ الأَسْوَدِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، ثُمَّ قُطِّعتِ الصَّحِيْفَةُ وَقَدْ وَجَدُوا الْأَرَضَةَ أَكَلَتْ كُلَّ مَا فِيْهَا مِنَ الْقَطِيْعَةِ وَلَمْ يَبْقَ[١] إِلَّا اسْمُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَقَدْ أُخْبِرَ ﷺ بِذَلِكَ قَبْلَ تَمْزِيْقِهَا.

هذه القصة بهذه التفاصيل لم يصح منها شيء بسند تقوم به الحجة، وإنما هي مراسيل، لكن أصل القصة ثابت كما تقدم عن الحافظ؛ ولذا قال(٢): ولما لم يثبت عند البخاري شيء من هذه القصة اكتفىٰ بإيراد حديث أبي هريرة؛ لأن فيه دلالة علىٰ أصل القصة؛ لأن الذي أورده أهل المغازي كالشرح لقوله في الحديث: «**تقاسموا علىٰ الكفر**».(٣)

قلت: والقصة رواها ابن إسحاق كما في "السيرة" لابن هشام، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال ابن إسحاق: وبنو هاشم وبنو المطلب في منزلهم الذي تعاقدت فيه قريش عليهم في الصحيفة التي كتبوها، ثم إنه قام في نقض تلك الصحيفة التي تكاتبت فيها قريش علىٰ بني هاشم وبني المطلب نفر من قريش، ولم يُبْلِ فيها أحد أحسن من

---

[١] في المخطوط: [يبقىٰ]، والصواب ما أثبت؛ لأنه مجزوم بـ(لم)، وعلامة جزمه حذف الألف.

(٢) في "فتح الباري" (٧/ ٢٤٢).

(٣) وقد تقدم الحديث قريبًا.

بلاء هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حُبَيِّب بن نصر بن جَذِيمة بن مالك ابن حسل بن عامر بن لؤي؛ وذلك أنه كان ابن أخي نضلة بن هاشم بن عبد مناف لأمه فكان هشام لبني هاشم واصلا وكان ذا شرف في قومه، فكان -فيما بلغني- يأتي بالبعير وبنو هاشم وبنو المطلب في الشعب ليلا قد أوقره طعاما حتىٰ إذا أقبل به فم الشعب خلع خطامه من رأسه ثم ضرب علىٰ جنبه فيدخل الشعب عليهم، ثم يأتي به قد أوقره بزًّا فيفعل به مثل ذلك.

قال ابن إسحاق: ثم إنه مشىٰ إلىٰ زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب، فقال: يا زهير، أقد رضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث قد علمت لا يباعون ولا يبتاع منهم، ولا ينكحون ولا ينكح إليهم، أما إني أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام ثم دعوته إلىٰ مثل ما داعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبدا. قال: ويحك يا هشام! فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد، والله لو كان معي رجل آخر لقمت في نقضها حتىٰ أنقضها. قال: قد وجدت رجلا. قال: فمن هو؟ قال: أنا. قال له زهير: أبغنا رجلا ثالثا.

فذهب إلىٰ المطعم بن عدي فقال له: يا مطعم، أقد رضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد علىٰ ذلك موافق لقريش فيه؟ أما والله لئن مكَّنتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم سراعا. قال: ويحك! فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد. قال: قد وجدت ثانيا. قال: من هو؟ قال: أنا. فقال: أبغنا ثالثا.

قال: قد فعلت. قال: من هو؟ قال: زهير بن أبي أمية. قال: أبغنا رابعا.

فذهب إلىٰ أبي البختري بن هشام فقال له نحوًا مما قال للمطعم بن عدي. فقال: وهل من أحد يعين علىٰ هذا؟ قال: نعم. قال: من هو؟ قال: زهير بن أبي أمية، والمطعم بن عدي، وأنا معك. قال: أبغنا خامسا.

فذهب إلىٰ زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد فكلمه وذكر له قرابتهم وحقهم، فقال له: وهل علىٰ هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد؟ قال: نعم. ثم سمَّىٰ له القوم، فاتعدوا خطم الحجون ليلا بأعلىٰ مكة، فاجتمعوا هنالك فأجمعوا أمرهم وتعاقدوا علىٰ القيام في الصحيفة حتىٰ ينقضوها، وقال زهير: أنا أبدؤكم فأكون أول من يتكلم.

فلما أصبحوا غدوا الىٰ أنديتهم وغدا زهير بن أبي أمية عليه حلة فطاف بالبيت سبعًا ثم أقبل علىٰ الناس فقال: يا أهل مكة، أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكة لا يباع ولا يبتاع منهم، والله لا أقعد حتىٰ تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة. فقال أبو جهل وكان في ناحية المسجد: كذبت والله، لا تشق. قال زمعة ابن الأسود: أنت والله أكذب، ما رضينا كتابتها حين كتبت. قال أبو البختري: صدق زمعة لا نرضىٰ ما كتب فيها ولا نُقِرُّ به. قال المطعم بن عدي: صدقتما وكذب من قال غير ذلك، نبرأ الىٰ الله منها ومما كتب فيها. قال هشام بن عمرو نحوا من ذلك، فقال أبو جهل: هذا أمر قضي بليل، تُشُووِرَ فيه بغير هذا المكان.

وأبو طالب جالس في ناحية المسجد، فقام المطعم إلىٰ الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا: (باسمك اللهم) وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة، فَشُلَّت يده فيما يزعمون.

قال ابن هشام: وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال لأبي طالب: «**يا عم، إنَّ ربي الله قد سلط الأرضة علىٰ صحيفة قريش فلم تدع فيها اسما هو لله إلا أثبتته فيها ونفت منه الظلم والقطيعة والبهتان**» فقال: أربُّك أخبرك بهذا؟ قال: «**نعم**» قال: فوالله، ما يدخل عليك أحد. ثم خرج إلىٰ قريش فقال: يا معشر قريش، إن ابن أخي أخبرني بكذا وكذا، فهلم صحيفتكم؛ فإن كان كما قال ابن أخي فانتهوا عن قطيعتنا وانزلوا عما فيها، وإن كان كاذبًا دفعت إليكم ابن أخي. فقال القوم: رضينا. فتعاقدوا علىٰ ذلك، ثم نظروا فإذا هي كما قال رسول الله ﷺ، فزادهم ذلك شرًّا فعند ذلك صنع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا.(١)

قال الشيخ حافظ رَحِمَهُ اللهُ:

فَقَـامَ رَهْـطٌ هُـمْ مِـنَ الْكِـرَامِ وَأَنْكَـرُوا قَطِيعَـةَ الأَرْحَـامِ
وَمَزَّقُـوا صَـحِيفَةَ الظُّلْـمِ الَّتِـي قَـدْ أَجْمَعُـوا فِيهَـا عَلَـىٰ القَطِيعَـةِ

(١) ينظر "صحيح البخاري" برقم (١٥٨٩) و(٣٨٨٢)، و"السيرة" للذهبي (ص٢٢١)، و"الفصول في سيرة الرسول" لابن كثير (ص٦٦-٦٧).

س٢٥/ فِي أيِّ عَامٍ كَانَ ذَلِكَ، وَمَا الَّذِي حَدَثَ فِي هَذَا الْعَامِ؟

ج/ كَانَ ذَلِكَ عَامَ عَشْرٍ مِنْ بِعْثَتِهِ، وَفِي هَذَا الْعَامِ تُوُفِّيَتْ زَوْجَتُهُ خَدِيْجَةُ ﵂، وَعَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ (١)، وَفِيْهَا تَلَا (النَّجْمَ)......................،

(١) وأبو طالب مات على كفره ولم يُسلِم بالرغم من حمايته لنبينا ﷺ، ووقوفه أمام المعتدين عليه.

روى البخاري برقم (٣٨٨٤)، ومسلم برقم (٢٤) من حديث المسيب بن حزن ﵁ قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: «**يا عم، قل: لا إله إلا الله؛ كلمة أشهد لك بها عند الله**»، فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أُميَّة: يا أبا طالب، أترغب عن مِلة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب. وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ: «**أما والله، لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك**»، فأنزل الله عزوجل: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [التوبة:١١٣].

وأنزل الله تعالى في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص: ٥٦].

قال الحافظ ابن حجر ﵀ عن هذه الآية الأخيرة: أما نزول هذه الآية الثانية

فواضح في قصة أبي طالب، وأما نزول التي قبلها ففيه نظر، ويظهر أنَّ المراد أنَّ الآية المتعلقة بالاستغفار نزلت بعد أبي طالب بمدة، وهي عامة في حقه وفي حق غيره، ويوضح ذلك ما سيأتي في التفسير بلفظ: فأنزل الله بعد ذلك ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ الآية، وأنزل في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾، ولأحمد من طريق أبي حازم عن أبي هريرة في قصة أبي طالب قال: فأنزل الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾، وهذا كله ظاهر في أنه مات علىٰ غير الإسلام، ويضعف ما ذكره السهيلي أنه رأىٰ في بعض كتب المسعودي أنه أسلم؛ لأن مثل ذلك لا يعارض ما في "الصحيح".[(١)]

(١) "فتح الباري" (٧/ ٢٤٦).

وَسَجَدَ فَسَجَدَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ (1)، وَلَمَّا سَمِعَ مُهَاجِرُو الْحَبَشَةِ رَجَعَ بَعْضُهُم إِلَىٰ مَكَّةَ ظَانِّيْنَ إِسْلَامَ قُرَيْشٍ، وَكَانَ الْأَمْرُ بِخِلَافِ ذَلِكَ.

---

(1) رواه البخاري برقم (٤٨٦٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: سجد النبي ﷺ بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون، والجن والإنس.

ورواه البخاري برقم (٤٨٦٣)، ومسلم برقم (٥٧٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أول سورة أنزلت فيها سجدة: النجم، قال: فسجد رسول الله ﷺ وسجد مَنْ خلفه إلا رجلًا رأيته أخذ كفًّا من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قُتل كافرًا وهو: أُمية بن خلف. وهذا لفظ البخاري.

تنبيه:

أما ما روي من أنه ﷺ قرأ بمكة النجم فلما بلغ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۞ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٩-٢٠]، ألقىٰ الشيطان علىٰ لسانه: (تلك الغرانيق العُلا وإن شفاعتها لترتجىٰ) فهي قصة باطلة غير صحيحة، وقد بين ضعفها وبطلانها العلامة الألباني رحمه الله في رسالته القيمة "نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق"، فمن أراد التوسع فليرجع إليها.

قال الشيخ حافظ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَذَاكَ عَامَ العَشْرِ بَعْدَ بِعْثَتِهْ ... وَفِيهِ قَدْ كَانَ [وَفَاةُ][١] زَوْجَتِهْ

كَذَا وَفَاةُ عَمِّهِ الَّذِي بِهِ ... قَدْ حَاطَهُ الرَّحْمَنُ مِنْ طُلَّابِهِ

وَقَدْ تَلَا النَّجْمَ فَلَمَّا سَجَدَا ... تَابَعَهُ مُسْلِمُهُمْ وَمَنْ عَدَا

وَحِينَمَا قَدْ شَاعَ ذَلِكَ النَّبَا ... آبَ إِلَيْهِ بَعْضُ مَنْ قَدْ غَرَّبَا

وَدَخَلُوا مَكَّةَ بِالجِوَارِ ... وَبَعْضُهُمْ مُعَذَّبٌ فِي البَارِي[٢]

---

[١] في المخطوط: [وفاء]، وهو خطأ من الناسخ.

[٢] كذا في المخطوط والمطبوع، و(الباري): الطريق، قال الأصمعي رَحِمَهُ اللَّهُ: الباري والبارية والبوريا فارسيٌّ معرَّب الطريق. نقله عنه ابن سِيْدَه في «المخصص» في الكلام علىٰ نعوت الطريق.

س٢٦/ مَتَى كَانَ الإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ؟

ج/ كَانَ الإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ بَعْدَ الْخَمْسِينَ مِنْ عُمْرِهِ ﷺ.

فالإِسْرَاءُ: مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ.(أ)

(أ) قال تعالىٰ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١].

وروىٰ مسلمٌ برقم (١٦٢) من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ -وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَىٰ طَرْفِهِ-**، قَالَ: «**فَرَكِبْتُهُ حَتَّىٰ أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ**»، قَالَ: «**فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ**»، قَالَ «**ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عليه السلام بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ ﷺ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ...**» الحديث.

وحديث الإسراء عند البخاري كذلك برقم (٣٨٨٧).

أما بالنسبة لتحديد المكان الذي أُسري به ﷺ منه فقيل: عند البيت. بيته ﷺ بمكة، ورواية: (من شعب أبي طالب)(١)، ورواية: (من بيت أم هانئ).

قال الحافظ رحمه الله في "فتح الباري" (٧/ ٢٥٦): تقدم في أول بدء الخلق بلفظ: «**بينا أنا عند البيت**»، وهو أعم، ووقع في رواية الزهري عن أنس عن أبي ذر: «**فرج**

---

(١) تقدم الكلام علىٰ وصف هذا المكان في التعليق علىٰ جواب السؤال رقم (٢٣).

سقف بيتي وأنا بمكة»، وفي رواية الواقدي بأسانيده أنه أسري به من شعب أبي طالب، وفي حديث أم هانئ عند الطبراني أنه بات في بيتها، ففقدته من الليل، فقال: «**إن جبريل أتاني**»، **والجمع بين هذه الأقوال:** أنه نام في بيت أم هانئ وبيتها عند شعب أبي طالب، ففرج سقف بيته، وأضاف البيت إليه؛ لكونه كان يسكنه، فنزل منه الملك فأخرجه من البيت إلىٰ المسجد، فكان به مضطجعا وبه أثر النعاس، ثم أخرجه الملك إلىٰ باب المسجد فأركبه البراق، وقد وقع في مرسل الحسن عند ابن إسحاق أن جبريل أتاه فأخرجه إلىٰ المسجد، فأركبه البراق. وهو يؤيد هذا الجمع... اهـ

وَالْمِعْرَاجُ: مِنَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ إِلَىٰ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ (أ)، وَإِلَىٰ مُسْتَوَىً سَمِعَ فِيْهِ صَرِيْفَ الْأَقْلَامِ (ب)، وَإِلَىٰ حَيْثُ شَاءَ اللهُ تَعَالَى وَرَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ (ج)، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ (د) ....،

(أ) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾[النجم:١٣-١٤].

(ب) رواه البخاري برقم (٣٤٩)، ومسلم برقم (١٦٣)، وفيه: «**ثم عرج بي حتىٰ ظهرت لمستوًىٰ أسمع فيه صريف الأقلام**».

وصريف الأقلام: بفتح الصاد المهملة: تصويتها حالة الكتابة، والمراد ما تكتبه الملائكة من أقضية الله سبحانه وتعالىٰ. قاله الحافظ رحمه الله.

(ج) قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٨]، كقوله تعالىٰ: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾[الإسراء:١]، أي: الدالة علىٰ قدرتنا وعظمتنا، وبهاتين الآيتين استدل من ذهب من أهل السُّنَّة أنَّ الرؤيا تلك الليلة لم تقع؛ لأنه قال: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾، ولو كان رأىٰ ربه لأخبر بذلك ولقال ذلك للناس... .

قاله الحافظ ابن كثير في "تفسيره" (١٣/ ٢٦٤).

(د) لما رواه البخاري برقم (٣٤٩)، ومسلم برقم (١٦٣)، وفيه: «**ففرض الله علىٰ أمتي خمسين صلاة، فرجعت بذلك حتىٰ مررت علىٰ موسىٰ فقال: ما فرض الله لك علىٰ أمتك؟ قلت: فرض خمسين صلاة. قال: فارجع إلىٰ ربك؛ فإن أمتك**

لا تطيق ذلك. فراجعني، فوضع شطرها، فرجعت إلىٰ موسىٰ، قلت: وضع شطرها. فقال: راجع ربك؛ فإن أمتك لا تطيق. فراجعت فوضع شطرها، فرجعت إليه فقال: ارجع إلىٰ ربك؛ فإن أمتك لا تطيق ذلك. فراجعته فقال: هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي»، واللفظ للبخاري.

ثُمَّ أَصْبَحَ بِمَكَّةَ (أ)، وَفِي صَبِيْحَةِ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَتَاهُ جِبْرِيْلُ بِبَيَانِ مَوَاقِيْتِ الصَّلَوَاتِ (ب) ....،

(أ) روىٰ البيهقي في "دلائل النبوة" (٢/ ٣٥٥-٣٥٧) حديثًا طويلًا، وفيه: «**ثم أتيت أصحابي قبل الصبح...**» الحديث.

قال البيهقي رَحِمَهُ اللهُ عَقِبَه: وهذا إسناد صحيح.اهـ

وله شواهد ذكرها الألباني رَحِمَهُ اللهُ في "الصحيحة" برقم (٣٠٦).

(ب) قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ في "فتح الباري" (٢/ ٥) -تحت حديث رقم (٥٢١) عند قول ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إن جبريل نزل، فصلىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معه-: بيَّن ابنُ إسحاق في "المغازي" أن ذلك كان صبيحة الليلة التي فرضت فيها الصلاة وهي ليلة الإسراء، قال ابن إسحاق: (حدثني عتبة بن مسلم، عن نافع بن جبير)، وقال عبدالرزاق: (عن ابن جريج)، قال: قال نافع بن جبير وغيره: لما أصبح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الليلة التي أسرىٰ به لم يَرُعْهُ إلا جبريل نزل حين زاغت الشمس؛ ولذلك سميت الأولىٰ، أي: صلاة الظهر، فأمر، فَصِيْحَ بأصحابه: الصلاة جامعة. فاجتمعوا، فصلىٰ به جبريل وصلىٰ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالناس، فذكر الحديث، وفيه ردٌّ علىٰ من زعم أن بيان الأوقات إنما وقع بعد الهجرة، والحق أن ذلك وقع قبلها ببيان جبريل وبعدها ببيان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.اهـ

وَحِيْنَ أَخْبَرَ بِالْإِسْرَاءِ (أ) ازْدَادَ الَّذِيْنَ آمَنُوا إِيْمَانًا، وَاشْتَدَّ عِنَادُ الْكُفَّارِ عُدْوَانًا وَطُغْيَانًا.

(أ) روى البخاري برقم (٣٨٨٦)، ومسلم برقم (١٧٠) من حديث جابر رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لما كذبتني قريش قمت في الحِجْر، فجلَّى الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته، وأنا أنظر إليه**».

قال الشيخ حافظ رحمه الله:

وَبَعْـدَ ذَا قَـدْ كَـانَ الإِسْـرَاءُ كَـمَا	جَـاءَ الكِتَـابُ وَالعُـرُوجُ للسَّـمَا
لِـمُسْتَوَىٰ وَحَيْـثُ شَـاءَ اللهُ	كَـمَا هُـوَ الأَدْرَىٰ بِمُنْتَهَـاهُ
وَكَـانَ ذَا بِـالرُّوحِ وَالجِسْـمِ (١) بِـلَا	شَـكٍّ وَكَـمْ نَـصٍّ بِـهِ قَـدْ نُقِـلَا
وَفُرِضَـتْ هُنَالِـكَ الصَّـلَاةُ	عَلَيْـهِ وَانْجَلَـتْ لَـهُ الآيَـاتُ
وَفِـي صَبَـاحِ ذَلِـكَ اليَـوْمِ أَتَـىٰ	جِبْرِيـلُ لِلْخَمْـسِ غَـدَا مُوَقِّتَـا[٢]
وَعِنْـدَمَا أَخْبَـرَ بِالإِسْـرَاءِ	نَـادِيَهُمْ زَادُوا بِـالازْدِرَاءِ[٣]

---

(١) قال القاضي عياض رحمه الله في "إكمال المعلم" (١/ ٤٩٧): الحق والذي عليه أكثر الناس ومعظم السلف، وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أُسري بالجسد، والآثار تدل عليه، من طالعها وبحث عنها، ولا يُعدَل عن ظاهرها إلا بدليل، ولا استحالة في حملها عليه، فيحتاج إلى تأويل.

[٢] في المخطوط: [معلمًا].

[٣] في المخطوط: [الافتراء].

س٢٧/ مَتَى كَانَ انْشِقَاقُ الْقَمَرِ؟

ج/ كَانَ انْشِقَاقُ الْقَمَرِ بَعْدَ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ، لَمَّا سَأَلَ الْمُشْرِكُونَ مِنْهُ ﷺ آيَةً أَرَاهُمُ الْقَمَرَ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةً عَلَىٰ جَبَلِ أَبِي قُبَيْسٍ (أ)، وَفِرْقَةً دُونَهُ، فَقَالَ: «اشْهَدُوا»، فَأَعْرَضُوا وَقَالُوا: سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ. (ب)

(أ) هو الجبل المشرف علىٰ الكعبة المشرفة من مطلع الشمس، وكان يزحم السيل فيدفعه إلىٰ المسجد الحرام؛ فَنُحِت منه الكثير وشُقَّ بينه وبين المسجد الحرام طريقًا للسيل، وطريقًا للسيارات، وهو مكسوٌّ بالبنيان، وفي رأسه مسجد صغير يُسمىٰ مسجد بلال وليس منسوبًا إلىٰ بلال الصحابي رضي الله عنه، إنما هو اسم علىٰ اسم.

وهناك طُرفة تتعلق بجبل أبي قبيس وهي:

الواقف علىٰ أبي قبيس يرىٰ الطائف، فيتبادر إلىٰ الذهن أن المقصود مدينة الطائف؛ فيُدهش السامع لهذا القول، والمقصود: الطائف بالكعبة.(١)

(ب) وانشقاق القمر ثابتٌ بدلالة الكتاب والسنة.

أما الأدلة من كتاب الله عزوجل، فقوله تعالىٰ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر:١].

وأما السُّنَّةُ فمنها ما رواه البخاري برقم (٤٨٦٤)، ومسلم برقم (٢٨٠٠) من

(١) ينظر "معجم معالم الحجاز" (٧/ ١٣٥١).

حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: انشق القمر علىٰ عهد رسول الله ﷺ فرقتين: فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه. فقال رسول الله ﷺ: «**اشهدوا**»، واللفظ للبخاري.

ورویٰ البخاري برقم (٣٨٦٨)، ومسلم (٢٨٠٢) عن أنس رضي الله عنه أنَّ أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر مرتين.... واللفظ لمسلم.

أما لفظ البخاري ففيه: فأراهم القمر شقتين حتىٰ رأوا حراء بينهما.

ورویٰ البخاري برقم (٣٨٧٠)، ومسلم برقم (٢٨٠٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن القمر انشق علىٰ زمان رسول الله ﷺ.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في "السيرة النبوية" (٢/ ١٠٢): وقد أجمع المسلمون علىٰ وقوع ذلك في زمنه عليه الصلاة والسلام، وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة تفيد القطع عند من أحاط بها ونظر فيها.اهـ

ثم ذكر بعضًا منها، وذكر أنه تقصىٰ ذلك في كتابه "التفسير".

فائدة:

جاء في رواية أنس رضي الله عنه عند مسلم: (مرتين) بدل (شقتين) و(فرقتين).

قال الحافظ رحمه الله في "فتح الباري" (٧/ ٢٣٣): ووقع في نظم السيرة لشيخنا الحافظ أبي الفضل: (وانشق مرتين بالإجماع) ولا أعرف من جزم من علماء

الحديث بتعدد الانشقاق في زمنه ﷺ، ولم يتعرض لذلك أحد من شُرَّاح "الصحيحين"، وتكلم ابن القيم علىٰ هذه الرواية فقال: المرات يراد بها الأفعال تارة والأعيان أخرىٰ، والأول أكثر، ومن الثاني: انشق القمر مرتين. وقد خفي علىٰ بعض الناس فادعىٰ أن انشقاق القمر وقع مرتين، وهذا مما يعلم أهل الحديث والسير أنه غلط؛ فإنه لم يقع إلا مرة واحدة، وقد قال العماد بن كثير في الرواية التي فيها (مرتين): نظر، ولعل قائلها أراد فرقتين.

قلت -القائل هو الحافظ-: وهذا الذي لا يتجه غيره؛ جمعًا بين الروايات، ثم راجعت نظم شيخنا[1] فوجدته يحتمل التأويل المذكور، ولفظه:

فَصَارَ فِـرْقَتَيْنِ فِرْقَةٌ عَلَتْ ... وَفِـرْقَةٌ للطَّـوْدِ مِنْـهُ نَزَلَتْ
وَذَاكَ مَـرَّتَيْنِ بِالإِجْمَـاعِ ... وَالنَّصِّ وَالتَّـوَاتُرِ السَّمَـاعِ

فجمع بين قوله (فرقتين) وبين قوله (مرتين) فيمكن أن يتعلق قوله (بالإجماع) بأصل الانشقاق لا بالتعدد، مع أن في نقل الإجماع في نفس الانشقاق نظرًا سيأتي بيانه.اهـ

قلت: ولعله يريد بالإجماع ما أراد ابن كثير فيما نقلته عنه آنفًا من أنه إجماع في زمنه ﷺ، لكن يبقىٰ الإشكال في الإطلاق، والله أعلم.

قال الشيخ حافظ رَحِمَهُ اللهُ:

وَبَعْـدَ ذَا[2] كَـانَ انْشِـقَاقُ القَمَـرِ ... قَـدْ جَـاءَ فِـي الآيِ وَبِـالتَّوَاتُرِ

(١) يريد شيخه العراقي رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) أي: بعد الإسراء.

س٢٨/ مَتَى كَانَ ذَهَابُهُ ﷺ إِلَى ثَقِيفٍ، وَكَيْفَ كَانَ حَالُهُ مَعَهُم وَرُجُوعُهُ؟

ج/ لَمَّا تُوفِّيَ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ جَدَّ الْمُشْرِكُونَ وَاجْتَهَدُوا فِي أَذِيَّتِهِ، فَذَهَبَ إِلَىٰ ثَقِيفٍ يَدْعُوهُم إِلَىٰ اللهِ، وَأَنْ يَحْمُوهُ وَيَنْصُرُوهُ حَتَّىٰ يُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَقْبَحَ رَدًّا عَلَيْهِ مِنْهُم، وَأَشَدَّ أَذِيَّةً لَهُ حَتَّىٰ أَغْرَوْا بِهِ صِبْيَانَهُم، فَرَمَوهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّىٰ أَدْمَوا عَقِبَيْهِ[1] الشَّرِيفَتَيْنِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَىٰ مَكَّةَ لَمْ يَدْخُلْهَا إِلَّا فِي جِوَارِ الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ. (ت)

(ت) ولم ينس -صلوات ربي وسلامه عليه بأبي هو وأمي- صنيع المطعم، وهذا إنما يدل علىٰ شيمته ونبله، وخلقه ﷺ، فقد جاء في "صحيح البخاري" برقم (٣١٣٩) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في أُسارىٰ بدرٍ: «**لو كان المطعم بن عدي حيًّا ثم كلَّمني في هؤلاء النَّتْنَىٰ لتركتهم له**».

قال العيني رحمه الله في "عمدة القاري" (١٥/ ٨٦): مطعم -بلفظ اسم الفاعل من الإطعام- ابن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي، مات كافرا في صفر قبل بدرٍ بنحو سبعة أشهر، وكان قد أحسن السعي في نقض الصحيفة التي كتبتها قريش في أنْ لا يبايعوا الهاشمية والمطلبية ولا يناكحوهم وحصروهم في الشعب ثلاث سنين، فأراد النبي ﷺ أن يكافئه، وقيل: لمَّا مات أبو طالب وخديجة خرج رسول الله ﷺ إلىٰ الطائف فلم يلق عندهم خيرًا ورجع إلىٰ مكة في جوار المطعم.اهـ

---

(١) انظر "السيرة" لابن هشام (١/ ٣١٤)، وابن إسحاق (ص٢٦٣)، وابن كثير (١/ ١٣٣)، و"زاد المعاد" (١/ ٩٨-٩٩).

قال الشيخ حافظ رَحِمَهُ اللهُ:

هَـذَا وَقَـدْ نَالَـتْ قُـرَيْشٌ مِنْـهُ مَـا[١] لَمْ تَـكُ مِـنْ قَبْـلُ تَنَـالُ سِـيمَا

مِـنْ بَعْـدِ مَـوْتِ عَمِّـهِ [ثُـمَّ][٢] ذَهَـبْ يَدْعُوا ثَقِيفًـا لِلْهُـدَىٰ فَلَـمْ تُجِـبْ[٣]

وَلَمْ يَكُـنْ أَقْـبَحَ مِـنْهُمْ رَدًّا عَلَيْـهِ فِـي شَـأْنِ الَّـذِي قَـدْ أَدَّىٰ

---

[١] انظر "زاد المعاد" (١/ ٩٨).

[٢] في المخطوط: [قد] بدل (ثم).

[٣] في المطبوع: [يجب].

س٢٩/ مَتَى كَانَ اسْتِمَاعُ الْجِنِّ لِقِرَاءَتِهِ صلى الله عليه وسلم، وَفِي أَيِّ مَكَانٍ كَانَ ذَلِكَ؟

ج/ كَانَ ذَلِكَ بِنَخْلَةَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ عِنْدَ رُجُوعِهِ مِنْ ثَقِيفٍ، وَكَانَ مِمَّا سَمِعُوهُ سُورَةَ الرَّحْمَنِ، فَكَانُوا إِذَا سَمِعُوا ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:١٣] قَالُوا: وَلَا بِشَيءٍ مِنْ نِعَمِكَ نُكَذِّبُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ. (أ) .....

(أ) روىٰ الترمذي برقم (٣٢٩١)، والحاكم (٢/ ٤٧٣)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٢/ ٢٣٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: خرج رسول الله ﷺ علىٰ أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلىٰ آخرها، فسكتوا، فقال: «**لقد قرأتها علىٰ الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودًا منكم، كنت كلَّما أتيت علىٰ قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قالوا: لا بشيءٍ من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد**».

وفي سنده ضعفٌ، بيد أنَّ له شاهدًا عند ابن جرير في "تفسيره" (٢٢/ ٢٣)، والخطيب في "منتخب الفوائد الصحاح العوالي" برقم (١٣٤) بتحقيقي، وبه يكون حسنًا، وحسنه الألباني رحمه الله في "الصحيحة" برقم (٢١٥٠).

وَأَنْزَلَ اللهُ فِي ذَلِكَ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الأحقاف:٢٩]، (أ)

وَسُورَةَ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن:١]. (ب)

(أ) روىٰ أحمد (١/ ١٦٧) من طريق: عكرمة عن الزبير: «**نفرًا من الجن يستمعون القرآن**»، قال: بنخلة، ورسول الله ﷺ يصلي العشاء الآخرة... إلخ.

وضعفه أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه علىٰ "المسند"، فقال: فإني أُرجح أن عكرمة لم يسمع من الزبير؛ لأن مولاه أهداه لابن عباس حين وَلِيَ البصرة من قِبَلِ علي بن أبي طالب سنة (٦٣)..، وذلك بعد وقعة الجمل ومقتل الزبير يقينًا.

(ب) روىٰ البخاري برقم (٤٩٢١)، ومسلم برقم (٤٤٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلىٰ سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب؛ فرجعت الشياطين فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب. قال: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث؛ فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث؟ فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء؟ قال: فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلىٰ رسول الله ﷺ بنخلة وهو عامد إلىٰ سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تسمعوا له فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السمـاء. فهنالك رجعوا إلىٰ قومهم فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآنا

عجبا . يهدي إلىٰ الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا. وأنزل الله عز و جل علىٰ نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾، وإنما أُوحي إليه قول الجن.

قال الحافظ رحمه الله في "فتح الباري" (٨/ ٨٦٧): قوله: في طائفة من أصحابه. تقدم في أوائل المبعث في باب ذكر الجن أن ابن إسحاق وابن سعد ذكرا أن ذلك كان في ذي القعدة سنة عشر من المبعث لما خرج النبي ﷺ إلىٰ الطائف ثم رجع منها، ويؤيده قوله في هذا الحديث: إن الجن رأوه يصلي بأصحابه صلاة الفجر. والصلاة المفروضة إنما شرعت ليلة الإسراء والإسراء كان علىٰ الراجح قبل الهجرة بسنتين أو ثلاث؛ فتكون القصة بعد الإسراء، لكنه مشكل من جهة أخرىٰ؛ لأن محصل ما في "الصحيح" كما تقدم في بدء الخلق وما ذكره بن إسحاق أنه ﷺ لما خرج إلىٰ الطائف لم يكن معه من أصحابه إلا زيد بن حارثة وهنا قال: إنه انطلق في طائفة من أصحابه. فلعلها كانت وجهة أخرىٰ، ويمكن الجمع بأنه: لما رجع لاقاه بعض أصحابه في أثناء الطريق فرافقوه.اهـ

قال الشيخ حافظ رحمه الله:

وَفِي مَآبِهِ اسْتِمَاعُ الجِنِّ لَهْ ... كَمَا (بِالاحْقَافِ) وَأُخْرَىٰ كَامِلَهْ

وَعَادَ غَيْرَ آمِنٍ لِلْحَرَمِ ... بَلْ بِالدُّخُولِ فِي جِوَارِ المُطْعِمِ

وَذَاكَ أَعْلَىٰ أُسْوَةٍ لِمَنْ دَعَا ... إِلَىٰ سَبِيلِهِ أَيَا مَنْ قَدْ وَعَىٰ

س٣٠/ كَيْفَ كَانَ ﷺ يصنع بعد ذَلِكَ؟

ج/ كَانَ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ فِي الْمَوَاسِمِ وَمَجَامِعِ النَّاسِ يَلْتَمِسُ مَنْ يَحُوطُهُ وَيَحْمِيْهِ حَتَّىٰ يُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ (١) حَتَّىٰ قَيَّضَ اللهُ لِذَلِكَ[١] وَفْدَ الْأَنْصَارِ حِزْبَ الرَّحْمَنِ وَكَتِيْبَةَ الْإِيْمَانِ.

(١) لم يكن بُدٌّ لرسول الله ﷺ، وقد استحكمت العداوة بينه وبين قريش، وإصرارهم علىٰ خلافه، وإباء أهل الطائف نصرته، والدخول في دعوته، وإيذاؤهم له من أنْ يُيَمِّمَ وجهه قبائل العرب الأخرىٰ في مواسم الحج، وأسواق التجارة.

روىٰ الإمام أحمد رحمه الله (٣/ ٣٩٠) من حديث جابر رضي الله عنه، قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَىٰ النَّاسِ بِالْمَوْقِفِ فَيَقُولُ: «**هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَحْمِلُنِي إِلَىٰ قَوْمِهِ؛ فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ**»، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ هَمْدَانَ فَقَالَ: «**مِمَّنْ أَنْتَ؟**» فَقَالَ الرَّجُلُ: مِنْ هَمْدَانَ. قَالَ: «**فَهَلْ عِنْدَ قَوْمِكَ مِنْ مَنَعَةٍ؟**» قَالَ: نَعَمْ. ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ خَشِيَ أَنْ يَخْفِرَهُ قَوْمُهُ، فَأَتَىٰ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: آتِيهِمْ فَأُخْبِرُهُمْ، ثُمَّ آتِيكَ مِنْ عَامٍ قَابِلٍ. قَالَ: «**نَعَمْ**»، فَانْطَلَقَ وَجَاءَ وَفْدُ الْأَنْصَارِ فِي رَجَبٍ. وهو حديث صحيح.

هكذا كان ﷺ (يدعو القبائل إلىٰ الله تعالىٰ، ويعرض نفسه عليهم في كل موسم أن يؤوه حتىٰ يبلغ رسالة ربه، ولهم الجنة، فلم تستجب له قبيلة، وادَّخر الله ذلك كرامةً للأنصار، فلما أراد الله إظهار دينه وإنجاز وعده، ونصر نبيه، وإعلاء

[١] في المخطوط: [لذالك].

كلمته، والانتقام من أعدائه ساقه إلىٰ الأنصار لما أراد بهم من الكرامة...) .[١]

ووقفوا معه ﷺ خير قيام حتىٰ بلَّغ كلام ربه، فاختصهم الله لذلك، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

قال الشيخ حافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَلَمْ يَـــزَلْ يَعْـــرِضُ نَفْسَـــهُ عَلَـــىٰ ... كُـــلِّ قَبِيلَـــةٍ وَيَـــدْعُوهُمْ إِلَـــىٰ
هِدَايَـــةِ الله فَكُـــلٌّ أَنْكَـــرَا ... لِـــمَا لِلانْصَـــارِ الإِلَـــهُ ادَّخَـــرَا

(١) ما بين القوسين من "زاد المعاد" (١/ ١٠٠).

س٣١/ كَمْ كَانَ[١] وَفْدُ الأَنْصَارِ؟

ج/ أَوَّلُ وَفْدٍ مِنْهُم سِتَّةٌ مِنَ الْخَزْرَجِ، فَاسْتَجَابُوا لِمَا دَعَاهُم إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ دَعَوا قَوْمَهُم فَوَفَدَ مِنْ قَابِلٍ اثْنَانِ مِنَ الْأَوْسِ، وَعَشَرَةٌ مِنَ الْخَزْرَجِ (أ)، وَكَانَتْ بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ الْأُولَىٰ، وَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَهُم مُصْعَبًا (ب) مُعَلِّمًا.

(أ) روىٰ الإمام أحمد رحمه الله (٥/ ٣٢٣) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: كُنْتُ فِيمَنْ حَضَرَ الْعَقَبَةَ(٢) الْأُولَىٰ، وَكُنَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فَبَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَىٰ بَيْعَةِ النِّسَاءِ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُفْتَرَضَ الْحَرْبُ عَلَىٰ: **أَلَّا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا نَسْرِقَ وَلَا نَزْنِيَ وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا وَلَا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا وَلَا نَعْصِيَهُ فِي مَعْرُوفٍ؛ فَإِنْ وَفَّيْتُمْ فَلَكُمْ الْجَنَّةُ وَإِنْ غَشِيتُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَأَمْرُكُمْ إِلَىٰ اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَذَّبَكُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَكُمْ.**(٣)

(ب) قال البراء بن عازب رضي الله عنهما: أول من قدم علينا مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم، وكانا يقرئان الناس، فقدم بلال، وسعد، وعمار بن ياسر، ثم قدم عـمر بن

---

[١] في المخطوط: [كانت].

(٢) هي عقة منىٰ، وفيها الجمرة الكبرىٰ، وهي مدخل منىٰ من الغرب، وحَدُّه الغربي. "معجم معالم الحجاز" (٦/ ١١٧٠).

(٣) رواه أحمد (٥/ ٣٢٣)، وسنده حسن؛ رجاله ثقات كلهم سوىٰ محمد بن إسحاق مدلس، وقد صرح بالتحديث وهو حسن الحديث، وأصل الحديث عند البخاري برقم (٣٨٩٣)، ومسلم برقم (١٧٠٩).

الخطاب في عشرين من أصحاب النبي ﷺ، ثم قدم النبي ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ؛ حتىٰ جعل الإماء يقلن: قدم رسول الله ﷺ. فما قدم حتىٰ قرأت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[الأعلىٰ:١] في سورة من المفصَّل.(١)

فائدة:

قال الحافظ رحمه الله في "فتح الباري" (٧/ ٣٣٢): وقد تقدم في أول الهجرة أن أول من قدم المدينة من المهاجرين عامر بن ربيعة ومعه امرأته أم عبد الله بنت أبي حثمة، وأبو سلمة بن عبد الأسد وامرأته أم سلمة، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وشماس بن عثمان بن الشريد، وعبد الله بن جحش، فيجمع بينه وبين حديث البراء بحمل الأولية في أحدهما علىٰ صفة خاصة، فقد جزم ابن عقبة بأن أول من قدم المدينة من المهاجرين مطلقا أبو سلمة بن عبد الأسد وكان رجع من الحبشة إلىٰ مكة فأوذي بمكة فبلغه ما وقع للاثني عشر من الأنصار في العقبة الأولىٰ؛ فتوجه إلىٰ المدينة في أثناء السنة، فيجمع بين ذلك وبين ما وقع هنا بأن أبا سلمة خرج لا لقصد الإقامة بالمدينة بل فرارًا من المشركين بخلاف مصعب بن عمير فإنه خرج إليها للإقامة بها وتعليم من أسلم من أهلها بأمر النبي ﷺ، فلكلٍّ أوليةٌ من جهة.اهـ

---

(١) "البخاري" برقم (٣٩٢٥).

فَدَخَلَ الْإِسْلَامُ فِي كُلِّ دُورِهِم، فَلَمَّا كَانَ مِنْ قَابِلٍ وَفَد عَلَيْهِ مِنْهُم ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا وَامْرَأَتَانِ. [١] ....

[١] قال كعب بن مالك رضي الله عنه في حديث له وهو حديث طويل وفيه: «...، وَخَرَجْنَا إِلَىٰ الْحَجِّ فَوَاعَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْعَقَبَةَ مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، فَلَمَّا فَرَغْنَا مِنْ الْحَجِّ وَكَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي وَعَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَعَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو ابْنِ حَرَامٍ أَبُو جَابِرٍ سَيِّدٌ مِنْ سَادَتِنَا، وَكُنَّا نَكْتُمُ مَنْ مَعَنَا مِنْ قَوْمِنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ أَمْرَنَا، فَكَلَّمْنَاهُ وَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا جَابِرٍ، إِنَّكَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَتِنَا وَشَرِيفٌ مِنْ أَشْرَافِنَا، وَإِنَّا نَرْغَبُ بِكَ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ أَنْ تَكُونَ حَطَبًا لِلنَّارِ غَدًا، ثُمَّ دَعَوْتُهُ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ وَأَخْبَرْتُهُ بِمِيعَادِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَسْلَمَ وَشَهِدَ مَعَنَا الْعَقَبَةَ وَكَانَ نَقِيبًا(١). قَالَ: فَنِمْنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا حَتَّىٰ إِذَا مَضَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمِيعَادِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَتَسَلَّلُ مُسْتَخْفِينَ تَسَلُّلَ الْقَطَا حَتَّىٰ اجْتَمَعْنَا فِي الشِّعْبِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ وَنَحْنُ سَبْعُونَ رَجُلًا وَمَعَنَا امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِهِمْ: نُسَيبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ أُمُّ عُمَارَةَ إِحْدَىٰ نِسَاءِ بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ إِحْدَىٰ نِسَاءِ بَنِي سَلِمَةَ وَهِيَ أُمُّ مَنِيعٍ.

قَالَ: فَاجْتَمَعْنَا بِالشِّعْبِ نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّىٰ جَاءَنَا وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَلَىٰ دِينِ قَوْمِهِ إِلَّا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ ابْنِ

(١) النقيب هو كالعريف علىٰ القوم المقدم عليهم، وقد جعل ﷺ ليلة العقبة كلَّ واحد من الجماعة الذين بها نقيبًا علىٰ قومه وجماعته؛ ليأخذوا عليهم الإسلام، ويعرفوهم شرائطه، وكانوا اثني عشر نقيبًا، وكان عبادة بن الصامت منهم. «النهاية» (٢/ ٧٨٣) مادة: نَقَبَ.

أَخِيهِ وَيَتَوَثَّقُ لَهُ، فَلَمَّا جَلَسْنَا كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَوَّلَ مُتَكَلِّمٍ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ، قَالَ: وَكَانَتْ الْعَرَبُ مِمَّا يُسَمُّونَ هَذَا الْحَيَّ مِنْ الْأَنْصَارِ الْخَزْرَجَ أَوْسَهَا وَخَزْرَجَهَا إِنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا مِمَّنْ هُوَ عَلَىٰ مِثْلِ رَأْيِنَا فِيهِ، وَهُوَ فِي عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ وَمَنَعَةٍ فِي بَلَدِهِ، قَالَ: فَقُلْنَا: قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ، فَتَكَلَّمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ. قَالَ: فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَلَا وَدَعَا إِلَىٰ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَغَّبَ فِي الْإِسْلَامِ. قَالَ: «**أُبَايِعُكُمْ عَلَىٰ أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ**»، قَالَ: فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أُزُرَنَا، فَبَايِعْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَنَحْنُ أَهْلُ الْحُرُوبِ وَأَهْلُ الْحَلْقَةِ، وَرِثْنَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ.

قَالَ: فَاعْتَرَضَ الْقَوْلَ وَالْبَرَاءُ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيْهَانِ حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرِّجَالِ حِبَالًا، وَإِنَّا قَاطِعُوهَا - يَعْنِي الْعُهُودَ- فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللَّهُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَىٰ قَوْمِكَ وَتَدَعَنَا؟ قَالَ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «**بَلْ الدَّمَ الدَّمَ، وَالْهَدْمَ الْهَدْمَ، أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّي، أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ، وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ**»، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَخْرِجُوا إِلَيَّ مِنْكُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا يَكُونُونَ عَلَىٰ قَوْمِهِمْ**»، فَأَخْرَجُوا مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا مِنْهُمْ تِسْعَةٌ مِنْ الْخَزْرَجِ وَثَلَاثَةٌ مِنْ الْأَوْسِ... .

قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَ عَلَىٰ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ، ثُمَّ تَتَابَعَ الْقَوْمُ... . الحديث. وهو حسنٌ كما في "السيرة" لابن هشام (١/ ٣٣٠)، و"مسند أحمد" (٣/ ٤٦٠).

وَكَانَتْ بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةَ الْكُبْرَىٰ عَلَىٰ بَيْعَةِ النِّسَاءِ فِي آيَةِ الْمُمْتَحِنَةِ (أ)، وَعَلَىٰ أَنْ يَحْمُوهُ مِمَّا يَحْمُونَ مِنْهُ أَبْنَاءَهُم، وَأَهْلِيهِم، وَأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ.

(أ) وهي قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة:١٢].

قالت عائشة رضي الله عنها لعروة بن الزبير: إن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية...، فمن أقرَّ بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله ﷺ: «**قد بايعتك**» كلامًا، ولا والله ما مست يدُه يدَ امرأة قط في المبايعة، ما يبايعهنَّ إلا بقوله: «**قد بايعتك علىٰ ذلك**»(١).

قال الشيخ حافظ رحمه الله:

لمَّـــا أَرَادَ اللهُ للإِنْجَــــازِ	مَوْعِــدَهُ الرَّسُــولَ بِـالإِعْزَازِ
بَيْنَـا النَّبِـيْ يَـدْعُو الوُفُـودَ إِذْ وَجَـدْ	رَهْطًـا مِـنَ الخَـزْرَجِ أَرْبَـابَ الرَّشَـدْ
هُــمْ سِــتَّةٌ أَوْ فَــوْقَهُمْ فَوُفِّقُـوا	لَـمَّا دَعَـاهُمْ آمَنُـوا وَصَـدَّقُوا
ثُــمَّ دَعَــوا قَوْمَهُمُــو إِذْ آبُــوا	إِلَـىٰ الهُـدَىٰ الَّـذِي لَـهُ اسْـتَجَابُوا
فَجَـاءَهُ مِـنْ قَابِـلِ اثْنَـا عَشْـرَا	فَبَـايَعُوهُ صَـادِقِينَ لَا افْتِـرَا

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٨٩١).

وَهُـمْ مِـنَ الْخَـزْرَجِ عَشْـرَةٌ وَمِـنْ ... أَوْلَادِ أَوْسِ اثْنَـانِ نَقْـلُ مَـنْ فَطِـنْ

وَطَلَبُـوا مُعَلِّـمًا فَأَرْسَـلَا ... مُصْـعَبَ مُقْرِئًـا لَهُـمْ مَـا أُنْـزِلَا

حَتَّـى فَشَـى الإِسْـلَامُ فِـيهِمُ وَدَخَـلْ ... فِـي كُـلِّ أَهْـلِ دَارِهِـمْ بِـلَا جَـدَلْ

هَـذَا وَلَـمَّا كَـانَ عَامًـا قَـابِلًا ... جَـاءَ ثَلَاثَـةٌ وَسَـبْعُونَ وِلَا[(١)]

وَامْرَأَتَـانِ اتَّعَـدُوا بِالعَقَبَـهْ ... لِبَيْعَـةِ الهَـادِي عَلَـى مَـا طَلَبَـهْ

وَالنُّقَبَـاءُ مِـنْهُمُ اثْنَـا عَشَـرَا ... كَالنُّقَبَـا مِـنْ قَـوْمِ مُوسَـى الأُمَـرَا

فَبَـايَعُوهُ ثُـمَّ كَـانَ القِيـلُ ... لَا نَسْـتَقِيلُهَا وَلَا نُقِيـلُ

وَبَعْـدَ أَنْ آبُـوا إِلَـيْهِمْ هَـاجَرَا ... مَـنْ كَـانَ مُسْـلِمًا مِـنَ الشِّـرْكِ بَـرَا

لِيَعْبُـدُوا اللهَ بِـدَارِ الأَمْـنِ فِـي ... يَثْـرِبَ وَاثِقُـونَ بِالْوَعْـدِ الْـوَفِي

---

(١) وِلَا: بكسر الواو، أي: متابعةً؛ لأن الموالاة المتابعة، يقال: والىٰ بين الأمر موالاةً وولاءً: تابع. انظر «لسان العرب» مادة: وَلِي.

س٣٢/ كَمْ كَانَ مِنْهُم مِنَ الأَوْسِ، وَكَمْ مِنَ الْخَزْرَجِ؟

ج/ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا، مِنْهُمُ النُّقَبَاءُ الثَّلَاثَةُ، وَاثْنَانِ وَسِتُّونَ مِنَ الْخَزْرَجِ مِنْهُمُ النُّقَبَاءُ [التِّسْعَةُ][١] (١)، وَقَدْ حَضَرَ الْبَيْعَةَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لِيَسْتَوْثِقَ لِابْنِ أَخِيْهِ، ثُمَّ أُذِنَ بِالْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْمَدِيْنَةِ.

---

(١) مجموع النقباء اثنا عشر نقيبًا، ذكر ابن إسحاق وابن هشام (٢/ ٩٧-٩٨) أسماءهم كالتالي: عبادة بن الصامت، والبراء بن معرور، وعبد الله بن رواحة، وسعد بن الربيع، وأبو أمامة أسعد بن زرارة، وسعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو، وأسيد بن حضير، وسعد بن خيثمة، وعبد الله بن حرام، ورافع بن مالك، وأبو الهيثم بن التيهان.اهـ

---

[١] في المخطوط: [تسعة].

س٣٣/ مَنْ أَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ إِلَى الْمَدِيْنَةِ؟

ج/ أَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِيْنَةِ: أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ الْمَخْزُومِيُّ زَوْجُ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (١)، ثُمَّ تَتَابَعَ الْمُسْلِمُونَ أَرْسَالًا.

(١) هذا ما ذكره ابن إسحاق كما في "السيرة" لابن هشام (٢/ ١٢٢)، وابن سعد في "الطبقات" (١/ ٢٢٦)، والأول بدون سند، والثاني بسند لكنه من طريق الواقدي، وفي "صحيح مسلم" برقم (٩١٨) عندما توفي أبو سلمة قالت أم سلمة: أي المسلمين خير من أبي سلمة، أول بيت هاجر إلىٰ رسول الله... .

وفي "صحيح البخاري" برقم (٣٩٢٤) أنَّ أول من هاجر إلىٰ المدينة مصعب ابن عمير. وجمع الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ بين ذلك، وتقدم ذلك في التعليق علىٰ السؤال رقم (٣١).

س٣٤/ مَتَى أُذِنَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي الْهِجْرَةِ؟

ج/ لَمَّا رَأَىٰ[١] الْمُشْرِكُونَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَيَّضَ اللهُ لَهُ أَنْصَارًا وَأَعْوَانًا، وَأَنَّ أَصْحَابَهُ قَدْ وَجَدُوا دَارَ أَمْنٍ يُهَاجِرُونَ إِلَيْهَا وَإِخْوَانَ صِدْقٍ [يُؤْوُنَهم][٢] وَيَنْصُرُونَهُمُ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ الْمَكْرِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ لِيُثْبِتُوهُ، أَوْ يَقْتُلُوهُ، أَوْ يُخْرِجُوهُ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ قَتْلِهِ فَأَتَاهُ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ (أ)، فَخَرَجَ عَلَىٰ شُبَّانِهِم وَهُمْ يَرْصُدُونَهُ بِسُيُوفِهِم لِيَقْتُلُوهُ، فَقَرَأَ عَلَيْهِم صَدْرَ ﴿يس﴾، وَنَثَرَ التُّرَابَ عَلَىٰ رُؤُوسِهِم، فَلَمْ يُفِيقُوا إِلَّا وَهُم يَحْرُسُونَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه نَائِمًا عَلَىٰ فِرَاشِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَمْ يَدْرُوا أَيْنَ ذَهَبَ. (ب)

(أ) وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠].

(ب) هذه القصة رواها ابن إسحاق كما في "السيرة" لابن هشام (١/ ٣٦٠) بإسناد صحيح متصل إلىٰ محمد بن كعب القرظي مرسل، وستأتي قصة خروجه قريبًا.

أما تعاقد كفار قريش علىٰ قتل النبي ﷺ فقد رواها ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنَّ

---

[١] في المخطوط: [رآ].

[٢] في المخطوط: [يآوونهم].

الْمَلَأَ مِنْ قُرَيْشٍ اجْتَمَعُوا فِي الْحِجْرِ فَتَعَاقَدُوا بِاللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةِ الْأُخْرَىٰ وَنَائِلَةَ وَإِسَافٍ: لَوْ قَدْ رَأَيْنَا مُحَمَّدًا لَقَدْ قُمْنَا إِلَيْهِ قِيَامَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَلَمْ نُفَارِقْهُ حَتَّىٰ نَقْتُلَهُ. فَأَقْبَلَتْ ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ تَبْكِي حَتَّىٰ دَخَلَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: هَؤُلَاءِ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ تَعَاقَدُوا عَلَيْكَ لَوْ قَدْ رَأَوْكَ لَقَدْ قَامُوا إِلَيْكَ فَقَتَلُوكَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا قَدْ عَرَفَ نَصِيبَهُ مِنْ دَمِكَ. فَقَالَ: «**يَا بُنَيَّةُ أَرِينِي وَضُوءًا**»، فَتَوَضَّأَ ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِمْ الْمَسْجِدَ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: هَا هُوَ ذَا. وَخَفَضُوا أَبْصَارَهُمْ وَسَقَطَتْ أَذْقَانُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ، وَعَقِرُوا فِي مَجَالِسِهِمْ فَلَمْ يَرْفَعُوا إِلَيْهِ بَصَرًا وَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ مِنْهُمْ رَجُلٌ. فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّىٰ قَامَ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ فَأَخَذَ قَبْضَةً مِنْ التُّرَابِ فَقَالَ: «**شَاهَتْ الْوُجُوهُ**»، ثُمَّ حَصَبَهُمْ بِهَا، فَمَا أَصَابَ رَجُلًا مِنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْحَصَىٰ حَصَاةٌ إِلَّا قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ كَافِرًا.[١]

---

(١) رواه أحمد (١/ ٣٠٣)، وهو حديث حسن، وحسنه شيخنا الوادعي رحمه الله في "الصحيح المسند" (١/ ٥٤٠-٥٤١).

س٣٥/ كَيْفَ صِفَةُ خُرُوجِهِ ﷺ وَمَنْ خَرَجَ مَعَهُ؟

ج/ خَرَجَ ﷺ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه إِلَىٰ غَارِ ثَوْرٍ، وَوَاعَدَا[١] الدَّلِيْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمَا[٢] بِرَاحِلَتَيْهِمَا[٣] بَعْدَ ثَلَاثَةٍ، فَدَخَلُوا الْغَارَ وَ[جَدَّ][٤] الْمُشْرِكُونَ فِي طَلَبِهِم حَتَّىٰ أَتَوْا الْغَارَ، فَأَخَذَ اللهُ بِأَبْصَارِهِم عَنْهُمَا، وَمَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا، فَلَمَّا مَضَتْ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ وَسَكَنَتْ أَخْبَارُ الطَّلَبِ أَتَاهُمَا الدَّلِيْلُ بِرَاحِلَتَيْهِمَا، فَرَكِبَا وَقَدْ أَدْرَكَهُمَا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ ابْنِ جُعْشُمٍ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُمَا سَاخَتْ قَوَائِمُ فَرَسِهِ فِي الْأَرْضِ حَتَّىٰ كَادَ أَنْ [يَنْهَضَ سَاخَ][٥] لَوْلَا أَنَّهُ طَلَبَ الْأَمَانَ عَلَىٰ أَنْ يُعَمِّيَ عَنْهُمُ الطَّلَبَ. (ش)

(ش) ها أنت قد رأيت طرفًا من تعذيب المشركين للمسلمين، ولاسيما ضعفاؤهم، وأن النبي ﷺ قد أذن لهم في الهجرة إلىٰ الحبشة، فهاجر بعضهم إلىٰ الحبشة الهجرة الأولىٰ، ثم هاجر الكثيرون منهم إليها الهجرة الثانية.

وها هي طلائع النور قد بدت من جهة يثرب -المدينة- بعد التقاء بأهلها في موسم الحج، فقد التقىٰ بهم النبي ﷺ في العقبة الأولىٰ والثانية، فآمن من آمن، وعاهد من عاهد منهم علىٰ الولاء والنصرة، وأن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم، ونساءهم، وأبناءهم، وما كان من انتشار الإسلام بين أهل المدينة انتشارًا لم يكن

---

[١] في المخطوط: [واعدوا]، والصواب ما أثبت؛ لأنه مثنىٰ كما سيأتي.

[٢] في المخطوط: [يأتيهم، و] وكتب الناسخ علىٰ ميم الجمع ألفًا، وأثبتها؛ لأنه مثنىٰ.

[٣] في المخطوط: [براحلتيهم]، وكتب الناسخ ألفًا صغيرة علىٰ ميم الجمع وأثبتها؛ لأنه مثنىٰ.

[٤] غير واضحة في المخطوط.

[٥] غير واضح في المخطوط، وبعد التأمل ظهر لي ما أثبت.

يتوقعه أحد حتىٰ أذهل ذلك مشركي مكة، وبذلك أصبح للمسلمين إخوان مؤمنون صادقون في دار أمن وإيمان، وإسلام وسلام، وهي المدينة.

وقد آلم المشركين وأقض مضاجعهم انتشار الإسلام بالمدينة هذا الانتشار السريع، فأوغلوا في إيذاء المسلمين، ونالوا منهم غاية النيل، وضيّقوا عليهم السبل والمسالك، فلم يكن لهم بدّ من الهجرة إليها، فقد أضحىٰ لهم بها أهل بأهل، ودور بدور...، فكان من الضروري أن تنتقل الدعوة من مكة إلىٰ المدينة وهذا ما كان.

وكان الصحابة يشتكون إلىٰ النبي ﷺ ما يجدونه من المشركين من الأذىٰ والعنت، فيثبتهم، ويصبرهم، ويعدهم فرجًا ومخرجًا من هذا الكرب.(١)

وقد رأىٰ ﷺ رؤيا رأىٰ فيها دار الهجرة، فقال لصحابته الكرام: «**قد أريت دار هجرتكم، رأيت سبخة ذات نخل بين لابتين**»، وهما الحرتان، فهاجر من هاجر قبل المدينة حين ذكر ذلك رسول الله ﷺ، ورجع إلىٰ المدينة بعض من كان هاجر إلىٰ أرض الحبشة، وتجهز أبو بكر مهاجرًا، فقال له رسول الله ﷺ: «**علىٰ رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي**»، قال أبو بكر: هل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: «**نعم**»، فحبس أبو بكر نفسه علىٰ رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر أربعة أشهر.(٢)

---

(١) "السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة" (١/ ٤٥٧-٤٥٨).

(٢) البخاري برقم (٢٢٩٧)، وينظر "تغليق التعليق" (٣/ ٢٩٢)، و"صحيح السيرة النبوية"=

وقد كان خروجه ﷺ من مكة إلىٰ المدينة ليس بالأمر السهل؛ فالإنسان مجبول علىٰ حب المكان الذي نشأ وترعرع فيه، ولقد رأىٰ شاهدُ عيان رسول الله ﷺ واقفًا علىٰ الحَزْوَرَة[١] وهو يقول: «**والله إنك لخير أرض الله، وأحبُّ أرض الله إلىٰ الله، ولولا أني أُخرجت منك ما خرجت**».[٢]

وتروي لنا أُمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها شيئًا من بداية هجرته ﷺ مع رفيق دربه أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فتقول: فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَقَنِّعًا، فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ. قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَ، فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: «**أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ**»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ، بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «**فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الخُرُوجِ**» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**نَعَمْ**» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ -بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ- إِحْدَىٰ رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**بِالثَّمَنِ**».

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الجِهَازِ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ،

= ٢١٣) للألباني رحمه الله.

(١) الحزورة موضعٌ عند باب الحناطين، وقد أُدخل هذا المكان في المسجد الحرام لمَّا زِيد فيه. وينظر "شفا الغرام" (١/ ٧٦)، و"معجم البلدان" (٢/ ٢٥٥).

(٢) رواه أحمد (٤/ ٣٠٥) وغيره من حديث عبد الله بن عدي بن الحمراء، وهو صحيح، وأورده شيخنا الوادعي رحمه الله في "الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين" (٥/ ١٨٩) برقم (٣٤٦٢).

فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا، فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَىٰ فَمِ الجِرَابِ، فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ.

قَالَتْ: ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ(١)، فَكَمَنَا فِيهِ ثَلاَثَ لَيَالٍ، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ غُلاَمٌ شَابٌّ، ثَقِفٌ لَقِنٌ، فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلاَ يَسْمَعُ أَمْرًا، يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ، حَتَّىٰ يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلاَمُ، وَيَرْعَىٰ عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، مَوْلَىٰ أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ العِشَاءِ، فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ، وَهُوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا(٢)، حَتَّىٰ يَنْعِقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلاَثِ... .(٣)

يقول أبو بكر رضي الله عنه: كنت مع النبي ﷺ في الغار فرأيت آثار المشركين، قلت: يا رسول الله، لو أنَّ أحدهم رفع قدمه رآنا. قال: «**ما ظنُّك باثنين الله ثالثهما**».(٤)

وكان أبو بكر رضي الله عنه قد أخذ ماله كلَّه، ولم يترك منه شيئًا، تحدثنا ذات النطاقين

(١) جبل ثور أكبر من جبل حراء وأبعد منه بالنسبة إلىٰ مكة، والمسجد الحرام، فهو بأسفل مكة جنوب محلة المسفلة، ويُرىٰ من مزدلفة، وهو أكثر وعورة، وأصعب مرتقًىٰ من غار حراء، وبه غار معروف مشهور طوله (١٨) شبرًا، وطول فمه الضَّيِّق (٥) أشبار، وقد سُمِّي الحي المجاور له بحي الهجرة نسبة لهذه الهجرة. "تاريخ مكة" (١/ ٨٦).

(٢) الرضيف: اللبن المرضوف، وهو الذي طُرح فيه الحجارة المحماة لِيَذْهَبَ وخَمُه. "النهاية" (١/ ٦٦٣) مادة: رضف.

(٣) رواه البخاري برقم (٣٩٠٥).

(٤) متفق عليه.

أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فتقول: لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَخَرَجَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ احْتَمَلَ أَبُو بَكْرٍ مَالَهُ كُلَّهُ مَعَهُ: خَمْسَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ أَوْ سِتَّةَ آلَافِ دِرْهَمٍ، قَالَتْ: وَانْطَلَقَ بِهَا مَعَهُ، قَالَتْ: فَدَخَلَ عَلَيْنَا جَدِّي أَبُو قُحَافَةَ وَقَدْ ذَهَبَ بَصَرُهُ فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُرَاهُ قَدْ فَجَعَكُمْ بِمَالِهِ مَعَ نَفْسِهِ. قَالَتْ: قُلْتُ: كَلَّا يَا أَبَتِ، إِنَّهُ قَدْ تَرَكَ لَنَا خَيْرًا كَثِيرًا. قَالَتْ: فَأَخَذْتُ أَحْجَارًا فَتَرَكْتُهَا فَوَضَعْتُهَا فِي كُوَّةِ[١] الْبَيْتِ كَانَ أَبِي يَضَعُ فِيهَا مَالَهُ، ثُمَّ وَضَعْتُ عَلَيْهَا ثَوْبًا، ثُمَّ أَخَذْتُ بِيَدِهِ فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ، ضَعْ يَدَكَ عَلَىٰ هَذَا الْمَالِ. قَالَتْ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ فَقَالَ: لَا بَأْسَ إِنْ كَانَ قَدْ تَرَكَ لَكُمْ هَذَا فَقَدْ أَحْسَنَ، وَفِي هَذَا لَكُمْ بَلَاغٌ. قَالَتْ: لَا وَاللَّهِ، مَا تَرَكَ لَنَا شَيْئًا، وَلَكِنِّي قَدْ أَرَدْتُ أَنْ أُسْكِنَ الشَّيْخَ بِذَلِكَ.[٢]

فرضي الله عنه وأرضاه، ورضي الله عن ذات النطاقين، لقد تصرفت بعقلٍ راجح لاسيما وقد تكلم جدها بكلام مؤثر يؤثر في بعض الرجال، فما بالك بامرأة، لكنها تجاوزت ذلك بعقلها الراجح، وذكائها، وقبل ذلك بقوة إيمانها بأن الله لن يضيعها هي ومن معها، فرضي الله عنها وعن أبيها، وعن الصحابة أجمعين.

الخروج من مكة إلى المدينة:

ولما هدأتِ الأمور، وانقطع الطلب انطلق النبي ﷺ إلىٰ المدينة.

(١) الكَوَّة: فَتْحٌ في الحائط. «تحرير ألفاظ التنبيه» (ص٢٠٢) للنووي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) رواه أحمد (٦/ ٣٥٠)، وهو حسن، وحسنه شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الجامع الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (٥/ ١٨٨-١٨٩) برقم (٣٤٦١).

تقول أم المؤمنين عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيلِ، وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ، هَادِيًا خِرِّيتًا، وَالخِرِّيتُ: المَاهِرُ بِالهِدَايَةِ، قَدْ غَمَسَ حِلْفًا فِي آلِ العَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ، وَهُوَ عَلَىٰ دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلَاثٍ، وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَالدَّلِيلُ، فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ.(١)

ويروي لنا الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ شيئًا من ذلك فيقول: ارْتَحَلْنَا مِنْ مَكَّةَ، فَأَحْيَيْنَا، أَوْ: سَرَيْنَا لَيْلَتَنَا وَيَوْمَنَا حَتَّىٰ أَظْهَرْنَا وَقَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ، فَرَمَيْتُ بِبَصَرِي هَلْ أَرَىٰ مِنْ ظِلٍّ فَآوِيَ إِلَيْهِ، فَإِذَا صَخْرَةٌ أَتَيْتُهَا فَنَظَرْتُ بَقِيَّةَ ظِلٍّ لَهَا فَسَوَّيْتُهُ، ثُمَّ فَرَشْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِيهِ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: اضْطَجِعْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَاضْطَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ أَنْظُرُ مَا حَوْلِي هَلْ أَرَىٰ مِنَ الطَّلَبِ أَحَدًا، فَإِذَا أَنَا بِرَاعِي غَنَمٍ يَسُوقُ غَنَمَهُ إِلَىٰ الصَّخْرَةِ يُرِيدُ مِنْهَا الَّذِي أَرَدْنَا، فَسَأَلْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ: لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلَامُ؟ قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ. سَمَّاهُ فَعَرَفْتُهُ، فَقُلْتُ: هَلْ فِي غَنَمِكَ مِنْ لَبَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فَهَلْ أَنْتَ حَالِبٌ لَنَا؟ قَالَ: نَعَمْ. فَأَمَرْتُهُ فَاعْتَقَلَ شَاةً مِنْ غَنَمِهِ، ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ ضَرْعَهَا مِنَ الغُبَارِ، ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ كَفَّيْهِ، فَقَالَ: هَكَذَا، ضَرَبَ إِحْدَىٰ كَفَّيْهِ بِالأُخْرَىٰ، فَحَلَبَ لِي كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ، وَقَدْ جَعَلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِدَاوَةً عَلَىٰ فَمِهَا خِرْقَةٌ، فَصَبَبْتُ عَلَىٰ اللَّبَنِ حَتَّىٰ بَرَدَ أَسْفَلُهُ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَوَافَقْتُهُ قَدِ اسْتَيْقَظَ، فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَشَرِبَ حَتَّىٰ رَضِيتُ، ثُمَّ قُلْتُ: قَدْ آنَ الرَّحِيلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

(١) رواه البخاري برقم (٣٩٠٥).

قَالَ: «بَلَىٰ». فَارْتَحَلْنَا وَالقَوْمُ يَطْلُبُونَنَا، فَلَمْ يُدْرِكْنَا أَحَدٌ مِنْهُمْ غَيْرُ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ ابْنِ جُعْشُمٍ عَلَىٰ فَرَسٍ لَهُ، فَقُلْتُ: هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ: «لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا».(١)

أما لحوق سُراقة بن مالك برسول الله ﷺ وصاحبه، وإدراكه لهما فقد تكلم عنه سُراقةُ نفسُه قائلًا: جَاءَنَا رُسُلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ، دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، لِمَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسَرَهُ، فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدْلِجٍ، إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، حَتَّىٰ قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ، فَقَالَ: يَا سُرَاقَةُ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آنِفًا أَسْوِدَةً بِالسَّاحِلِ، أُرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ. قَالَ سُرَاقَةُ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلاَنًا وَفُلاَنًا، انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا، ثُمَّ لَبِثْتُ فِي المَجْلِسِ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي، وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكَمَةٍ، فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ رُمْحِي، فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ البَيْتِ، فَخَطَطْتُ بِزُجِّهِ الأَرْضَ، وَخَفَضْتُ عَالِيَهُ، حَتَّىٰ أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا، فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ بِي، حَتَّىٰ دَنَوْتُ مِنْهُمْ، فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَىٰ كِنَانَتِي، فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الأَزْلاَمَ(٢) فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا: أَضُرُّهُمْ أَمْ لاَ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَرَكِبْتُ فَرَسِي، وَعَصَيْتُ الأَزْلاَمَ، تُقَرِّبُ بِي

(١) رواه البخاري برقم (٣٦٢٥)، ومسلم برقم (٢٠٠٩).

(٢) الأزلام هي القِداح التي كانت في الجاهلية عليها مكتوب الأمر والنهي: افعل، ولا تفعل، كان الرجل منهم يضعها في وعاء له، فإذا أراد سفرًا، أو أمرًا مُهمًّا أدخل يده فأخرج منهما زلمًا؛ فإن خرج الأمر مضىٰ لشأنه، وإن خرج النهي كفَّ ولم يفعله. «النهاية» (١/ ٧٣٠) مادة: زَلَمَ.

حَتَّىٰ إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ لاَ يَلْتَفِتُ، وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الاِلْتِفَاتَ، سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الأَرْضِ، حَتَّىٰ بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ، فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً، إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِالأَزْلاَمِ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَنَادَيْتُهُمْ بِالأَمَانِ فَوَقَفُوا، فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّىٰ جِئْتُهُمْ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الحَبْسِ عَنْهُمْ، أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ، وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالمَتَاعَ، فَلَمْ يَرْزَآنِي وَلَمْ يَسْأَلاَنِي، إِلَّا أَنْ قَالَ: «**أَخْفِ عَنَّا**». فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ، ثُمَّ مَضَىٰ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.[(١)]

فَجَعَلَ لاَ يَلْقَىٰ أَحَدًا إِلَّا قَالَ: قَدْ كَفَيْتُكُمْ مَا هُنَا، فَلاَ يَلْقَىٰ أَحَدًا إِلَّا رَدَّهُ.[(٢)]

أما الطريق التي سلكها ﷺ هو وصاحبه رضي الله عنه فقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قائلة: لما خرج رسول الله ﷺ من الغار مهاجرا و معه أبو بكر وعامر بن فهيرة مردفه أبو بكر وخلفه عبد الله بن أُريقط الليثي، فسلك بهما أسفل من مكة ثم مضىٰ بهما حتىٰ هبط بهما علىٰ الساحل أسفل من عسفان، ثم استجاز بهما علىٰ أسفل أمج، ثم عارض الطريق بعد أن أجاز قديدًا، ثم سلك بهما الحجاز، ثم أجاز بهما ثنية المرار، ثم سلك بهما الحفياء، ثم أجاز بهما مدلجة لقف، ثم استبطن

(١) رواه البخاري برقم (٣٩٠٦).

(٢) "البخاري" برقم (٣٦١٥).

بهما مدلجة صحاح، ثم سلك بهما مذحج، ثم بطن مذحج من ذي الغصن، ثم ببطن كشد، ثم أخذ الجباجب، ثم سلك ذي سلم من بطن أعلىٰ مدلجة، ثم أخذ القاحة، ثم هبط العرج، ثم سلك ثنية الغائر عن يمين ركوبه، ثم هبط بطن ريم، فقدم قباء علىٰ بني عمرو بن عوف.(١)

وكان الرجل يلقىٰ أبا بكر رضي الله عنه فيقول: يا أبا بكر، من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الرجل يهديني السبيل. فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق، وإنما يعني: سبيل الخير.(٢)

وفي طريقه صلى الله عليه وسلم إلىٰ المدينة مَرَّ بخيمتي أمِّ معبدٍ الخزاعية وكانت امرأة برزة جلدة تحتبي بفناء الخيمة ثم تسقي وتطعم، فسألوها لحمًا و تمرًا ليشتروا منها، فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك وكان القوم مرملين(٣) مسنَّتين(٤) فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلىٰ شاة في كسر الخيمة فقال: «**ما هذه الشاة يا أم معبد؟**» قالت: شاةٌ خلفها الجهد عن الغنم. قال: «**هل بها من لبن ؟**» قالت: هي أجهد من ذلك. قال: «**أتـأذنين لي أن أحـلبها؟**» قالت: بأبي أنت وأمي، إنْ رأيت بها حلبًا فاحلبها. فدعـا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فـمسح بيده ضرعـها وسمىٰ الله تعالىٰ ودعا لها في شاتها،

(١) رواه الحاكم (٣/ ٨) بإسناد حسن.

(٢) "البخاري" برقم (٣٩١١).

(٣) أي: نفذ زادهم، وأصله من: الرَّمْل، كأنهم لصقوا بالتراب، كما قيل للفقير: التَّرِبُ. "النهاية" (١/ ٦٩١).

(٤) أي: مجدبين أصابتهم السنة وهي القحط والجدب. "النهاية" (١/ ٨١١) مادة: سنت.

فتفاجت عليه ودرت فاجترت، فدعا بإناء يربض الرهط، فحلب فيه ثجًا حتىٰ علاه البهاء، ثم سقاها حتىٰ رويت وسقىٰ أصحابه حتىٰ رووا، و شرب آخرهم حتىٰ أراضوا، ثم حلب فيه الثانية علىٰ هدة حتىٰ ملأ الإناء، ثم غادروه عندها، وبايعها، وارتحلوا عنها، فقل ما لبثت حتىٰ جاءها زوجها أبو معبد ليسوق أعنزًا عجافًا يتساوكن هزالًا مُخُّهُنَّ قليل، فلمَّا رأىٰ أبو معبد اللبن أعجبه، قال: من أين لك هذا يا أم معبد والشاء عازب حائل ولا حلوب في البيت؟ قالت: لا والله، إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا و كذا.

قال: صِفِيْهِ لي يا أُمَّ معبد. قالت: رأيت رجلًا ظاهر الوضاءة، أبلج[(١)] الوجه، حسن الخلق، لم تعبه ثجلة[(٢)] و لم تزريه صعلة[(٣)] وسيم قسيم في عينيه دعج[(٤)]، وفي أشفاره وَطَفٌ[(٥)]، وفي صوته صهل[(٦)]، وفي عنقه سطع[(٧)]، وفي لحيته كثافة، أزج[(٨)] أقرن[(٩)] إن صَمَتَ فعليه الوقار، وإن تكلم سماه وعلاه البهاء، أجمل الناس

(١) أي: مشرق الوجه. «النهاية» (١/ ١٥٥) مادة: بلج.
(٢) أي: ضِخَم بطن. «النهاية» (١/ ٢٠٦) مادة: ثجل.
(٣) الصعلة هي: صغر الرأس، وهي أيضًا: الدقة والنحول في البدن. «النهاية» (٢/ ٣٣) مادة: صعل.
(٤) الدعج: السواد في العين، وقيل: الدعج شدة سواد العين في شدة بياضها. «النهاية» مادة: دعج.
(٥) الشُّفر بالضم، وقد يفتح: حرف جفن العين الذي ينبت عليه الشعر، فقولها: (في أشفاره وطف)، أي: في شعر أجفانه طول. «النهاية» (١/ ٨٧٧) مادة: شفر. و(٢/ ٨٦٣) مادة: وطف.
(٦) أي: حِدَّة وصلابة من صهيل الخيل وهو صوتها. «النهاية» (١/ ٦٢) مادة: صَهَلَ.
(٧) أي: ارتفاع وطول. «النهاية» (١/ ٧٧٥) مادة: سطع.
(٨) الزجج: تقوس في الحاجب مع طول في طرفه وامتداد. «النهاية» (١/ ٧١٨) مادة: زَجَجَ.
(٩) القَرَن: هو التقاء الحاجبين. «النهاية» (٢/ ٤٤٨) مادة: قَرَنَ.

وأبهاه من بعيد، وأحسنه وأجمله من قريب، حلو المنطق، فصل لا نَزر ولا هذْر[(١)] كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن ربعة لا تشنَؤه[(٢)] من طول ولا تقتحمه[(٣)] عين من قصر، غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرًا وأحسنهم قدرًا، له رفقاء يحفون به؛ إنْ قال سمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلىٰ أمره، محفود[(٤)] محشود[(٥)] لا عابس ولا مفند.[(٦)]

قال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمر ما ذكر، ولقد هممت أن أصحبه ولأفعلهن إن وجدت إلىٰ ذلك سبيلا....[(٧)]

وَسَمِعَ الْمُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَىٰ الحَرَّةِ، فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّىٰ يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ، فَانْقَلَبُوا يَوْمًا بَعْدَمَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ، فَلَمَّا أَوَوْا إِلَىٰ بُيُوتِهِمْ، أَوْفَىٰ رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ عَلَىٰ أُطُمٍ مِنْ آطَامِهِمْ، لِأَمْرٍ

---

(١) النزر: القليل، والهذر: الكثير، ومعناه: لا قليل الكلام، ولا كثير، ليس بقليل فَيَدلَّ علىٰ عِيٍّ، ولا كثير فاسد. "النهاية" (٢/ ٧٢٩) مادة: نزر. و(٢/ ٩٠٠) مادة: هَذَرَ.

(٢) أي: لا يُبغَض لِفَرْط طوله. "النهاية" (١/ ٨٩٢) مادة: شَنَأَ.

(٣) أي: لا تتجاوزه إلىٰ غيره احتقارًا له. "النهاية" (٢/ ٤٢٠) مادة: قَحَمَ.

(٤) المحفود: الذي يخدمه أصحابه ويعظمونه، ويسرعون في طاعته. "النهاية" (١/ ٣٩٦) مادة: حَفَدَ.

(٥) أي: إنَّ أصحابه يجتمعون إليه. "النهاية" (١/ ٣٧٩) مادة: حَشَدَ.

(٦) العابس: الكريه المَلقىٰ الجَهْمُ المُحَيَّا، والمفنَّد: هو الذي لا فائدة في كلامه لِكِبَرٍ أصابه. "النهاية" (٢/ ١٥١) مادة: عَبَسَ، و(٢/ ٣٩٥) مادة: فَنَدَ.

(٧) رواه الحاكم (٣/ ٩-١٠)، والطبراني (٤/ ٥٦)، وابن سعد في "الطبقات" (١/ ٢٣٠)، ولها طرق ترتقي بها إلىٰ الحُسْنِ، وقد صححها الحاكم رَحِمَهُ اللَّهُ، وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في "البداية والنهاية" (٣/ ٢٠٩): وقصتها مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضًا.

وانظر "السيرة" للعمري (١/ ٢١٣-٢١٤).

يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ مُبَيِّضِينَ يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ، فَلَمْ يَمْلِكِ الْيَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ: يَا مَعَاشِرَ الْعَرَبِ، هَذَا جَدُّكُمُ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ. فَثَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَىٰ السِّلَاحِ، فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ... الحديث.(١)

قال الشيخ حافظ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَاجَرَ النَّبِيُّ بَعْدَ الإِذْنِ لَهْ ... مِنْ قِبَلِ اللهِ الَّذِي قَدْ أَرْسَلَهْ
بَعْدَ ثَلَاثِ عَشْرَةٍ مِنْ بِعْثَتِهْ ... رَبِيعَ أَوَّلٍ وَأَصْلُ هِجْرَتِهْ
مَكْرُ قُرَيْشٍ بِهْ لِيُثْبِتُوهُ ... أَوْ يَقْتُلُوهُ أَوْ لِيُخْرِجُوهُ
وَأَجْمَعُوا لِقَتْلِهِ فَأَرْصَدُوا ... رِجَالَهُمْ لِلفَتْكِ حِينَ يَرْقُدُ
فَجَاءَهُ الرُّوحُ الأَمِينُ مُخْبِرَا ... عَنْ مَكْرِ الاعْدَاءِ لَهُ مُحَذِّرَا
فَبَاتَ فِي مَكَانِهِ عَلِيُّ ... ثُمَّ عَلَيْهِمْ خَرَجَ النَّبِيُّ
وَنَثَرَ التُّرْبَ عَلَىٰ رُؤُوسِهِمْ ... وَخَابَ مَا رَامُوهُ فِي نُفُوسِهِمْ
ثُمَّ مَضَىٰ النَّبِيُّ وَالصِّدِّيقُ ... لِلغَارِ وَالكُفَّارُ لَمْ يُفِيقُوا
فَمَكَثُوا فِيهِ ثَلَاثًا رَيْثَمَا ... تَخْفَىٰ عَلَىٰ العَدُوِّ أَخْبَارُهُمَا
حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُمْ سُرَاقَهْ ... أَتَاهُ مَا لَيْسَ بِهِ مِنْ طَاقَهْ
حَيْثُ بِهِ جَوَادُهُ قَدْ عَثَرَا ... لَوْ لَمْ يُفِقْ [سَاخَ][٢] لِأَطْبَاقِ الثَّرَىٰ
لَكِنَّهُ الأَمَانَ مِنْهُمَا طَلَبْ ... بِشَرْطِ أَنْ يَرُدَّ عَنْهُمَا الطَّلَبْ
هَذَا وَقَدْ جَازَا[٣] بِأُمِّ مَعْبَدِ ... وَشَاهَدَتْ مِنْ مُعْجِزَاتِ أَحْمَدِ

(١) رواه البخاري برقم (٣٩٠٦)، والحاكم (٣/ ١١).
[٢] في المخطوط: [ساج] بالجيم، وهو خطأ من الناسخ، وما أثبت هو الموافق للحديث.
[٣] في المخطوط: [جار]، والأقرب ما أثبت، والله أعلم.

س٣٦/ مَتَى قَدِمَ ﷺ قُبَاءَ؟

ج/ قَدِمَ ﷺ قُبَاءَ نَهَارَ الْإِثْنَيْنِ لِاثْنَي عَشَرَ خَلَتْ مِنْ رَبِيْعٍ الْأَوَّلِ (أ)، وَبِهَا بَنَىٰ مَسْجِدَهُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ عَلَىٰ الصَّحِيْحِ فِي [مَعْنَىٰ][1] الْآيَةِ، وَإِنْ كَانَ مَسْجِدُهُ ﷺ الَّذِي بِالْمَدِيْنَةِ أُسِّسَ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ [مِنْ بَابٍ أَوْلَىٰ][2] (ب).

(أ) روىٰ الطبراني (١٧/ ٤٥٧)، والحاكم (٣/ ٤٢٠) من حديث عاصم بن عدي رضي الله عنه قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلتْ من شهر ربيع الأول.

وفي سنده: الوليد بن مسلم وقد عنعن.

وفي "صحيح البخاري" برقم (٣٩٠٦): نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَذَلِكَ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ، وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَامِتًا، فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ الأَنْصَارِ مِمَّنْ لَمْ يَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُحَيِّي أَبَا بَكْرٍ، حَتَّىٰ أَصَابَتِ الشَّمْسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّىٰ ظَلَّلَ عَلَيْهِ بِرِدَائِهِ؛ فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

(ب) لبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، وأسس المسجد الذي علىٰ التقوىٰ وصلىٰ فيه. "البخاري" برقم (٣٩٠٦).

---

[١] ليست واضحة في المخطوط.

[٢] غير واضحة في المخطوط.

وفي رواية برقم (٣٩٣٢): فأقام فيهم أربع عشرة ليلة.

مسألة: أيُّ المسجدين الذي أُسِّسَ علىٰ التقوىٰ: مسجد قُباء، أم مسجد النبي ﷺ؟

قال تعالىٰ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة:١٠٨].

وعن عُوَيم بن ساعدة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ أتاهم في مسجد قباء فقال: «**إنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قد أحسن عليكم الثناء في الطهور في قصة مسجدكم، فما هذا الطهور الذي تطهرون به؟**» قالوا: والله، يا رسول الله، ما نعلم شيئًا إلا أنه كان لنا جيران من اليهود فكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط، فغسلنا كما غسلوا.(١)

فالحديث يفسر لنا الآية السابقة، وأنَّ المسجد الذي أُسِّسَ علىٰ التقوىٰ هو مسجد قباء.

وفي "صحيح مسلم برقم (١٣٩٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: دخلت علىٰ رسول الله ﷺ في بيت بعض نسائه، فقلت: يا رسول الله، أي المسجدين الذي أُسِّسَ علىٰ التقوىٰ؟ قال: فأخذ كفًّا من حصباء، فضرب به الأرض، ثم قال: «**هو مسجدكم هذا**» لمسجد المدينة.

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٤٢٢)، وابن خزيمة برقم (٨٣)، والحاكم (١/ ١٥٥)، وفيه ضعف، إلا أن له شاهدًا عند الطبراني في "الكبير" (١١/ ٥٦) برقم (١١٠٦٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، و(٨/ ١٢١-١٢٢) برقم (٧٥٥٥) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وعليه فالحديث يرتقي إلىٰ درجة الحُسْن.

والجمع: أنْ يقال: إن المسجدين كليهما أُسِّسا علىٰ التقوىٰ من أول يوم.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ كما في "مجموع الفتاوىٰ" (١٧/ ٤٦٨-٤٦٩): ثبت عنه في "الصحيحين" أنه كان يأتي قباء كل سبت راكبا وماشيا؛ وذلك أن الله أنزل عليه: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ وكان مسجده هو الأحق بهذا الوصف، وقد ثبت في "الصحيح" أنه سئل عن المسجد المؤسس علىٰ التقوىٰ؟ فقال: «**هو مسجدي هذا**» يريد أنه أكمل في هذا الوصف من مسجد قباء ومسجد قباء أيضا أسس علىٰ التقوىٰ وبسببه نزلت الآية؛ ولهذا قال: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾، وكان أهل قباء مع الوضوء والغسل يستنجون بالماء تعلموا ذلك من جيرانهم اليهود ولم تكن العرب تفعل ذلك فأراد النبي ﷺ أن لا يظن ظان أن ذاك هو الذي أسس علىٰ التقوىٰ دون مسجده فذكر أن مسجده أحق بأن يكون هو المؤسس علىٰ التقوىٰ، فقوله: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ يتناول مسجده ومسجد قباء ويتناول كل مسجد أسس علىٰ التقوىٰ بخلاف مساجد الضرار.اهـ

وقال أبو الفداء إسماعيل بن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره": وقد ورد في الحديث الصحيح أنَّ مسجد رسول الله ﷺ الذي في جوف المدينة هو المسجد الذي أُسِّسَ علىٰ التقوىٰ، وهذا صحيح ولا منافاة بين الآية وبين هذا؛ لأنه إذا كان

مسجد قباء قد أُسِّسَ علىٰ التقوىٰ من أوَّلِ يوم، فمسجد رسول الله ﷺ بطريق الأولىٰ والأَحْرَىٰ.اهـ

قلت: وهذا الجمع هو ما اختاره العلامة حافظ رحمه الله؛ لذا قال: وإنْ كان مسجده ﷺ الذي بالمدينة أُسِّسَ علىٰ التقوىٰ من باب أولىٰ.

س٣٧/ كَمْ أَقَامَ فِيْهِمِ؟

ج/ قَالَ ابْنُ إِسْحَاق: أَقَامَ فِيهِمُ الإِثْنَيْنَ، وَالثُّلَاثَاءَ، وَالْأَرْبِعَاءَ، وَالْخَمِيْسَ ثُمَّ خَرَجَ الْجُمُعَةَ فَأَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ: صَلَاةُ الْجُمُعَةِ فِي بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ، وَهِيَ أَوَّلُ جُمُعَةٍ صَلَّاهَا بِالْمَدِيْنَةِ(١)، وَ[بَنُو][٢] عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ أَقَامَ فِيْهِم أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ. (أ)

(أ) في "السيرة" لابن هشام (١/ ٣٧٠): ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة، وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك، فالله أعلم أي ذلك كان.اهـ

وتقدم قريبًا أنه أقام عندهم أربع عشرة ليلةً كما في "صحيح البخاري" برقم (٣٩٣٢)، وانظر "فتح الباري" (٧/ ٢٤٤).

قال الشيخ حافظ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَــدِمَا قُبَــاءَ لاثْنَــيْ عَشَــرَا ... مِـنْ ذَلِـكَ الشَّـهْرِ كَـمَا قَـدْ أُثِـرَا

وَقَـامَ فِـيهِمْ بِضْـعَ عَشْـرَةَ وَقِيـلْ ... أَقَــلَّ أَوْ أَكْثَــرُ مِــنْ ذَا بِقَلِيــلْ

وَأَسَّـــسَ الْمَسْـــجِدَ إِذْ ذَاكَ عَلَـــىٰ ... تَقْــوَىٰ مِــنَ اللهِ كَـمَا قَــدْ أُنْــزِلَا

(١) انظر "تفسير القرطبي" (٢٠/ ٤٦١)، و"تاريخ الطبري" (٢/ ٣٩٤-٣٩٦).

[٢] في المخطوط: [بني]، وهو خطأ.

س٣٨/ أَيْنَ نَزَلَ ﷺ بِالْمَدِيْنَةِ؟

ج/ لَمَّا وَصَلَ الْمَدِيْنَةَ وَكُلٌّ مِنَ الْأَنْصَارِ يَدْعُوهُ إِلَىٰ النُّزُولِ عِنْدَهُ، فَقَالَ: «**دَعُوهَا** -يَعْنِي نَاقَتَهُ-؛ **فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ**» [1]، حَتَّىٰ بَرَكَتْ فِي مَكَانِ مَسْجِدِهِ، وَاحْتَمَلَ رَحْلَهُ أَبُو أَيُّوبَ خَالِدُ بْنُ زَيْدٍ، فَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ فِي دَارِهِ حَتَّىٰ بَنَىٰ مَسْجِدَهُ وَمَسَاكِنَهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

[1] ذكره ابن هشام رحمه الله في "السيرة" (١/ ٤٩٤) بدون سند.

وقال الحافظ رحمه الله في "فتح الباري" (٧/ ٣٠٧): وعند الحاكم من طريق إسحاق بن أبي طلحة عن أنس: جاءت الأنصار فقالوا: إلينا يا رسول الله. فقال: «**دعوا الناقة؛ فإنها مأمورة**»، فبركت علىٰ باب أبي أيوب...، وعند ابن عائذ عن الوليد بن مسلم، وعند سعيد بن منصور كلاهما -يعني ابن عائذ وسعيد بن منصور- عن عطاف بن خالد أنها استناخت به أولا، فجاءه ناس فقالوا: المنزل يا رسول الله. فقال: «**دعوها**»، فانبعثت حتىٰ استناخت عند موضع المنبر من المسجد، ثم تحلحلت، فنزل عنها، فأتاه أبو أيوب فقال: إن منزلي أقرب المنازل، فأذن لي أن أنقل رحلك. قال: «**نعم**»، فنقل وأناخ الناقة في منزله.انتهىٰ المراد.

قلت: أما إسناد الحاكم فلم أجده في "المستدرك"، ولكن الحافظ ابن كثير ذكره في "البداية والنهاية" (٤/ ٤٩٣)، وفي سنده: محمد بن سليمان بن أبي الورد، لم أجد له ترجمة، وإبراهيم بن أبي صرمة قال فيه أبو حاتم: شيخ. كما في "الجرح والتعديل" (٢/ ١٠٦).

وأما إسناد سعيد بن منصور فرواه البيهقي كما في «البداية والنهاية» (٤/ ٥٠٠) بالسند إلىٰ عبد الله بن الزبير قال: ...، وذكره.

وفي سنده: صديق بن موسىٰ الراوي عن ابن الزبير، قال الذهبي في «الميزان» (٣/ ٤٣١): وليس بالحجة، أضف إلىٰ ذلك أنني لم أجد عند من ترجموا له ذكر سماعٍ له من ابن الزبير.

وأما في «صحيح البخاري» برقم (٣٩٠٦) أنه ﷺ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ، فَسَارَ يَمْشِي مَعَهُ النَّاسُ حَتَّىٰ بَرَكَتْ عِنْدَ مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ، وَهُوَ يُصَلِّي فِيهِ يَوْمَئِذٍ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ مِرْبَدًا لِلتَّمْرِ، لِسُهَيْلٍ وَسَهْلٍ غُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي حَجْرِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ: «**هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْمَنْزِلُ**»، ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الغُلاَمَيْنِ فَسَاوَمَهُمَا بِالْمِرْبَدِ، لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا، فَقَالاَ: لاَ، بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَأَبَىٰ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هِبَةً حَتَّىٰ ابْتَاعَهُ مِنْهُمَا، ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا، وَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّبِنَ فِي بُنْيَانِهِ وَيَقُولُ، وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبِنَ:

«**هَذَا الحِمَالُ لَا حِمَالَ خَيْبَرْ ... هَـذَا أَبَـرُّ رَبَّنَـا وَأَطْهَرْ**»

وَيَقُولُ:

«**اللَّهُمَّ إِنَّ الأَجْرَ أَجْرُ الآخِرَهْ ... فَارْحَمِ الأَنْصَارَ، وَالمُهَاجِرَهْ**»

وفي «البخاري» أيضًا برقم (٣٩٣٢) عن أنس رضي الله عنه قال: ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَىٰ مَلَإِ بَنِي النَّجَّارِ، قَالَ: فَجَاءُوا مُتَقَلِّدِي سُيُوفِهِمْ. قَالَ: وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَـلَىٰ

رَاحِلَتِهِ وَأَبُو بَكْرٍ رِدْفَهُ، وَمَلَأُ بَنِي النَّجَّارِ حَوْلَهُ، حَتَّىٰ أَلْقَىٰ بِفِنَاءِ أَبِي أَيُّوبَ، قَالَ: فَكَانَ يُصَلِّي حَيْثُ أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ، وَيُصَلِّي فِي مَرَابِضِ الغَنَمِ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَمَرَ بِبِنَاءِ المَسْجِدِ، فَأَرْسَلَ إِلَىٰ مَلَإٍ بَنِي النَّجَّارِ فَجَاءُوا، فَقَالَ: «**يَا بَنِي النَّجَّارِ ثَامِنُونِي حَائِطَكُمْ هَذَا**» فَقَالُوا: لاَ وَاللَّهِ، لاَ نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَىٰ اللَّهِ. قَالَ: فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ، كَانَتْ فِيهِ قُبُورُ المُشْرِكِينَ، وَكَانَتْ فِيهِ خِرَبٌ، وَكَانَ فِيهِ نَخْلٌ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقُبُورِ المُشْرِكِينَ فَنُبِشَتْ، وَبِالخِرَبِ فَسُوِّيَتْ، وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ، قَالَ: فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ المَسْجِدِ، قَالَ: وَجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ[1] حِجَارَةً. الحديث.

فائدة:

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في «فتح الباري» (٧/ ٢٣٢): قوله «**بحائطكم**»، أي: بستانكم، وقد تقدم في الباب قبله أنه كان مربدًا؛ فلعله كان أولا حائطا ثم خرب فصار مربدًا، ويؤيده قوله: إنه كان فيه نخل وخِرَب. وقيل: كان بعضه بستانًا وبعضه مربدًا.اهـ

وقال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في «فتح الباري» (٧/ ٣٠٧): (مِرْبدًا) بكسر الميم وسكون الراء وفتح الموحدة هو الموضع الذي يجفف فيه التمر، وقال الأصمعي: المربد كل شيء حبست فيه الإبل أو الغنم، وبه سُمِّي مربد البصرة؛ لأنه كان موضع سوق الإبل.اهـ

وقد فرح أهل المدينة بمقدمه ﷺ أيّما فرح، وسُرُّروا أيّما سرور؛ فصعد

(١) بكسر المهملة، وتخفيف المعجمة: تثنية عضادة، وهي الخشبة التي علىٰ كتف الباب، ولكل باب عضادتان، وأعضاد كلِّ شيء ما يشد جوانبه. «فتح الباري» (٧/ ٣٣٩).

النساء فوق البيوت، وتفرق الغلمان والخدم في الطرق ينادون: يا محمد، يا رسول الله، يا محمد، يا رسول الله.(١)

قال أنس رضي الله عنه: إِنِّي لَأَسْعَىٰ فِي الْغِلْمَانِ يَقُولُونَ: جَاءَ مُحَمَّدٌ. فَأَسْعَىٰ فَلَا أَرَىٰ شَيْئًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: جَاءَ مُحَمَّدٌ. فَأَسْعَىٰ فَلَا أَرَىٰ شَيْئًا، حَتَّىٰ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَاحِبُهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، فَكُنَّا فِي بَعْضِ خَرَابِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ بَعَثَا رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ لِيُؤْذِنَ بِهِمَا الْأَنْصَارَ، فَاسْتَقْبَلَهُمَا زُهَاءُ خَمْسِمِائَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ حَتَّىٰ انْتَهَوْا إِلَيْهِمَا، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: انْطَلِقَا آمِنَيْنِ مُطَاعَيْنِ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبُهُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، فَخَرَجَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ، حَتَّىٰ إِنَّ الْعَوَاتِقَ لَفَوْقَ الْبُيُوتِ، يَتَرَاءَيْنَهُ، يَقُلْنَ: أَيُّهُمْ هُوَ؟ أَيُّهُمْ هُوَ؟ قَالَ: فَمَا رَأَيْنَا مَنْظَرًا شَبِيهًا بِهِ يَوْمَئِذٍ. قَالَ أَنَسٌ: فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَوْمَ دَخَلَ عَلَيْنَا وَيَوْمَ قُبِضَ، فَلَمْ أَرَ يَوْمَيْنِ شَبِيهًا بِهِمَا.(٢)

قال البراء بن عازب رضي الله عنهما: فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ.(٣)

قال أنس رضي الله عنه: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كلُّ شيءٍ.(٤)

---

(١) رواه مسلم (٤/ ١٣١١) عقب حديث رقم (٢٠٠٩).

(٢) رواه عبد بن حميد في "المنتخب" (٢/ ٢٦٦) برقم (١٢٦٧)، وهو صحيح، وصححه شيخنا الوادعي رحمه الله في "الجامع الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" (٥/ ١٩٠-١٩١).

(٣) رواه البخاري برقم (٣٧٠٩).

(٤) رواه الترمذي برقم (٣٦١٨)، وابن ماجه برقم (١٦٣١)، وإسناده حسن، وحسنه شيخنا الوادعي =

وعندما قدم النبي ﷺ وصحابته كانت المدينة في ذلك الحين ذات وباء، وكان وباؤها معروفًا حتىٰ في الجاهلية، فوُعك أبو بكر وبلال رضي الله عنهما؛ لذا تقول أُمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وُعِكَ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ، قَالَتْ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِمَا، فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ كَيْفَ تَجِدُكَ؟ وَيَا بِلَالُ كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَتْ: وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الحُمَّىٰ يَقُولُ:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ ... وَالمَوْتُ أَدْنَىٰ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وَكَانَ بِلَالٌ إِذَا أُقْلِعَ عَنْهُ يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ[(١)] فَيَقُولُ:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ

وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مِجَنَّةٍ ... وَهَلْ تَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ

قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ**»[(٢)].

قال الحافظ رحمه الله: قوله: (وجليل) بالجيم نبتٌ ضعيف يُحْشَىٰ به خصاص البيوت وغيرها.

= رحمه الله في "الجامع الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" (٥/ ١٩٠)، وقال رحمه الله: الإضاءة كناية عن الفرح والسرور الذي حصل للمسلمين عند دخول رسول الله ﷺ.اهـ

(١) أي: رفع صوته. قيل: أصله أن رجلًا قُطِعت رجله فكان يرفع المقطوعة علىٰ الصحيحة ويصيح من شدة وجعها بأعلىٰ صوته، فقيل لكلِّ رافع صوته: رفع عقيرته. "النهاية" (٢/ ٢٣٦) مادة: عقر.

(٢) رواه البخاري برقم (٣٩٢٦).

قوله: (مجنة) بالجيم موضع علىٰ أميال من مكة وكان به سوق.(١)

وشامة وطفيل: جبلان بقرب مكة، وقال الخطابي: كنت أحسب أنهما جبلان حتىٰ ثبت عندي أنهما عينان.اهـ

قلت: ومن بداية مَقْدَمِهِ أرَّخُوا التاريخ؛ لذا قال سهل بن سعد رضي الله عنه: ما عدُّوا من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولا من وفاته، ما عدُّوا إلا من مَقْدَمِهِ المدينة.(٢)

وابتداءُ ذلك من محرم، قال الحافظ رحمه الله في «فتح الباري» (٧/ ٣٤٢): لأنَّ ابتداء العزم علىٰ الهجرة كان في المحرم؛ إذ البيعة وقعت في أثناء ذي الحجة، وهي مقدِّمة الهجرة، فكان أول هلال استهلَّ بعد البيعة والعزم علىٰ الهجرة هلال المحرم؛ فناسب أن يُجعل مبتدأً، وهذا أقوىٰ ما وقفت عليه من مناسبة الابتداء بالمحرم... .اهـ

قال الشيخ حافظ رحمه الله:

---

(١) قال الأصمعي: وكانت مجنَّة بمَرِّ الظهران قُرب جبل يقال له: الأصفر، وهو بأسفل مكة علىٰ قدر بريد منها، وكانت تقوم عشرة أيام من آخر ذي القعدة والعشرين من قبلها سوق عكاظ، وبعد مَجَنّة سوق ذي المجاز ثمانية أيام من ذي الحجة، ثم يُعرِّفون في التاسع إلىٰ عرفة...، وماء مَجنة عذب يضرب بعذوبته المثل، وأهل مر الظهران يحرصون علىٰ أكل الرز المعدوس المطبوخ بماء بحرة؛ ولعله سر تغني بلال رضي الله عنه بماء مجنة. «معجم معالم الحجاز» (٨/ ١٥٠٧-١٥٠٨).

(٢) رواه البخاري برقم (٣٩٣٤).

وَقَـــدِمَ المَدِينَـــةَ الرَّسُـــولُ فِـــي ... دَارِ أَبِـــي أَيُّـــوبَ خَالِـــدِ الْـــوَفِي

وَلَمْ يَـــزَلْ فِـــي دَارِهِ حَتَّـــىٰ بَنَـــا ... مَسْـــجِدَهُ وَالحُجُـــرَاتِ سَـــاكِنَا

وَكَـــانَ فِـــي ذَلِـــكَ لِلأَنْصَـــارِ ... فِـــي الـــدِّيْنِ وَالـــدُّنْيَا عَلَـــىٰ الفَخَـــارِ

وَفُضِّـــلَتْ بِـــذَلِكَ المَدِينَـــهْ ... فِـــي الأَرْضِ لَا عَـــنْ مَكَّـــةَ الأَمِينَـــهْ

س٣٩/ إِلَى كَمِ انْقَسَمَ النَّاسُ بَعْدَ الْهِجْرَةِ؟

ج/ أَمَّا فِي مَكَّةَ فَبَيْنَ كَافِرٍ مُحَارِبٍ، وَمُؤْمِنٍ مُسْتَضْعَفٍ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَأَمَّا فِي الْمَدِيْنَةِ فَبَيْنَ مُؤْمِنٍ يُوَالِي فِي اللهِ وَيُعَادِي فِيْهِ، وَهُمُ الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ، وَبَيْنَ مُعَانِدٍ مُسْتَكْبِرٍ وَهُمُ الْيَهُودُ، وَبَيْنَ مُنَافِقٍ إِذَا لَقُوا الَّذِيْنَ آمَنُوا قَالُوا: آمَنَّا. وَإِذَا خَلَوا إِلَىٰ شَيَاطِيْنِهِم قَالُوا: إِنَّا مَعَكُم. (أ)

(أ) نصبت أحبار يهود العداوة للنبي ﷺ بغيًا وحسدًا، وسحره لبيد بن الأعصم، وهو من يهود بني زريق، فكان يخيل إليه أنه يفعل الفعل وهو لا يفعله، وجعل سحره في مشط ومشاطة، ودفنه تحت راعوفة[1] البئر، كما ثبت في "الصحيح"، وليس هذا بقادح في النبوة؛ فإن الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- يُبْتَلَون في أبدانهم بالجراحات والسموم والقتل وغير ذلك مما جوّزه العلماء عليهم.

وانضاف إلىٰ اليهود جماعة من الأوس والخزرج، منافقون، علىٰ دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث، إلا أنهم قُهروا بظهور الإسلام، فأظهروه واتخذوه جُنَّة من القتل، ونافقوا في السرِّ، منهم: عبد الله بن أبيٍّ ابن سلول، وكان رأس المنافقين، وهو القائل: لَئِنْ رَجَعْنا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ. كما سيأتي إن شاء الله في غزوة بني المصطلق.[2]

(١) هي صخرة تترك في أسفل البئر إذا حُفرت تكون ناتئةً هناك، فإذا أرادوا تنقية البئر جلس المنقي عليها. "النهاية" (١/ ٦٦٦) مادة: رَعَفَ.

(٢) "المواهب اللَّدنيَّة" (١/ ٣٣٢-٣٣٣).

قال الشيخ حافظ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَظْهَرَ اليَهُودُ للشِّقَاقِ ... بَيْنَ مُجَاهِرٍ وَذِي نِفَاقِ

حَتَّىٰ اسْتَفَزُّوا مَنْ عَلَيْهِ قَدِرُوا ... وَجَحَدُوا مَا عِنْدَهُمْ مُسَطَّرُ

مِنْ صِفَةِ النَّبِيِّ فِي التَّوْرَاةِ ... وَأَنَّهُ بِدُونِ شَكٍّ آتِ

فَشَاهَدُوا الحَقَّ وَعَنْهُ انْصَرَفُوا ... وَأَنْكَرُوا بِالْبَغْيِ مَا قَدْ عَرَفُوا

وَهُمْ قُرَيْظَةٌ كَذَا النَّضِيرُ ... وَقَيْنُقَاعُ كُلُّهُمْ مُبِيرُ

فَانْتَقَمَ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْهُمُ ... كَمَا سَيَأْتِي مَا نَقُصُّ عَنْهُمُ

بِالسَّبْيِ وَالجَلَاءِ وَالإِذْلَالِ ... وَقَتْلِ آخَرِينَ فِي الأَغْلَالِ

س٤٠/ مَاذَا شُرِعَ فِي السَّنَةِ الأُوْلَى مِنَ الْهِجْرَةِ مِنَ الْعِبَادَاتِ؟

ج/ كَانَ فِيْهَا اسْتِقْبَالُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا.(١) ....

(١) قال البخاري رَحِمَهُ اللهُ في "صحيحه" برقم (٤٠): حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ المَدِينَةَ نَزَلَ عَلَىٰ أَجْدَادِهِ، أَوْ قَالَ: أَخْوَالِهِ مِنَ الأَنْصَارِ. وَأَنَّهُ صَلَّىٰ قِبَلَ بَيْتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا... . الحديث.

ورواه مسلم برقم (٥٢٥): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ خَلَّادٍ، جَمِيعًا عَنْ يَحْيَىٰ، قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّىٰ: حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ سُفْيَانَ، حَدَّثَنِي أَبُو إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ، يَقُولُ: صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ صُرِفْنَا نَحْوَ الْكَعْبَةِ.

وقال مسلم أيضًا برقم (٥٢٥): حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا. حَتَّىٰ نَزَلَتِ الْآيَةُ الَّتِي فِي الْبَقَرَةِ ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤].

فالحديث الأول في "الصحيحين" فيه: ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرًا. بالشك.

وعند مسلم: ستة عشر شهرًا. بالجزم.

وجمع الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في "فتح الباري" (١/ ١٢٨) فقال: قوله: (ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرًا) كذا وقع الشك في رواية زهير هذه هنا -يعني عند البخاري- وفي الصلاة أيضًا عن أبي نعيم عنه، وكذا في رواية الثوري عنده، وفي رواية إسرائيل عند المصنف وعند الترمذي أيضًا.

ورواه أبو عوانة في "صحيحه" عن عمار بن رجاء وغيره عن أبي نعيم، فقال: ستة عشر. من غير شك، وكذا لمسلم من رواية أبي الأحوص، وللنسائي من رواية زكريا بن أبي زائدة وشريك، ولأبي عوانة أيضًا من رواية عمار بن رزيق بتقديم الراء مصغرًا، كلهم عن أبي إسحاق، وكذا لأحمد بسند صحيح عن ابن عباس، وللبزار والطبراني من حديث عمرو بن عوف: سبعة عشر. وكذا للطبراني عن ابن عباس.

والجمع بين الروايتين سهل: بأن يكون من جزم بستة عشر لفق من شهر القدوم وشهر التحويل شهرًا وألغىٰ الزائد، ومن جزم بسبعة عشر عدهما معًا، ومن شك تردد في ذلك، وذلك أنَّ القدوم كان في شهر ربيع الأول بلا خلاف[1]، وكان التحويل في نصف شهر رجب من السنة الثانية علىٰ الصحيح، وبه جزم الجمهور ورواه الحاكم بسند صحيح عن ابن عباس، وقال ابن حبان: سبعة عشر شهرًا وثلاثة أيام. وهو مبني علىٰ أن القدوم كان في ثاني عشر شهر ربيع الأول، وشذت

(١) وأخروا التاريخ إلىٰ محرم ولم يجعلوا ابتداءه من ربيع؛ لأن ابتداء العزم علىٰ الهجرة كان في المحرم فناسب أن يُجعل مبتدأ، وقد تقدم الكلام عليه قريبًا.

أقوال أخرىٰ: ففي "ابن ماجه" من طريق أبي بكر بن عياش عن أبي إسحاق في هذا الحديث: ثمانية عشر شهرًا. وأبو بكر سيء الحفظ، وقدِ اضطرب فيه، فعند ابن جرير من طريقه في رواية: سبعة عشر. وفي رواية: ستة عشر. وخرجه بعضهم علىٰ قول محمد بن حبيب أن التحويل كان في نصف شعبان، وهو الذي ذكره النووي في "الروضة" وأقره مع كونه رجح في شرحه لـ"مسلم" رواية: ستة عشر شهرًا؛ لكونها مجزومًا بها عند مسلم، ولا يستقيم أن يكون ذلك في شعبان إلا إن أُلغي شهري القدوم والتحويل، وقد جزم موسىٰ بن عقبة بأن التحويل كان في جمادىٰ الآخرة، ومن الشذوذ أيضا رواية: ثلاثة عشر شهرًا، ورواية: تسعة أشهر، أو عشرة أشهر، ورواية: شهرين. ورواية: سنتين. والاعتماد علىٰ القول الأول، فجملة ما حكاه: تسع روايات.اهـ

وَفِيْهَا فُرِضَ الْجِهَادُ[١]، وَفِيْهَا أُتِمَّتِ الرُّبَاعِيَّةُ فِي الْحَضَرِ (أ) ثَانِي عَشَرَ مِنْ رَبِيْعٍ الآخِرِ، وَفِيْهَا شُرِعَ الْأَذَانُ لِمَوَاقِيْتِ الصَّلَوَاتِ. (ب)

(أ) قالت عائشة رضي الله عنها: فُرضت الصلاة علىٰ رسول الله ﷺ بمكة ركعتين، فلما قدم المدينة فرضت أربعًا، وأُقرت الصلاة في السفر ركعتين.[٢]

(ب) قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: كَانَ الْمُسْلِمُونَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ يَجْتَمِعُونَ فَيَتَحَيَّنُونَ الصَّلَوَاتِ وَلَيْسَ يُنَادِي بِهَا أَحَدٌ، فَتَكَلَّمُوا يَوْمًا فِي ذَلِكَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اتَّخِذُوا نَاقُوسًا مِثْلَ نَاقُوسِ النَّصَارَىٰ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَرْنًا مِثْلَ قَرْنِ الْيَهُودِ. فَقَالَ عُمَرُ: أَوَلَا تَبْعَثُونَ رَجُلًا يُنَادِي بِالصَّلَاةِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«يَا بِلَالُ، قُمْ فَنَادِ بِالصَّلَاةِ»**.[٣]

قال الحافظ رحمه الله في "فتح الباري" (٢/ ٩٩): واختلف في السَّنة التي فُرض فيها، والراجح أن ذلك في السنة الأولىٰ... .اهـ

تنبيه: وردت أحاديث تدل علىٰ أنَّ الأذان شُرع بمكة قبل الهجرة، ذكرها الحافظ رحمه الله وبين ضعفها في "فتح الباري" (٢/ ١٠٠).

قال الشيخ حافظ رحمه الله:

---

(١) انظر "زاد المعاد" (٣/ ٦٩-٧١).

(٢) رواه أبو عوانة برقم (١٣٢٨)، وهو صحيح، وأصله في "الصحيحين".

(٣) متفق عليه.

وَبَعْـــدَ هِجْــــرَةِ النَّبِــــيْ لِيَثْرِبَــــا عَلَــيْهِمُ الجِهَــادُ فَرْضًــا كُتِبَــا

لِيُــدْخِلَ العِبَــادَ فِــي الإِسْــلَامِ طَوْعًــا وَكَرْهًــا دُونَــهَا مَــلَامِ

حَتَّــىٰ لَــهُ انْقَــادُوا وَفِيــهِ دَخَلُــوا وَنَكَّسُـــوا أَعْـــدَاءَهُ وَزَلْزَلُـــوا

وَمُبْتَــدَا التَّــأْرِيْخِ فِــي الإِسْــلَامِ مِــنْ هِجْــرَةِ النَّبِــيْ وَذَا فِــي عَــامِ

سَــبْعَةَ عَشْــرٍ أَوْ ثَــمَانِ عَشْــرِ فِــي دَوْلَــةِ الفَــارُوْقِ كَــانَ [فَـادْرِ][١]

[١] كلمة مطموسة في المخطوط، وصوبها شيخنا الفيفي حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى من نسخته بعدما تأمل فيها من نسخته عندما عرضتُها عليه.

س٤١/ كَمْ وَقَعَ فِيْهَا مِنَ السَّرَايَا؟

ج/ سَرِيَّةُ(أ) حَمْزَةَ فِي ثَلَاثِيْنَ مُهَاجِرِيًّا مُعْتَرِضًا عِيْرَ قُرَيْشٍ فِي رَمَضَانَ[1]، وَسَرِيَّةُ عُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ فِي سِتِّيْنَ مُهَاجِرِيًّا فِي رَابِعٍ مِنْ شَوَّالٍ[2](ب)، وَسَرِيَّةُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ فِي عِشْرِيْنَ مُهَاجِرِيًّا مُعْتَرِضًا عِيْرَ قُرَيْشٍ فِي ذِي الْقَعْدَةِ.[3]

(أ) السَّرِيَّة: بفتح المهملة، وكسر الراء، وتشديد التحتانية هي التي تخرج بالليل، والسارية التي تخرج بالنهار. وقيل: سميت بذلك لأنها تخفي ذهابها، وهذا يقتضي أنها أُخذت من السر، ولا يصح؛ لاختلاف المادة، وهي قطعة من الجيش تخرج منه وتعود، وهي من مائة إلىٰ خمسمائة، فما زاد علىٰ خمسمائة يقال له: منسر بالنون والمهملة؛ فإن زاد علىٰ الثمانمائة سُمِّي جيشًا، وما بينهما يسمىٰ هبطة؛ فإن زاد علىٰ أربعة آلاف يُسمَّىٰ جحفلًا؛ فإن زاد فجيش جرار، والخميس الجيش العظيم، وما افترق من السرية يسمىٰ بعثًا، فالعشرة فما بعدها تسمىٰ حفيرة، والأربعون عصبة، وإلىٰ ثلثمائة مقنب بقاف ونون، ثم موحدة؛ فإن زاد سُمِّي جمرةً بالجيم، والكتيبة ما اجتمع ولم ينتشر. انتهى من "فتح الباري" (٨/ ٧٠).

(ب) وعند ابن سعد أنها في شوال، وعند ابن إسحاق كما في "سيرة ابن هشام" أنها في ربيع الأول.

(١) "الطبقات" لابن سعد (٢/ ٦) و"السيرة" لابن هشام (٢/ ٢٨١) بدون سند.
(٢) "الطبقات" (٢/ ٦)، و "السيرة" لابن هشام (٢/ ٢٧٦) بدون سند.
(٣) "المغازي" (١/ ١١) من طريق الواقدي، "الطبقات" (٢/ ٧).

س٤٢/ مَاذَا وقع فِيْهَا مِنَ الحوادث؟

ج/ مِمَّا وَقَعَ فِيْهَا: بِنَاءُ الْمَسْجِدِ (أ)، وَالْمُؤَاخَاةُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِيْنَ وَالْأَنْصَارِ (ب)، وَبِنَاءُ النَّبِيِّ ﷺ بِعَائِشَةَ فِي شَوَّالٍ. (ج) ....

(أ) تقدم الكلام عليه قريبًا.

(ب) قال أنس رضي الله عنه: قَدِمَ عَلَيْنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فَآخَىٰ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ.[1]

وكانت المؤاخاة في بداية الهجرة علىٰ التوارث، ثم نسخت وبقيت مؤاخاة المواساة والمؤازرة والنصرة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان المهاجرون لمَّا قدموا علىٰ النبي ﷺ المدينة ورث المهاجرُ الأنصاريَّ دون ذوي رَحِمَه؛ للأخوة التي آخىٰ النبي ﷺ بينهم، فلما نزلت ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾[النساء: ٣٣] نسخت، ثم قال: ﴿وَالَّذِيْنَ عَاقَدَتْ أَيْمَانُكُم﴾ إلا النصرة والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث ويوصي له.[2]

(ج) قالت عائشة رضي الله عنها: تزوجني رسول الله ﷺ لست سنين وبنىٰ بي وأنا بنت تسع سنين.[3]

(١) رواه البخاري برقم (٢٢٩٣)، وانظر "صحيح مسلم" برقم (٢٥٢٨)، و(٢٥٢٩).

(٢) وانظر "فتح الباري" (٤/ ٢٦٣) برقم (١٩٦٨)، و(٥٩٧) رقم (٢٢٩٥).

(٣) رواه البخاري برقم (٣٨٩٤)، ومسلم برقم (١٤٢٢).

وَكَانَ عَقَدَ بِهَا وَبِسَوْدَةَ فِي مَكَّةَ(١) قَبْلَ ذَلِكَ بِسَنَتَيْنِ، وَفِيْهَا اعْتَلَّ الْمُهَاجِرُونَ بِحُمَّىٰ الْمَدِيْنَةِ، وَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِرَفْعِهَا وَنَقْلِ وَبَاءِ الْمَدِيْنَةِ إِلَىٰ الْجُحْفَةِ.

تقدم الكلام علىٰ ذلك في التعليق علىٰ السؤال رقم (٣٨).

قال الشيخ حافظ رحمه الله:

فِـي صَـدْرِهَا(٢) كَـانَ بِنَـاءُ المَسْـجِدِ ... وَاسْـتَقْبَلُوا المَقْـدِسَ(٣) عِنْـدَمَا ابْتُـدِي

كَـذَا المُؤَاخَـاةُ[٤] بِـلَا إِنْكَـارِ ... بَـيْنَ المُهَـاجِرِينَ وَالأَنْصَـارِ

تِسْـعُونَ نِصْـفُهُمْ مِـنَ الأَنْصَـارِ ... وَالنِّصْـفُ أَهْـلُ هِجْـرَةِ المُخْتَـارِ

وَقَـدْ بَنَـا الرَّسُـولُ بِالصِّـدِّيقَهْ ... فِـي شَـهْرِ شَـوَّالٍ فَخُـذْ تَحْقِيقَـهْ

وَكَـانَ عَقْـدُهُ بِهَـا مِـنْ قَبْـلِ ذَا ... بِسَـنَتَيْنِ بَعْـدَ سَـوْدَةٍ خُـذَا

كَـذَاكَ زِيْـدَ فِـي صَـلَاةِ الحَضَـرِ ... ثَـانِيَ عَشْـرَ مِـنْ رَبِيـعِ الآخِـرِ

كَـذَاكَ مَشْـرُوْعِيَّةُ الأَذَانِ ... عِنْـدَ المَوَاقِيـتِ بِـلَا نُكْـرَانِ

وَفِيـهِ بَعْـثُ حَمْـزَةَ لِلعِيْـرِ ... فِـي رَمَضَـانَ دُونَـمَا نَكِيـرِ

وَهُـمْ ثَلَاثُـونَ مُهَـاجِرُونَ مَـا ... فِـيهِمْ مِـنَ الأَنْصَـارِ شَـخْصٌ عُلِـمَا

ثُـمَّ عُبَيْـدَةَ بِشَـوَّالٍ إِلَـىٰ ... رَابِـغَ كَـانَ بَعْثُـهُ قَـدْ نُقِـلَا

(١) انظر "السيرة" لابن إسحاق (ص٢٧٩).

(٢) يعني السنة الأولىٰ.

(٣) وقع في المطبوع: (القبلة) بدل: (المقدس).

[٤] في المخطوط: [المؤخات].

سِـــــتُّونَ كُلُّهُـــــمْ مُهَـــــاجِرِيُّ مَـــا فِيهِمُـــو يُـــذْكَرُ أَنْصَـــارِيُّ

وَبَعْـــثُ سَـــعْدٍ كَـــانَ فِـــي ذِي القَعْـــدَةِ مُعْتَرِضًـــا [عِيـــرًا لأَهْـــلِ] مَكَّـــةِ

وَمَعَـــهُ عِشْـــرُونَ رَاجِـــلًا[١] وَهُـــمْ فِـــيمَا رُوِيْ مُهَـــاجِرُونَ كُلُّهُـــمْ

وَآخَـــرُونَ ذِي السَّـــرَايَا ذَكَـــرُوا ثَـــانِيَ عَـــامٍ ذَا لَـــدَيْهِمْ يُـــؤْثَرُ(٢)

---

[١] في المخطوط: [رجلًا] بدل: (راجلًا).

(٢) سيأتي ذلك في السنة الثانية من الهجرة.

س٤٣/ مَاذَا شُرِعَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْعِبَادَاتِ؟

ج/ فِيْهَا شُرِع اسْتِقْبَالُ الْكَعْبَةِ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ، نِصْفِ شَعْبَانَ (أ)، وَأَنْكَرَ الْيَهُودُ ذَلِكَ سَفَاهَةً مِنْهُم. (ب)

(أ) علىٰ قول محمد بن حبيب أن التحويل كان في نصف شعبان، وهو الذي ذكره النووي في "الروضة"، وأقرَّه مع كونه رجح خلافه في "شرح صحيح مسلم". انتهىٰ بتصرف يسير جدًّا.

وقال أيضًا في "فتح الباري" (١/ ١٢٠): وكان التحول في نصف شهر رجب من السَّنَة الثانية علىٰ الصحيح، وبه جزم الجمهور... .اهـ[(١)]

(ب) قال العماد بن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره" (٢/ ١١٠): ولما وقع هذا حصل لبعض الناس من أهل النفاق والريب والكفرة من اليهود ارتيابٌ وزيغٌ عن الهدىٰ وتخبيط وشك، وقالوا: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا﴾[البقرة:١٤٢]، أي: قالوا: ما لهؤلاء تارة يستقبلون كذا، وتارة يستقبلون كذا؟! فأنزل الله جوابهم في قوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾، أي: الحكم والتصرف والأمر كله لله، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[البقرة:١١٥]، و﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾[البقرة:١٧٧]، أي: الشأن كله في امتثال أوامر الله، فحيثما وجهنا توجهنا،

---

(١) وانظر التعليق علىٰ السؤال رقم (٤٠)، و"تاريخ خليفة" (ص٦٤)، و"الطبقات" لابن سعد (١/ ٢٤٢).

فالطاعة في امتثال أمره، ولو وجهنا في كل يوم مرات إلىٰ جهات متعددة، فنحن عبيده وفي تصرفه وخُدَّامُه، حيثما وجَّهَنا توجهنا، وهو تعالىٰ له بعبده ورسوله محمد -صلوات الله وسلامه عليه- وأمتِه عناية عظيمة؛ إذ هداهم إلىٰ قبلة إبراهيم، خليل الرحمن، وجعل توجههم إلىٰ الكعبة المبنية علىٰ اسمه تعالىٰ وحده لا شريك له، أشرف بيوت الله في الأرض؛ إذ هي بناء إبراهيم الخليل ﵇؛ ولهذا قال: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾.اهـ

وَفِيْهَا فُرِضَ صَوْمُ رَمَضَانَ (أ)، وَكَانَ الْمَفْرُوضُ قَبْلَهُ عَاشُورَاء (ب)، وَفِيْهَا فُرِضَتْ زَكَاةُ الْفِطْرِ [١]، وَشُرِعَتْ صَلَاةُ الْعِيْدِ [٢]، وَفِيْهَا فُرِضَتْ زَكَاةُ الْأَمْوَالِ [٣]، وَهِيَ ذَاتُ النُّصُبِ الْمَقْرُونَةِ بِالصَّلَاةِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ.

(أ) قال الإمام الطبري رَحِمَهُ اللهُ في "تاريخ الأمم والملوك" (٢/ ٣٠٤) في حوادث السَّنَة الثانية الهجرية: وفي هذه السَّنَة فرض -فيما ذكر- صوم رمضان، وقيل: إنه فُرِض في شعبان.انتهىٰ المراد.[٤]

(ب) قالتعائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: كانت قريش تصوم عاشوراء في الجاهلية، وكان رسول الله ﷺ يصومه، فلما هاجر إلىٰ المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما فُرض شهر رمضان قال: «**من شاء صامه، ومن شاء تركه**».[٥]

وفرضية الصيام كانت على مراحل:

الأولىٰ: صيام عاشوراء، كما تقدم.

الثانية: صيام رمضان، لكنه كان علىٰ سبيل التخيير لا الوجوب، فمن شاء صام، ومن شاء أفطر وأطعم مسكينًا مكان ذلك اليوم الذي أفطر فيه، قال تعالىٰ:

(١) انظر "تاريخ الطبري" (٢/ ٣٠٥)، و"الطبقات" (١/ ٢١٣-٢١٤).

(٢) انظر "تاريخ الطبري" (٢/ ٣٠٥)، و"الطبقات" (١/ ٢١٣-٢١٤).

(٣) انظر "الطبقات" (١/ ٢١٣-٢١٤).

(٤) وانظر "المجموع" (٦/ ٢٥١)، و"مجموع الفتاوىٰ" (٧/ ٦٠٦)، و"زاد المعاد" (٢/ ٣٠).

(٥) رواه البخاري برقم (١٨٩٣)، ومسلم برقم (١١٢٥).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [البقرة:١٨٣]، إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:١٨٤].

الثالثة: ثم نسخ التخيير إلىٰ الوجوب، قال تعالىٰ: ﴿أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ [البقرة:١٨٥].

س٤٤/ مَاذَا وَقَعَ فِيْهَا مِنَ الْغَزَوَاتِ؟

ج/ فِيْهَا غَزْوَةُ الْأَبْوَاءِ فِي شَهْرِ صَفَرٍ (أ)، ثُمَّ غَزْوَةُ بُوَاطَ فِي رَبِيْعٍ الْأَوَّلِ (ب) ..

(أ) علىٰ رأس اثني عشر شهرًا من مهاجره وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب، وكان لواء أبيض، واستخلف علىٰ المدينة سعد بن عبادة، وخرج في المهاجرين ليس فيهم أنصاري حتىٰ بلغ الأبواء[١] يعترض لِعِيْرٍ لقريش فلم يلق كيدًا، وهي غزوة ودَّان.[٢]

(ب) علىٰ رأس ثلاثة عشر شهرًا من مهاجره، وحمل لواءه سعد بن أبي وقاص، وكان لواء أبيض، واستخلف علىٰ المدينة سعد بن معاذ، وخرج في مائتين من أصحابه يعترض لعير لقريش فيها أميَّة بن خَلَف الجُمَحي، ومائة رجل من قريش، وخمسمائة بعير، فبلغ بُوَاطَ وهي جبال من جبال جهينة من ناحية رضوىٰ، وهي قريبة من ذي خشب مما يلي طريق الشام، وبين بُواط والمدينة نحو من أربعة بُرَد[٣]، فلم يلق رسول الله ﷺ كيدًا فرجع المدينة.[٤]

---

(١) الأبواء قرية من أعمال الفُرُع من المدينة بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلًا. وقيل: الأبواء جبل علىٰ يمين آرة، ويمين الطريق للمصعد إلىٰ مكة من المدينة. قال السكري: الأبواء جبلٌ شامخٌ مرتفعٌ ليس عليه شيء من النبات غير الخزم والبشام، وهو لخزاعة وضمرة. "معجم معالم الحجاز" (١/ ٤٤-٤٥).

(٢) "الطبقات" (٢/ ٧) بدون سند، وانظر "سيرة ابن هشام" (٢/ ٢٠٣)، و"زاد المعاد" (٣/ ١٦٤).
ودَّان: موضعٌ بين مكة والمدينة، وهي قرية جامعة من نواحي الفُرُع بينها وبين الأبواء نحو من ثمانية أميال، قريبة من الجحفة، وهي لضمرة وغفار وكنانة. "معجم معالم الحجاز" (٩/ ١٨٠٠).

(٣) الأربعة برد هي ستة عشر فرسخًا، والفرسخ ثلاثة أميال، والميل أربعة آلاف ذراع. "النهاية" (١/ ١٢٢) مادة: بَرَدَ.

(٤) "الطبقات" (٢/ ٨)، ابن هشام (٣/ ٢١٠).

ثُمَّ غَزْوَةُ [الْعُشَيْرَةِ (أ) فِي جُمَادَىٰ الآخِرَةِ][١]، ثُمَّ غَزْوَةُ بَدْرٍ الأُوْلَىٰ (ب)، ثُمَّ غَزْوَةُ بَدْرٍ الْكُبْرَىٰ (ج) يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَىٰ الْجَمْعَانِ..................................

(أ) ذو العشيرة، ويقال: العُشير، وذات العشيرة والعُشيرِ، وهو موضع من بطن يَنْبُع. «النهاية» (٢/ ٢١٠) مادة: عَشَرَ.

وكانت في جمادىٰ الآخرة علىٰ رأس ستة عشر شهرًا من مهاجره، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب، وكان لواء أبيض، واستخلف علىٰ المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وخرج في خمسين ومائة، ويقال: في مائتين من المهاجرين ممن انتدب، ولم يُكْرِه أحدًا علىٰ الخروج، وخرجوا علىٰ ثلاثين بعيرًا يعتقبونها، خرج يعترض لعير قريش... .(٢)

(ب) وذلك أن كرز بن جابر الفهري أغار علىٰ سرح المدينة، فطلبه فبلغ واديًا يقال له: سفوان من ناحية بدر، ففاته كرز، فرجع وقد استخلف علىٰ المدينة زيد ابن حارثة.(٣)

(ج) بدر قرية مشهورة، نُسِبَتْ إلىٰ بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة، كان نزلها، ويقال: بدر بن الحارث، ويقال: بدر: اسمُ البئر التي بها سُمِّيت بذلك لاستدارتها،

---

[١] ما بين المعقوفتين كُتب في حاشية المخطوط اليسرىٰ وهو غير واضح.

(٢) «الطبقات» (٢/ ٩)، وانظر «السيرة» لابن هشام (١/ ٤٦١) بدون سند.

(٣) «السيرة» لابن هشام (١/ ٤٦٣)، «الطبقات» (٢/ ٨) بدون سند، وانظر كذلك «الفصول في سيرة الرسول» لابن كثير (ص٨٨).

أو لصفاءِ مائها، فكان البَدْرُ يُرَىٰ فيها، وحكىٰ الواقديُّ إنكار ذلك كله عن غير واحد من شيوخ بني غفار، وإنما هي مأوانا ومنازلنا، وما ملكها أحدٌ قط يقال له: بدر، وإنما هو عَلَمٌ عليها كغيرها من البلاد.(١)

(١) قاله الحافظ رَحِمَهُ اللهُ في "فتح الباري" (٧/ ٣٦٢).

فِي أَوَّلِ شَهْرِ رَمَضَانَ[1]، وَكَانَتِ الْوَقْعَةُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ عَشَرَ مِنْهُ، وَفِيهَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْأَنْفَالِ (أ) بِكَمَالِهَا، وَفِيهَا حُكْمُ الْفَيْءِ وَالْغَنِيمَةِ (ب) ....،

(أ) والأنفال هي الغنائم التي ينفلها الله لهذه الأمة من أموال الكفار.[2]

(ب) لأن حكمها في ذلك اليوم ما كان قد شرع؛ فحصل بسبب ذلك خلافٌ بين الصحابة رضوان الله عليهم.

قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَشَهِدْتُ مَعَهُ بَدْرًا، فَالْتَقَىٰ النَّاسُ، فَهَزَمَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْعَدُوَّ، فَانْطَلَقَتْ طَائِفَةٌ فِي آثَارِهِمْ يَهْزِمُونَ وَيَقْتُلُونَ، فَأَكَبَّتْ طَائِفَةٌ عَلَىٰ الْعَسْكَرِ يَحْوُونَهُ وَيَجْمَعُونَهُ، وَأَحْدَقَتْ طَائِفَةٌ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ لَا يُصِيبُ الْعَدُوُّ مِنْهُ غِرَّةً، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ اللَّيْلُ وَفَاءَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالَ الَّذِينَ جَمَعُوا الْغَنَائِمَ: نَحْنُ حَوَيْنَاهَا وَجَمَعْنَاهَا؛ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهَا نَصِيبٌ. وَقَالَ الَّذِينَ خَرَجُوا فِي طَلَبِ الْعَدُوِّ: لَسْتُمْ بِأَحَقَّ بِهَا مِنَّا نَحْنُ نَفَيْنَا عَنْهَا الْعَدُوَّ وَهَزَمْنَاهُمْ. وَقَالَ الَّذِينَ أَحْدَقُوا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: لَسْتُمْ بِأَحَقَّ بِهَا مِنَّا نَحْنُ أَحْدَقْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَخِفْنَا أَنْ يُصِيبَ الْعَدُوُّ مِنْهُ غِرَّةً وَاشْتَغَلْنَا بِهِ. فَنَزَلَتْ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال:١]، فَقَسَمَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَىٰ فُوَاقٍ[3] بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ... .الحديث.[4]

---

(١) انظر "الطبقات" (٢/ ١١).

(٢) "تيسير الكريم الرحمن" (ص٣١٥).

(٣) علىٰ فواق، أي: قسمها في قَدْر فُواق ناقة، وهو ما بين الحلبتين من الراحة، وتُضَمُّ فاؤه وتُفتح، وقيل: أراد التفضيل في القسمة، كأنه جعل بعضهم أفوَق من بعض علىٰ قدر غنائمهم وبلائهم. "النهاية" (٢/ ٤٠٠) مادة: فَوَق.

(٤) رواه أحمد (٥/ ٣٢٤)، وهو حديث حسن بشواهده، وانظر "أسباب النزول" (ص١١٠-١١١) لشيخنا الوادعي رحمه الله، وتعليق الألباني علىٰ "فقه السيرة" (ص٢٣٤).

وَالْأَسْرَىٰ (أ)، وَكَانَتْ عِدَّةُ مَنْ شَهِدَهَا مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ ثَلَاثَ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ (ب) ...

(أ) يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في حديثه عن غزوة بدر: فَلَمَّا أَسَرُوا الأُسَارَىٰ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «**مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلاَءِ الأُسَارَىٰ؟**»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ؛ أَرَىٰ أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَىٰ الْكُفَّارِ، فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلإِسْلاَمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا تَرَىٰ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟**»، قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَرَىٰ الَّذِي رَأَىٰ أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَىٰ أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ -نَسِيبًا لِعُمَرَ- فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ؛ فَإِنَّ هَؤُلاَءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا. فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ... . الحديث.(١)

(ب) قال البراء رضي الله عنه: كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أنَّ عدة أصحاب بدر علىٰ عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر -ولم يجاوز معه إلا مؤمن- بضعة عشر وثلثمائة.(٢)

وسبب هذه الغزوة أنه بلغ النبي ﷺ أن عيرًا لقريش عظيمة فيها أموال كثيرة مقبلة من الشام إلىٰ مكة فيها ثلاثون أو أربعون رجلًا من قريش عميدهم أبوسفيان(٣)، فاستنفر رسول الله ﷺ من أصحابه من كان ظهره حاضرًا ولم يستنفر

---

(١) رواه مسلم برقم (١٧٦٣).

(٢) رواه البخاري برقم (٣٩٥٨).

(٣) "جوامع السيرة" (ص٨١).

الجميع وإنما قال لهم ﷺ: «**من كان ظهره حاضرًا فليركب معنا**»، فجعل رجال يستأذنونه في ظُهْرَانِهِمْ أنهم في علوِّ المدينة، فقال: «**لا، إلا من كان ظهره حاضرًا**»، فانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه... الحديث.[١]

ولمَّا علم أبو سفيان بذلك استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري، فبعثه إلىٰ مكة، وأمره أن يأتي قريشًا فيستنفرهم إلىٰ أموالهم ويخبرهم أن محمدًا قد عرض لها في أصحابه، فخرج ضمضم سريعًا إلىٰ مكة.[٢]

فتجهز الناس سراعًا...، فكانوا بين رجلين: إما خارج، وإما باعث مكانه رجلًا، وأوعبت[٣] قريش فلما يتخلف من أشرافها أحدٌ إلا أنَّ أبا لهب بن عبد المطلب تخلف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة، وكان قد لاط[٤] له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه، أفلس بها فاستأجره بها علىٰ أن يجزئ عنه بعثه، فخرج عنه وتخلف أبو لهب.[٥]

فَـلَمَّا وَصَـلَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَـنْ مَعَـهُ بَـدْرًا وَرَدَتْ عَلَيْهِمْ رَوَايَا قُرَيْشٍ[٦]، وَفِيهِمْ

---

(١) رواه مسلم برقم (١٩٠١).

(٢) "السيرة" لابن هشام (١/ ٤٦٧-٤٦٨) بإسناد حسن.

(٣) أي: لم يتخلف منهم أحدٌ. "النهاية" (٢/ ٨٦٤) مادة: وَعَبَ.

(٤) لَطَّ الغريم وألطَّ إذا منع الحق. "الغريبين" (٥/ ١٦٨٨) للهروي.

(٥) "السيرة" لابن إسحاق كما في "ابن هشام" (١/ ٤٧٠) بإسناد فيه مبهم.

(٦) أي: إبلهم التي كانوا يستقون عليها. نووي.

غُلَامٌ أَسْوَدُ لِبَنِي الْحَجَّاجِ، فَأَخَذُوهُ، فَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، وَأَصْحَابِهِ؟ فَيَقُولُ: مَا لِي عِلْمٌ بِأَبِي سُفْيَانَ، وَلَكِنْ هَذَا أَبُو جَهْلٍ، وَعُتْبَةُ، وَشَيْبَةُ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ. فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ ضَرَبُوهُ، فَقَالَ: نَعَمْ، أَنَا أُخْبِرُكُمْ، هَذَا أَبُو سُفْيَانَ، فَإِذَا تَرَكُوهُ فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: مَا لِي بِأَبِي سُفْيَانَ عِلْمٌ، وَلَكِنْ هَذَا أَبُو جَهْلٍ، وَعُتْبَةُ، وَشَيْبَةُ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ فِي النَّاسِ، فَإِذَا قَالَ هَذَا أَيْضًا ضَرَبُوهُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَأَىٰ ذَلِكَ انْصَرَفَ، قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَضْرِبُوهُ إِذَا صَدَقَكُمْ، وَتَتْرُكُوهُ إِذَا كَذَبَكُمْ**».(١)

ومما سأل النبي ﷺ أن قال له: «**كَمْ الْقَوْمُ؟**» قَالَ: هُمْ وَاللَّهِ كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ، شَدِيدٌ بَأْسُهُمْ. فَجَهَدَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُخْبِرَهُ: كَمْ هُمْ؟ فَأَبَىٰ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَهُ: «**كَمْ يَنْحَرُونَ مِنَ الْجَزُورِ؟**» فَقَالَ: عَشْرًا كُلَّ يَوْمٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الْقَوْمُ أَلْفٌ؛ كُلُّ جَزُورٍ لِمِائَةٍ وَتَبِعَهَا...**» الحديث.(٢)

وكان النبي ﷺ ليلة بدر يصلي ويدعو ربه عزَّ وجل حتىٰ أصبح، وكان الصحابة رضي الله عنهم نائمين.

قال علي رضي الله عنه: لقد رأيتنا ليلة بدرٍ وما مِنَّا إنسان إلا نائمٌ إلا رسول الله ﷺ؛ فإنه كان يصلي إلىٰ شجرة ويدعو حتىٰ أصبح... الحديث.(٣)

---

(١) رواه مسلم عن أنس رضي الله عنه برقم (١٧٧٩).

(٢) رواه أحمد (٢/ ١٩٣) وغيره، وصححه شيخنا الوادعي رحمه الله في "الجامع الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" (٣/ ٢٨٤-٢٨٦).

(٣) رواه أحمد (٢/ ٦٤)، وصححه شيخنا رحمه الله في "الجامع الصحيح" (٣/ ٢٨٩-٢٩٠).

وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «**اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ**»، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّىٰ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَىٰ مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ؛ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ.[١]

ولما تهيأ ﷺ وصحابته لقتال المشركين أخذ يعلمهم الرمي وكيفيته، فقال: «**إِذَا أَكْثَبُوكُمْ فَارْمُوهُمْ، وَاسْتَبْقُوا نَبْلَكُمْ**».[٢]

وقال ﷺ: «**لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَكُونَ أَنَا دُونَهُ**»، فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُومُوا إِلَىٰ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ**»، قَالَ: - يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟! قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: بَخٍ، بَخٍ.[٣] فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا يَحْمِلُكَ عَلَىٰ**

(١) رواه مسلم برقم (١٧٦٣).

(٢) رواه البخاري عن أبي أُسيد الساعدي رضي الله عنه برقم (٣٩٨٤).

(٣) كلمة تقال عند المدح والرضىٰ بالشيء، وتُكرَّر للمبالغة، وهي مبنية علىٰ السكون؛ فإن وَصَلْتَ جَرَرْتَ ونونت، قلت: بخٍ بخٍ. "النهاية" (١/ ١٠٧).

قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟» قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا. قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا»، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ(١)، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّىٰ آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ. قَالَ: فَرَمَىٰ بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّىٰ قُتِلَ.(٢)

وخاض المسلمون المعركة ببدرٍ بكل قوة وشجاعة، وأخذوا يضربون بسيوفهم أعناق المشركين، وأمدَّهم الله بالملائكة وكانوا سببًا لتثبيت الصحابة، وألقىٰ في قلوب المشركين الرعب ونصرهم عليهم، قال تعالىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩]، وقال تعالىٰ: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [الأنفال:١٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[آل عمران:١٢٣].

وَبَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ. فَنَظَرَ إِلَىٰ الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ(٣) وَشُقَّ وَجْهُهُ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ

(١) وهي جعبة النشاب.

(٢) رواه مسلم عن أنس ﵁ برقم (١٩٠١).

(٣) أي: أثر فيه مثل أثر الخطام. ينظر "النهاية" (١/ ٥٠٨) مادة: خَطَمَ.

فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ»، فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسَرُوا سَبْعِينَ.(١)

وقُتِل فرعون هذه الأمة: أبو جهل، قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه شارحًا مقتل عدو الله: بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بِغُلَامَيْنِ مِنَ الأَنْصَارِ حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعَ(٢) مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ: يَا عَمِّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ(٣) حَتَّى يَمُوتَ الأَعْجَلُ(٤) مِنَّا. فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الآخَرُ، فَقَالَ لِي مِثْلَهَا، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ، قُلْتُ: أَلَا إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي. فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا، فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرَاهُ. فَقَالَ: «أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟»، قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ. فَقَالَ: «هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟»، قَالَا: لَا. فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ، فَقَالَ: «كِلَاكُمَا قَتَلَهُ، سَلَبُهُ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ».(٥)

---

(١) رواه مسلم عن عمر رضي الله عنه، برقم (١٧٦٣).

(٢) أي: أقوى. نووي.

(٣) أي: شخصي شخصه. نووي.

(٤) أي: لا أُفارقه حتى يموت أحدنا وهو الأقرب أجَلًا. نووي.

(٥) رواه البخاري برقم (٣١٤١)، ومسلم برقم (١٧٥٢).

وقال النبي ﷺ يومها: «**مَنْ يَنْظُرُ مَا فَعَلَ أَبُو جَهْلٍ؟**». فَانْطَلَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَوَجَدَهُ قَدْ ضَرَبَهُ ابْنَا عَفْرَاءَ حَتَّىٰ بَرَدَ، فَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، فَقَالَ: أَنْتَ أَبَا[(١)] جَهْلٍ؟ قَالَ: وَهَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلَهُ قَوْمُهُ أَوْ قَالَ: قَتَلْتُمُوهُ.[(٢)]

فائدة: في هذا الحديث أن الذي قتل أبا جهل ابنا عفراء، وفي الذي قبله أن سلبه لمعاذ بن عمر بن الجموح.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: اختلف العلماء في معنىٰ هذا الحديث، فقال أصحابنا: اشترك هذان الرجلان في جراحته، لكن معاذ بن عمرو بن الجموح أثخنه أولا؛ فاستحق السلب، وإنما قال النبي ﷺ: «**كلاكما قتله**»؛ تطييبًا لقلب الآخر من حيث أن له مشاركة في قتله، وإلا فالقتل الشرعي الذي يتعلق به استحقاق السلب وهو الإثخان وإخراجه عن كونه متمنعًا إنما وجد من معاذ بن عمرو بن الجموح؛ فلهذا قضىٰ له بالسلب، قالوا: وإنما أخذ السيفين ليستدل بهما علىٰ حقيقة كيفية قتلهما، فعلم أن ابن الجموح أثخنه ثم شاركه الثاني بعد ذلك، وبعد استحقاقه السلب، فلم يكن له حق في السلب، هذا مذهب أصحابنا في معنىٰ هذا الحديث، وقال أصحاب مالك: إنما أعطاه لأحدهما لأن الإمام مخير في السلب يفعل فيه ما شاء، وقد سبق الرد علىٰ مذهبهم، والله أعلم.[(٣)]

---

(١) أنت أبا جهل؟ قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ: كذا للأكثر، وللمستملي وحده: (أنت أبو جهل؟)، والأول هو المعتمد في حديث أنس هذا؛ فقد صرح إسماعيل بن علية عن سليمان التيمي بأنه هكذا نطق بها أنس...اهـ

(٢) رواه البخاري عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ برقم (٣٩٦٣).

(٣) "شرح النووي لصحيح مسلم" (١٢/ ٦٢-٦٣).

وأُسِر يوم بدر أحَدُ صناديد ورؤوس الكفر: أُمية بن خلف، وكان عبدالرحمن ابن عوف قد تكاتب معه أن يحفظه في صياغته بمكة، وهو -أي: ابن عوف- يحفظه في صياغته بالمدينة، فخرج ابن عوف ﷺ إلىٰ جبل ليحرز أمية حين نام الناس، فأبصره بلال، فخرج حتىٰ وقف علىٰ مجلسٍ من الأنصار فقال: أُمية، لا نجوت إن نجا أُميَّة. فخرج معه فريق من الأنصار.

قال ابن عوف ﷺ: فلما خشيت أن يلحقونا خَلَّفت لهم ابنه لأشغلهم، فقتلوه، ثم أبوا حتىٰ يتبعونا، وكان رجلًا ثقيلًا، فلما أدركونا قلت له: ابرك. فبرك، فألقيت عليه نفسي؛ لأمنعه، فتجللوه بالسيوف من تحتي حتىٰ قتلوه، وأصاب أحدهم رجلي بسيفه.[(١)]

وَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ، فَقُذِفُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ خَبِيثٍ مُخْبِثٍ، وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَىٰ قَوْمٍ أَقَامَ فِي العَرْصَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَلَمَّا كَانَ بِبَدْرٍ اليَوْمَ الثَّالِثَ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشُدَّ عَلَيْهَا رَحْلُهَا، ثُمَّ مَشَىٰ وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَالُوا: مَا نُرَىٰ يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ. حَتَّىٰ قَامَ عَلَىٰ شَفَةِ الرَّكِيِّ، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ: **«يَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ، وَيَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ، أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟»** قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ لَهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ»**.[(٢)]

---

(١) انظر القصة عند البخاري برقم (٢٣٠١).

(٢) رواه البخاري برقم (٣٩٧٩)، ومسلم برقم (٢٨٧٤) عن أنس ﷺ.

ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي سُلَيْمٍ فِي شَوَّالٍ (أ)، ثُمَّ غَزْوَةُ السَّوِيْقِ فِي ذِي الْحِجَّةِ فِي طَلَبِ أَبِي سُفْيَانَ (ب).

(أ) بعد فراغه من بدرٍ، وكان فراغه من بدرٍ في عَقِبِ رمضان، أو في شوال، فلم يقم بالمدينة إلا سبع ليالٍ حتىٰ غزا بنفسه يريد بني سُلَيم حتىٰ بلغ ماءً من مياههم يقال له: الكدْر، فأقام عليه ثلاث ليالٍ، ثم رجع إلىٰ المدينة ولم يلق كيدًا.[1]

(ب) بعدما رجع المشركون مكة من بدرٍ حلف أبو سفيان ألَّا يمسَّ رأسَه ماءٌ من جنابة حتىٰ يغزوَ محمدًا ﷺ، فخرج في مائتي راكب، ونزل طرف العريض، وبات ليلةً واحدة في بني النضير عند سلام بن مِشْكَم، فسقاه، وبطن له من خبر الناس، ثم أصبح في أصحابه فقطع أصوارًا من النخل، وقتل رجلًا من الأنصار حليفًا له، ثم كَرَّ راجعًا، ونذر به رسول الله ﷺ، فخرج في طلبه المسلمون، فبلغ قَرْقَرَة الكُدْر وفاته أبو سفيان والمشركون، وألقوا شيئًا كثيرًا من أزوادهم من السويق؛ فَسُمِّيَت غزوة السويق.[2]

---

(١) ابن إسحاق (ص٣١٩) ولم يسندها.

(٢) ذكرها ابن إسحاق (ص٣٢٠) بإسناد مرسل، وانظر «الطبقات» (٢/ ٢٧)، و«الفصول» (ص١٠٦)، و«المواهب اللدنية» (١/ ٣٨٢-٣٨٣).

س٤٥/ مَاذَا وَقَعَ فِيْهَا مِنَ السَّرَايَا؟

ج/ فِيْهَا سَرِيَّةُ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَحْشٍ فِي ثَمَانِيَةِ نَفَرٍ (أ) مِنَ الْمُهَاجِرِيْنَ، وَقَتَلُوا ابْنَ الْحَضْرَمِيِّ، وَكُلُّ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ، وَنَزَلَتْ فِيْهِ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ [قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ][1]﴾[البقرة: ٢١٧].

(أ) كذا في "السيرة" لابن هشام (١/ ٤٦٣)، وفي "الطبقات" (٢/ ٩): اثني عشر رجلًا من المهاجرين. وهو عندهما بدون سند.

قال الشيخ حافظ رحمه الله عن أحداث ووقائع السَّنَة الثانية للهجرة:

فِيهَا وُقُوعُ غَزْوَةِ الأَبْوَاءِ	حَمْزَةُ فِيهَا صَاحِبُ اللِّوَاءِ
فَوَادَعَتْهُ ضَمْرَةٌ بِدُونِ شَرْ	وَكَانَ هَذَا الأَمْرُ فِي شَهْرِ صَفَرْ
وَكَانَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الأَوَّلِ	غَزَا بُوَاطَ وَهْوَ مَوْضِعٌ يَلِي
رَضْوَىٰ بِنَحْوِ مَائَتَيْنِ رَاكِبَا	مُعْتَرِضًا عِيرَ قُرَيْشٍ طَلَبَا
وَكَانَ مَعْ سَعْدٍ لِوَاؤُهُ وَلَمْ	يَكُنْ بِهَا حَرْبٌ وَلَمْ يَلْقَ أَلَمْ
وَبَعْدَ ذَا بِمُدَّةٍ يَسِيرَهْ	أَيْ فِي جُمَادَىٰ غَزْوَةُ العُشَيرَهْ
مَعْ حَمْزَةٍ لِوَاؤُهُ وَوَادَعَا	فِيهَا بَنِي مُدْلِجَ ثُمَّ رَجَعَا
وَبِلَيَالٍ بَعْدَهَا أَغَارَا	كُرْزٌ عَلَىٰ سَرْحِهِمُو فَسَارَا

[١] ما بين المعقوفتين لا يوجد في المخطوط، وإنما فيه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ﴾، هكذا، فأكملت بعضًا من الآية، وانظر "جوامع السيرة" لابن حزم (ص٧٩-٨٠)، و"الفصول في سيرة الرسول" (ص٨٨-٨٩).

يَطْلُبُهُ الرَّسُولُ حَتَّىٰ وَصَلَا ... بَدْرًا فَفَاتَهُ فَكَرَّ مُقْبِلَا

وَسُمِّيَتْ غَزْوَةَ بَدْرِ الأُولَىٰ ... لِمَا سَيَأْتِي فَافْهَمِ المَنْقُولَا

وَبَعْدَهَا بَعْثُ ابْنِ جَحْشٍ وَمَعَهْ ... مِنَ المُهَاجِرِيْنَ ضِعْفُ الأَرْبَعَهْ

وَكَانَ قَتْلُ عَمْرٍو بْنِ الحَضْرَمِيْ ... فِيهَا وَأَخْذُ عِيرِهِ فِي المَغْنَمِ

وَذاكَ[١] فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ رَجَبْ ... فَاسْتَعْظَمَ النَّبِيُّ ذَا وَهْوَ السَّبَبْ

لآيَةِ الجَوَابِ عَنْ سُؤَالِ ... أَئِمَّةِ الكُفْرِ عَنِ القِتَالِ

فِي الأَشْهُرِ الحُرْمِ وَكَانَتْ سَبَبَا ... للبَطْشَةِ الْكُبْرَىٰ كَمَا جَاءَ النَّبَا

وَبَعْدَ ذَا القِبْلَةُ حُوِّلَتْ إِلَىٰ ... كَعْبَةِ إِبْرَاهِيمَ حَيْثُ نَزَلَا

بِذَلِكَ الأَمْرُ مِنَ اللهِ الصَّمَدْ ... يَوْمَ الثُّلَاثَا نِصْفَ شَعْبَانَ وَرَدْ

وَاعْتَرَضَتْ فِي ذَلِكَ اليَهُودُ ... سَفَاهَةً فَلْيُرْغَمِ الحَسُودُ

مَعْ عِلْمِهِمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ بِعَجَبْ ... هُمُ الأَذَلُّونَ وَأُمَّةُ الغَضَبْ

كَذَاكَ فِيهِ فُرِضَ الصِّيَامُ ... أَيْ رَمَضَانَ مَا بِهِ إِيهَامُ

وَقَبْلَهُ المَفْرُوضُ عَاشُورَاءُ ... فَصَارَ بَعْدَهُ لِمَنْ يَشَاءُ

وَبَعْدَهُ فَرْضُ زَكَاةِ الفِطْرِ ... شَرْعِيَّةُ الصَّلَاةِ للعِيدِ ادْرِ

وَالْفَرْضُ للزَّكَاةِ ذَاتِ النُّصُبِ ... قَرِينَةِ الصَّلَاةِ فَافْهَمْ تُصِبِ

وَبَعدَهَا غَزْوَةُ بَدْرٍ كَانَتْ ... وَهْيَ الَّتِي الاعْدَا بِهَا اسْتَكَانَتْ

أَعْنِي بِذَاكَ غَزْوَةَ الفُرْقَانِ ... يَوْمَ اللِّزَامِ وَالْتِقَا الجَمْعَانِ

---

[١] في المخطوط: (وكان) بدل: (وذاك).

وَالبَطْشَةُ الكُبْرَىٰ الَّتِي بَهَا انْتَقَمْ ... رَبُّ السَّمَا وَالأَرْضِ مِنْ آلِ الصَّنَمْ(١)

وَذَاكَ أَنَّ المُصْطَفَىٰ قَدْ سَمِعَا ... قُدُومَ عِيرٍ لِقُرَيْشٍ فَدَعَا

إِلَيْهِمُو وَقَدْ مَضَتْ لَيَالِي ... مِنْ رَمَضَانَ ثُمَّ فِي الأَمْوَالِ(٢)

كَانَ أَبُو سُفْيَانَ لَمَّا أُخْبِرَا ... أَرْسَلَ ضَمْضَمًا قُرَيْشًا مُخْبِرَا

لأَيِّ أَمْرٍ قَدْ قَضَاهُ اللهُ ... جَلَّ وَلَا دَفْعٌ لِمَا قَضَاهُ

فَالْتَقَيَا مِنْ غَيْرِ مَا مِيعَادِ ... إِذْ شَاءَ قَطْعَ دَابِرِ الفَسَادِ

وَكَانَ مَنْ مَعَ الرَّسُولِ قَدْ نَفَرْ ... فَوْقَ الثَّلَاثِمِائَةٍ بِضْعُ عَشَرْ

وَالمُشْرِكُونَ فَوْقَ تِسْعِمِائَةِ ... وَدُونَ أَلْفٍ صَحَّ فِي الرِّوَايَةِ

وَقَدْ أُرِي الرَّسُولُ حِينَ نَامَا ... فِي قِلَّةٍ أَعْدَاءَهُ اللِّئَامَا

وَقَدْ رَأَىٰ كُلٌّ مِنَ الخَصْمَيْنِ ... قِلَّةَ ضِدِّهِ بِرَأْيِ العَيْنِ

وَحَالَةَ اللِّقَا قُرَيْشٌ عَايَنُوا ... صَحْبَ الرَّسُولِ ضِعْفَهُمْ فَوَهَنُوا

وَكَانَ ذَاكَ يَوْمَ سَبْعَةَ عَشَرْ ... مِنْ رَمَضَانَ فَادْرِهِ مِمَّنْ أَثَرْ

وَحِينَمَا تَقَابَلَ الصَّفَّانِ ... وَاصْطَدَمَا فِي المَعْرَكِ الخَصْمَانِ

وَرَفَعَ الرَّسُولُ كَفَّيِ الدُّعَا ... إِلَىٰ المُهَيمِنِ المُجِيبِ مَنْ دَعَا

فَجَاءَهُ مِنَ السَّمَاءِ المَدَدُ ... فَلَمْ يُفِدْ حِزْبَ اللَّعِينِ العَدَدُ

وَانْهَزَمَ الجَمْعُ وَوَلَّوُا الدُّبُرْ ... كَمَا قَضَىٰ الرَّحْمَنُ ذَاكَ فِي الزُّبُرْ

وَنَكَصَ الشَّيْطَانُ لِلفِرَارِ ... وَقَالَ مَا أَنَا لَكُمْ بِجَارِ

---

(١) أي: عبدة الأصنام.

(٢) أي: وفي هذه الأموال وهي عير قريش.

فَانْكَشَــفَ الغُبَــارُ عَــنْ سَــبْعِينَا | قَــدْ قُتِلُــوا وَأَسَــرُوا سَــبْعِينَا
وَقُــذِفُوا بِبِئْــرِ بَــدْرٍ كُلُّهُــمْ | فَوَقَــفَ النَّبِــيْ مُبَكِّتًــا لَهُــمْ
أَنْ قَــدْ وَجَــدْنَا مَــا وُعِــدْنَا حَقَّــا | فَهَــلْ وَجَــدْتُمْ مَــا وُعِــدْتُمْ حَقَّــا
وَسَــمِعُوا القَــوْلَ وَلَــوْ أَجَــابُوا | لَكَــانَ قَــوْلَ: نَعَــمْ، الجَــوَابُ
وَقَــدْ مَضَــتْ سُــنَّةُ ذِي العَــرْشِ بِــذَا | فَكُــلُّ بَــاغٍ فَجَــزَاؤُهُ كَــذَا
وَمِــنْ صَــحَابَةِ النَّبِــيِّ اسْتُشْــهِدَا | عَشْــرَةٌ مَــعْ أَرْبَعَــةٍ لَا أَزْيَــدَا
وَسُــورَةُ (الأَنْفَــالِ) فِيهَــا أُنْزِلَــتْ | وَهْــيَ عَلَــىٰ تَفْصِــيلِ ذَاكَ اشْــتَمَلَتْ
وَبَيَّنَــتْ تَفْصِــيلَ قَسْــمِ المَغْــنَمِ | وَالخُمْــسَ تِبْيَانًــا مُــزِيحَ الغَمَــمِ
وَعُوتِــبَ الرَّسُــولُ فِــي أَخْــذِ الفِــدَا | ثُــمَّ أَحَلَّــهُ الــرَّحِيمُ أَبَــدَا
وَكَــانَ فِــي ذَا أَوْضَــحُ الدِّلَالَــهْ | قَطْعًــا بِصِــدْقِ صَــاحِبِ الرِّسَــالَهْ
وَكَــمْ مِــنَ الــوَحْيِ صَــرِيحًا وَرَدَا | فِــي فَضْــلِ مَــنْ غَــزْوَةَ بَــدْرٍ شَــهِدَا
وَبَعْــدَهَا قَــدْ نَجَــمَ النِّفَــاقُ | فِــي حُسَّــدٍ وَانْكَــتَمَ الشِّــقَاقُ
وَكَــانَ بَعْــدَ ذَاكَ غَــزْوَةٌ إِلَــىٰ | بَنِــي سُــلَيْمٍ ثُــمَّ عَــادَ قَــافِلَا
بَعْــدَ مُقَامِــهِ ثَلَاثَــةً عَلَــىٰ | مَــاءٍ لَهُــمْ فَلَــمْ يَجِــدْ مُقَــاتِلَا
وَبَعْــدَ ذَاكَ غَــزْوَةُ السَّــوِيْقِ فِــي | ذِي الحِجَّــةِ افْهَمْــهُ بِــلَا تَوَقُّــفِ
وَكَــانَ طَالِبًــا أَبَــا سُــفْيَانَ ثُــمْ | لَمْ يُــدْرِكُوهُ إِذْ فِــرَارًا فَــاتَهُمْ

س٤٦/ مَاذَا وَقَعَ فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ مِنَ الْغَزَوَاتِ؟

ج/ فِيْهَا كَانَ غَزْوَةُ ذِي أَمَرّ (أ)، وَأَقَامَ صَفَرَ كُلَّهُ (ب)، ثُمَّ غَزْوَةُ الفُرُعِ (ج) آخِرَ رَبِيْعِ الْأَوَّلِ، وَغَزْوَةُ بَنِي قَيْنُقَاعٍ[١]، وَظَفَرَ بِهِم، فَاعْتَرَضَهُ حَلِيْفُهُم ابْنُ سَلُولٍ رَأْسُ الْمُنَافِقِيْنَ، فَأَطْلَقَهُم لَهُ[٢] ....

(أ) لما رجع ﷺ من غزوة السَّويق أقام بالمدينة ذي الحجة أو قريبًا منها، ثم غزا نجدًا يريد غطفان وهي غزوة ذي أَمَرّ، واستعمل علىٰ المدينة عثمان بن عفان.[٣]

(ب) فأقام بنجد صفرًا كله أو قريبًا من ذلك ثم رجع إلىٰ المدينة ولم يلقَ كيدًا.[٤]

(ج) يريد ﷺ قريشًا وبني سُليم حتىٰ بلغ بُحْرَان معدن بالحجاز في ناحية الفُرُع، وذلك المعدن للحجاج بن غلاط البهذي، فأقام به شهر ربيع الآخر وجمادىٰ الأولىٰ ثم رجع للمدينة ولم يلق كيدًا.[٥]

---

(١) انظر "السيرة" لابن إسحاق (ص٣٢٣-٣٢٤)، وابن هشام (١/ ٥٩٤-٥٩٥)، و"الطبقات" (٢/ ٢٦-٢٧)، و"جوامع السيرة" (ص١٢١)، ذكروا سببًا لها وهو أن يهوديًّا كشف وجه امرأة مسلمة وهو مرسل ضعيف. ينظر كتاب "دفاع عن الحديث..." (ص٣٢-٣٣).

(٢) انظر المصادر السابقة.

(٣) "السيرة" لابن إسحاق (ص٣٢١) بدون سند.

(٤) "السيرة" لابن إسحاق (ص٣٢١) بدون سند.

(٥) "السيرة" لابن إسحاق (ص٣٢٢) بدون إسناد، و"الطبقات" (٢/ ٣٥)، و"جوامع السيرة" لابن حزم (ص١٢١).

وَفِيْهَا غَزْوَةُ أُحُدٍ فِي نِصْفِ شَوَّالٍ ① ....

① انظر "تاريخ خليفة" (ص٩٧)، ومنهم من قال: إن غزوة أُحد كانت يوم السبت لسبعٍ خلون من شوال.[(١)]

وسبب هذه الغزوة أنه لمَّا أُصيبت قريش أو من قاتل منهم ببدرٍ وأصحاب القليب من كفار قريش فرجع فُلُّهم[(٢)] إلىٰ مكة ورجع أبو سفيان بن حرب في رجال من قريش ممن أُصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر، وكلموا أبا سفيان ابن حرب في عِيْرٍ كان قَدِمَ بها، فوقفها في دار الندوة، فكلموه ومن كانت له في تلك العير تجارة فقالوا: يا معشر قريش، إن محمدًا قد وتركم وقتل رجالكم وخياركم، فأعينونا بهذا المال علىٰ حربه؛ لعلنا أن ندرك منه ثأرنا بما أصابنا، فلما فعل أبو سفيان وأصحابُ العِيْرِ ما طلبت منهم قريش أجمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ بأحابيشها[(٣)] ومن أطاعهم من قبائل بني كنانة، وأهل تهامة كلُّ أولئك قد استغووا علىٰ حرب رسول الله ﷺ فأجمعوا السير إلىٰ أُحد.[(٤)]

ولما عَلِمَ النبي ﷺ بقدوم المشركين قال: «رَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا

---

(١) انظر "الطبقات" (٢/ ٢٣)، و"أنساب الأشراف" للبلاذري (١/ ٣٦٨).

(٢) الفلُّ: المنهزمون، وقل القوم يفلُّهم فلًّا: هزمهم. "لسان العرب" (٥/ ١٥٩) مادة: فلل.

(٣) الأحابيش هم أحياء من القارة انضموا إلىٰ بني ليث في محاربتهم قريشًا، والتحبُّش: التجمع، وقيل: حالفوا قريشًا تحت جبل يسمَّىٰ حُبْشيًّا؛ فَسُمُّوا بذلك. "النهاية" (١/ ٣٢٤) مادة: حَبَشَ.

(٤) "السيرة" لابن إسحاق (ص٣٣٠-٣٣١)، و"أنساب الأشراف" (١/ ٣٦٨).

فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ، فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ أُخْرَىٰ فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ بِهِ اللَّهُ مِنَ الفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَأَيْتُ فِيهَا بَقَرًا، وَاللَّهُ خَيْرٌ، فَإِذَا هُمُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ أُحُدٍ». (١)

وانطلق النبي ﷺ وصحابته الذين معه إلىٰ أُحد، ولما وصلوا أخذ ﷺ في ترتيبهم، فاختار منهم خمسين رجلًا وجعل عليهم أميرًا عبد الله بن جبير، فقال: «إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّىٰ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا القَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ، فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّىٰ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ». (٢)

وبدأت المعركة بين أولياء الله وأعدائه، فأخذ النبي ﷺ سيفًا فقال: «مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي هَذَا؟» فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ، كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ: أَنَا، أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟»، فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ. فَقَالَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ أَبُو دُجَانَةَ: أَنَا آخُذُهُ بِحَقِّهِ. فَأَخَذَهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ. (٣)

وقتل يومئذٍ حمزة عم النبي ﷺ، وقاتل مصعب بن عمير رضي الله عنه حتىٰ قُتِل، وكان النصر حليف المسلمين؛ لذا قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ [آل عمران:١٥٢]، والحسُّ: القتل.

(١) رواه البخاري برقم (٤٠٨١)، ومسلم برقم (٢٢٧٢) عن أبي موسىٰ رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري برقم (٣٠٣٩) عن البراء بن عازب رضي الله عنهما.

(٣) رواه مسلم برقم (١٧٨٩) عن أنس رضي الله عنه.

ولما انهزم المشركون استعجل الرماة فقالوا لابن جبير: الغَنِيمَةَ. أَيْ: قَوْمِ الغَنِيمَةَ، ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ: أَنَسِيتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ، لَنَأْتِيَنَّ النَّاسَ، فَلَنُصِيبَنَّ مِنَ الغَنِيمَةِ. فَلَمَّا أَتَوْهُمْ صُرِفَتْ وُجُوهُهُمْ، فَأَقْبَلُوا مُنْهَزِمِينَ.(١)

قال الزبير رضي الله عنه: والله، لقد رأيتني أنظر إلىٰ خدَم(٢) هند بنت عتبة وصواحبها مُشَمِّرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير؛ إذ مالت الرماة إلىٰ العسكر حين كشفنا القوم عنه وخلوا ظهورنا للخيل، فأُتِيْنَا من خلفنا، وصرخ صارخ: ألا إنَّ محمدًا قد قُتل. فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أنْ أصبنا أصحاب اللواء حتىٰ ما يدنو منهم أحدٌ من القوم.(٣)

قال البراء بن عازب رضي الله عنهما: فذاك إذ يدعوهم الرسول ﷺ في آخرهم فلم يبق مع النبي ﷺ غير اثني عشر رجلًا، فأصابوا منا سبعين... .(٤)

ولمَّا سمعوا ما سمعوا مِنْ أنَّ النبي ﷺ قُتل، جلس بعضهم وقاتل بعضهم، وحرض المؤمنين للقتال، منهم أنس بن النضر رضي الله عنه؛ فإنه عندما انكشف المسلمون وهزموا قال: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ -يَعْنِي

(١) رواه البخاري برقم (٣٠٣٩) عن البراء بن عازب رضي الله عنهما.

(٢) جمع خدمة، وهو الخلخال، ويجمع علىٰ: خدام أيضًا. "النهاية" (١/ ٤٧٥) مادة: خَدَم.

(٣) رواه ابن إسحاق كما في "السيرة" لابن هشام (٢/ ٦١٩) بإسناد حَسَن.

(٤) رواه البخاري برقم (٣٠٣٩).

أَصْحَابَهُ- وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ. يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ، فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ ابْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ، الجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ، إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ. قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ. قَالَ أَنَسُ بنُ مَالِكٍ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ[(١)] بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ قَالَ أَنَسٌ: كُنَّا نُرَىٰ أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣].[(٢)]

وَمِنْهُم عَمْرُو بْنَ أُقَيْشٍ رضي الله عنه، كَانَ لَهُ رِبًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَرِهَ أَنْ يُسْلِمَ حَتَّىٰ يَأْخُذَهُ، فَجَاءَ يَوْمُ أُحُدٍ، فَقَالَ: أَيْنَ بَنُو عَمِّي؟ قَالُوا: بِأُحُدٍ. قَالَ: أَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالُوا بِأُحُدٍ. قَالَ: فَأَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالُوا: بِأُحُدٍ. فَلَبِسَ لَأْمَتَهُ[(٣)] وَرَكِبَ فَرَسَهُ، ثُمَّ تَوَجَّهَ قِبَلَهُمْ، فَلَمَّا رَآهُ الْمُسْلِمُونَ، قَالُوا: إِلَيْكَ عَنَّا يَا عَمْرُو. قَالَ: إِنِّي قَدْ آمَنْتُ. فَقَاتَلَ حَتَّىٰ جُرِحَ، فَحُمِلَ إِلَىٰ أَهْلِهِ جَرِيحًا، فَجَاءَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ لِأُخْتِهِ: سَلِيهِ حَمِيَّةً لِقَوْمِكَ، أَوْ غَضَبًا لَهُمْ، أَمْ غَضَبًا لِلَّهِ؟ فَقَالَ: بَلْ غَضَبًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ. فَمَاتَ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَا صَلَّىٰ لِلَّهِ صَلَاةً.[(٤)]

---

(١) وقد نهىٰ النبي ﷺ عن المثلة، ومثلت بالقتيل: إذا جدعت أنفه، أو أُذنَه، أو مذاكيره، أو شيئًا من أطرافه، والاسم: المثلة، فأما (مَثَّل) بالتشديد؛ فهو للمبالغة. "النهاية" (٢/ ٦٣٢) مادة: مَثَلَ.

(٢) رواه البخاري برقم (٢٨٠٥)، ومسلم برقم (١٩٠٣).

(٣) اللأمة، مهموزة: الدرع، وقيل: السلاح، ولأمة الحرب: أداته، وقد يترك الهمز تخفيفًا. "النهاية" (٢/ ٥٧٨) مادة: لَأَمَ.

(٤) رواه أبو داود برقم (٢٥٣٧)، وإسناده حسن.

ومنهم حنظلة بن أبي عامر رضي الله عنه، فقد خرج إلىٰ القتال وهو جُنُبٌ، فقُتِل، فقال النبي ﷺ: «**إنَّ صاحبكم تغسله الملائكة**»، فسألوا صاحبته؟ فقالت: إنه خرج لمَّا سمع الهائعة[1] وهو جنب. فقال رسول الله ﷺ: «**لذلك غسلته الملائكة**».[2]

وقد عفا الله عن الذين لم يقاتلوا، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾ [آل عمران:١٥٥].

قال ابن الجوزي رحمه الله في "تفسيره" (١/ ٣٨٧): سبب فرارهم قولان: أحدهما: أنهم سمعوا أن النبي ﷺ قد قُتل؛ فترخصوا في الفرار. قاله ابن عباس في آخرين... انتهىٰ المراد.

وحاول مجموعة من المشركين الوصول إلىٰ رسول الله ﷺ، فاستطاعوا ذلك حتىٰ إنه ﷺ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا رَهِقُوهُ، قَالَ: «**مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ؟** -أَوْ: **هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ**»، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَاتَلَ حَتَّىٰ قُتِلَ، ثُمَّ رَهِقُوهُ أَيْضًا، فَقَالَ: «**مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ؟** أَوْ: **هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ**»، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَاتَلَ حَتَّىٰ قُتِلَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّىٰ قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِصَاحِبَيْهِ: «**مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا**».[3]

(١) الهائعة والهيعة هو: الصوت الذي تفزع منه، وتخافه، مِنْ عدوٍّ. "النهاية" (٢/ ٩٢٣) مادة: هيع.
(٢) رواه الحاكم (٣/ ٢٠٤) بإسناد حسن، وحسنه الألباني رحمه الله في "الصحيحة" برقم (٣٢٦).
(٣) رواه مسلم برقم (١٧٨٩) عن أنس رضي الله عنه.

وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشُجَّ رَأْسُهُ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: «**كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ اللهِ؟**»، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨].(١)

وممن كان يذب عن رسول الله ﷺ يوم أُحد: أبو طلحة رضي الله عنه؛ فإنه عندما انهزم الناس كان بين يدي النبي ﷺ مُجَوِّبٌ عليه بحَجَفِه(٢)، وكسر يومئذٍ قوسين أو ثلاثًا، وكان الرجل يمر معه بجعبة من النبل، فيقول: «**انثرها لأبي طلحة**»، ويشرف النبي ﷺ ينظر إلىٰ القوم فيقول أبو طلحة: بأبي أنت وأمي، لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك.(٣)

وشارك في هذه المعركة بعض النسوة، فَكُنَّ ينقلن الماء للصحابة، منهن: أُم سليط رضي الله عنها، قال عمر رضي الله عنه: فإنها كانت تزفر لنا القِرَبَ يوم أحدٍ.(٤)

وكذلك عائشة أُم المؤمنين، وأُم سُلَيم رضي الله عنهما، قال أنس رضي الله عنه: ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر، وأمَّ سليم وإنهما لمُشَمِّرتان، أرىٰ خَدم سوقهما تُنقِزان للقِرَب علىٰ متونهما تفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآنها، ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم... .(٥)

---

(١) رواه مسلم برقم (١٧٩١) عن أنس رضي الله عنه، وبنحوه عند البخاري برقم (٤٠٧٣)، و(٤٠٧٤) عن أبي هريرة، وابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) الحَجَفَة: التُّرس. «النهاية» (١/ ٣٣٨) مادة: حَجَفَ.
(٣) رواه البخاري برقم (٤٠٦٤)، ومسلم برقم (١٨١١) عن أنس رضي الله عنه.
(٤) رواه البخاري برقم (٤٠٧١).
(٥) رواه البخاري برقم (٤٠٦٤)، ومسلم برقم (١٨١١).

قال أنس ﵁: كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم ونسوةٍ من الأنصار معه إذا غزا، فيسقين الماء، ويداوين الجرحىٰ.(١)

قال القاضي عياض ﵀ في "إكمال المعلم" (٦/ ٢٠٣): وفي قوله: (يسقين الماء، ويداوين الجرحىٰ) جواز تناول المرأة الفاضلة مثل هذا من الرجال الفضلاء، لاسيما في هذا الموطن الذي لا يشغل فيه شيءٌ عمَّا هم فيه، وأنَّ أكثرهن كُنَّ متجالات، وأنَّ المداواة قد لا يكون فيها لمس ومباشرة...، وأما ظهور خَدَم سوقهن ورؤية الرجال ذلك منهن فلعله كان عن غير قصدٍ وتعمُّد، وللضرورة حينئذٍ للتشمير، واستقاء الماء وحمله، ولا يمكن ذلك مع إرخاء الذيل وستر الأرجل مع الشغل حينئذٍ بما هم فيه بعضهم عن بعض...، أو يكون هذا قبل أمرهن بالستر، والحديث كان في يوم أُحد وذلك في أول الإسلام قبل نزول الحجاب وقبل الأمر بالستر وإرخاء الذيل والضرب بالخُمُر علىٰ الجيوب والنهي عن إبداء الزينة... .اهـ

وقد أَصاب المسلمين غمٌّ في ذلك اليوم لما حصل لهم وللرسول ﷺ، فأنزل الله عليهم النعاس؛ ليكون ذلك سببًا لثباتهم، قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ الآية [آل عمران:١٥٤]، قال أبو طلحة ﵁: كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتىٰ سقط سيفي من يدي مرارًا، يسقط وآخذه، ويسقط وآخذه.(٢)

(١) رواه مسلم برقم (١٨١٠).
(٢) رواه البخاري برقم (٤٠٦٨).

ولمَّا يئس المشركون من أن يَصِلوا إلىٰ نبينا ﷺ ولم يجدوا ما يتمنون من النصر وطالت المعركة فما كان منهم إلا الانصراف، فلما انصرفوا أمر النبي ﷺ بِدَفنِ الشُّهداء، وأما كيفية الدفن، وهل صُلِّي عليهم؟ أو غُسِّلوا؟ فسيأتي ذكره قريبًا.

وَفِيْهَا مِنَ الْأَحْكَامِ تَرْكُ الصَّلَاةِ عَلَىٰ الشُّهَدَاءِ (أ) ، وَدَفْنُهُم بِثِيَابِهِم وَدِمَائِهِم (ب) ، وَجَوَازُ دَفْنِ أَكْثَرَ مِنْ وَاحِدٍ فِي قَبْرٍ لِلضَّرُوْرَةِ (ج) ، وَدَفْنِهِم حَيْثُ قُتِلُوا...............

(أ) والصحيح في مسألة الصلاة علىٰ الشهيد هو أنَّ الإمام مُخَيَّر بين الصلاة عليهم وتركها؛ لمجيء الأدلة بذلك، وهو ترجيح جماعة منهم: ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ في "المحلىٰ" مسألة رقم [٥٦٢]، وابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في "زاد المعاد" (٣/ ٣١٣)، و"تهذيب السنن" (٤/ ٢٩٥)، والألباني رَحِمَهُ اللهُ في "أحكام الجنائز" (ص٨٣).

(ب) قال جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لمَّا كان يوم أُحد أشرف النبي ﷺ علىٰ الشهداء الذين قتلوا يومئذٍ، فقال: «**زمِّلوهم بدمائهم؛ فإني قد شهدت عليهم**...» الحديث.[1]

(ج) قال جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كان -يعني النبي ﷺ- يجمع بين الرجلين من قتلىٰ أُحدٍ ثم يقول: «**أيُّهم أكثر أخذًا للقرآن؟**» فإذا أُشير له إلىٰ أحدٍ قدمه في اللحد، وقال: «**أنا شهيد علىٰ هؤلاء يوم القيامة**»، وأمر بدفنهم بدمائهم ولم يُصلِّ عليهم، ولم يغسلهم.[2]

(١) رواه أحمد (٥/ ٤٣١) بإسناد صحيح، ورجاله كلهم ثقات.

(٢) رواه البخاري برقم (١٣٤٧)، وللفائدة انظر "المجموع" (٥/ ٥٢٨)، و"الأوسط" (٥/ ٣٤٦)، و"فتح الباري" تحت حديث رقم (١٣٤٧).

ثُمَّ غَزْوَةُ حَمْرَاءَ الْأَسَدِ (أ)، وَنَزَلَ فِي ذَلِكَ مِنْ سُوْرَةِ آلِ عِمْرَانَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ [آل عمران:١٢١-١٧٩].

(أ) كان ذلك في يوم السبت للنصف من شوال، فلما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال أذَّن مؤذِّنُ رسول الله ﷺ بطلب العدو؛ إرهابًا لهم، وأذَّن مؤذنه: ألا يخرجنَّ معنا أحدٌ إلا أحد حضر يومنا بالأمس، فكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام فقال: يا رسول الله، إنَّ أبي كان خلفني علىٰ أخوات لي سبع قال: يا بُني، إنه لا ينبغي لي ولا لك أن تترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن، ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله ﷺ علىٰ نفسي؛ فتخلَّفْ علىٰ أخواتك. فتخلَّفت عليهن. فأذن له رسول الله ﷺ، فخرج معه، وإنما خرج رسول الله ﷺ مرهبًا للعدو، وليبلغهم أنه خرج في طلبهم؛ ليظنّوا به قوةً، وأنَّ الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم...، فخرج رسول الله ﷺ حتىٰ انتهىٰ حمراء الأسد وهي من المدينة علىٰ ثمانية أميال، واستعمل علىٰ المدينة ابن أُمِّ مكتوم، فأقام بها الإثنين، والثلاثاء، والأربعاء، ثم رجع إلىٰ المدينة.(١)

---

(١) ابن إسحاق (ص٣٤٨-٢٤٩)، وابن هشام (٢/ ٦٤٠-٦٤١)، و"أنساب الأشراف" (١/ ٤٠٢)، و"عيون الأثر" (٢/ ٣٥)، و"الفصول" (ص١١٩-١٢٠).

س٤٧/ مَاذَا وَقَعَ فِيْهَا مِنَ السَّرَايَا؟

ج/ فِيْهَا سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ مُعْتَرِضًا عِيْرَ قُرَيْشٍ (أ)، فَغَنِمَهَا، وَذَلِكَ فِي جُمَادَىٰ الآخِرَةِ، وَسَرِيَّةُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ فِي أَرْبَعَةِ نَفَرٍ إِلَىٰ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ فَقَتَلُوهُ، وَفِيْهَا[1] جَوَازُ الْخِدْعَةِ فِي الْحَرْبِ. (ب)

(أ) وفيها أبو سفيان بن حرب...، وكان من حديثها أنَّ قريشًا خافوا طريقهم الذي كانوا يسلكون إلىٰ الشام حين كان من وقعة بدر ما كان؛ فسلكوا طريق العراق، فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب ومعه فضة كثيرة، وهي عظيم تجارتهم، واستأجروا رجلًا من بني بكر بن وائل -فرات بن حيان- يدلهم في ذلك علىٰ الطريق...، فلقيهم وأصاب تلك العير وما فيها وأعجزه الرجال.[2]

(ب) كان كعب بن الأشرف اليهودي رجلًا من طيئ، وكانت أمه من بني النضير، وكان يؤذي رسول الله ﷺ والمؤمنين، ويشبب[3] في أشعاره بنساء المؤمنين، وذهب بعد وقعة بدر إلىٰ مكة، وألَّب[4] علىٰ رسول الله ﷺ، وعلىٰ المؤمنين، فندب رسول الله ﷺ إلىٰ قتله.[5]

---

(١) أي: وفي قصة قتل كعب.

(٢) "سيرة ابن هشام" (١/ ٥٩٧)، "الطبقات" (٢/ ٣٦).

(٣) تشبيب الشِّعْر: ترقيقه بذكر النساء. "النهاية" (١/ ٨٣٩).

(٤) أي: جمَّع، والإِلْبُ بالفتح والكسر: القوم يجتمعون علىٰ عداوة إنسان، وقد تألبوا، أي: تجمعوا. "النهاية" (١/ ٧٠) مادة: ألَب.

(٥) "السيرة" لابن هشام (١/ ٥٩٧-٥٩٨)، "الطبقات" (٢/ ٢٨-٣٠)، "الاكتفاء" للكلاعي (٢/ ٦٢)، =

فَلَمَّا كَانَ مِنْ عَدُوِّ اللهِ مَا كَانَ قَالَ ﷺ: «**مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ آذَىٰ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**»، فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: فَأْذَنْ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئًا.[(١)] قَالَ: «**قُلْ**»، فَأَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَأَلَنَا صَدَقَةً، وَإِنَّهُ قَدْ عَنَّانَا، وَإِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ أَسْتَسْلِفُكَ. قَالَ: وَأَيْضًا وَاللَّهِ لَتَمَلُّنَّهُ. قَالَ: إِنَّا قَدِ اتَّبَعْنَاهُ، فَلاَ نُحِبُّ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّىٰ نَنْظُرَ إِلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ شَأْنُهُ، وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ تُسْلِفَنَا وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ. فَقَالَ: ارْهَنُونِي. قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ تُرِيدُ؟ قَالَ: ارْهَنُونِي نِسَاءَكُمْ. قَالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا وَأَنْتَ أَجْمَلُ العَرَبِ. قَالَ: فَارْهَنُونِي أَبْنَاءَكُمْ. قَالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ أَبْنَاءَنَا؛ فَيُسَبُّ أَحَدُهُمْ، فَيُقَالُ: رُهِنَ بِوَسْقٍ أَوْ وَسْقَيْنِ. هَذَا عَارٌ عَلَيْنَا، وَلَكِنَّا نَرْهَنُكَ اللَّأْمَةَ -يَعْنِي السِّلاَحَ- فَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ، فَجَاءَهُ لَيْلًا وَمَعَهُ أَبُو نَائِلَةَ، وَهُوَ أَخُو كَعْبٍ مِنَ الرَّضَاعَةِ، فَدَعَاهُمْ إِلَىٰ الحِصْنِ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: أَيْنَ تَخْرُجُ هَذِهِ السَّاعَةَ؟ فَقَالَ إِنَّمَا هُوَ مُحَمَّدُ ابْنُ مَسْلَمَةَ، وَأَخِي أَبُو نَائِلَةَ. وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو -هُوَ أَحَدُ رُوَاةِ الْحَدِيْثِ- قَالَتْ: أَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ يَقْطُرُ مِنْهُ الدَّمُ. قَالَ: إِنَّمَا هُوَ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَرَضِيعِي أَبُو نَائِلَةَ، إِنَّ الكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَىٰ طَعْنَةٍ بِلَيْلٍ لَأَجَابَ. قَالَ: وَيُدْخِلُ مُحَمَّدُ بْـنُ مَسْلَمَةَ مَعَهُ رَجُلَيْنِ...، فَقَالَ: إِذَا مَا جَاءَ فَإِنِّي قَائِلٌ بِشَعَرِهِ فَأَشَمُّهُ، فَـإِذَا

= «الفصول» (ص١٠٨-١٠٩).

(١) كأنه استأذنه أن يفتعل شيئًا يحتال به، ومن ثَمَّ بوب عليه المصنف -أي: البخاري-: [الكذب في الحرب]، وقد ظهر من سياق ابن سعد للقصة أنهم استأذنوا أن يشكوا منه ويعيبوا رأيه... .قاله الحافظ في «فتح الباري» (٧/ ٤٢٩).

رَأَيْتُمُونِي اسْتَمْكَنْتُ مِنْ رَأْسِهِ، فَدُونَكُمْ فَاضْرِبُوهُ. وَقَالَ مَرَّةً: ثُمَّ أُشِمُّكُمْ. فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ مُتَوَشِّحًا وَهُوَ يَنْفَحُ مِنْهُ رِيحُ الطِّيبِ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رِيحًا -أَيْ: أَطْيَبَ- قَالَ: عِنْدِي أَعْطَرُ نِسَاءِ العَرَبِ وَأَكْمَلُ العَرَبِ. فَقَالَ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشُمَّ رَأْسَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَشَمَّهُ. ثُمَّ أَشَمَّ أَصْحَابَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَتَأْذَنُ لِي؟ قَالَ: نَعَمْ. فَلَمَّا اسْتَمْكَنَ مِنْهُ، قَالَ: دُونَكُمْ. فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ.(١)

قال الشيخ حافظ رَحِمَهُ اللهُ في «منظومته» عن وقائع السنة الثالثة من الهجرة النبوية -على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم-:

فِي صَدْرِهَا غَزْوَتُهُ لِذِي أَمَر	وَعَادَ مِنْ بَعْدِ مُقَامِهِ صَفَرْ
ثُمَّ غَزَا بَعْدُ لِنَحْوِ الفُرُعِ[٢]	آخِرَ أَوَّلَ الرَّبِيعَيْنِ فَعِ
وَكَانَ غَزْوَةٌ إِلَىٰ اليَهُودِ	مِنْ قَيْنُقَاعَ أُمَّةِ الجُحُودِ
لَكِنَّهُ أَطْلَقَهُمْ لَمَّا اعْتَرَضْ	فِي أَمْرِهِمْ ابْنُ سَلُولٍ ذُو المَرَضْ
لأَنَّهُ لَهُ ادَّعَاهُمْ أَوْلِيَا	أَمَّا عُبَادَةٌ فَمِنْهُمْ بَرِيَا
وَأُنْزِلَتْ فِي ذَاكَ آيٌ وَاعِظَهْ	فِي رَابِعِ الطِّوَالِ مِنْ أَقْوَىٰ عِظَهْ
وَفِي جُمَادَىٰ بَعَثَ النَّبِيْ إِلَىٰ	عِيرِ قُرَيْشٍ وَعَلَيْهَا[٣] حَصَلَا

(١) رواه البخاري برقم (٤٠٣٧)، ومسلم برقم (١٨٠١) عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
[٢] في المخطوط: [القرع] بالقاف، وهو خطأ، والصواب ما أثبت كما تقدم.

[٣] في المخطوط: [إليها]، وهو خطأ من الناسخ.

وَكَانَ فِي البَعْثِ الأَمِيرُ زَيْدَا ... فَغَنَمُوهَا لَمْ يُلَاقُوا كَيْدَا

وَكَانَ فِيهَا قَتْلُ إِبْنِ الاشْرَفِ ... أَذَاقَهُ الأَنْصَارُ حَدَّ المَشْرَفِ

وَبَعْدَ ذَاكَ أُحُدٌ قَدْ وَقَعَا ... لِلمُسْلِمِينَ الحُسْنَيَيْنِ اجْتَمَعَا

فَأَوَّلًا لِلانْتِصَارِ حَازُوا ... وَبِشَهَادَةٍ أَخِيرًا فَازُوا

سَبْعُونَ مِنْهُمْ أُكْرِمُوا وَاللهُ لَا ... يُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ عَمَلَا

وَنِيْلَ فِيهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ مَا ... يَكْفِيْكَ أُسْوَةً أَيَا مَنْ فَهِمَا

وَآخَرُونَ بِالجِرَاحَاتِ ابْتُلُوْا ... لِيُعْظِمَ اللهُ جَزَا مَا عَمِلُوا

وَكُلُّ ذَا كَانَ بِإِذْنِ اللهِ ... لَا غَافِلًا عَنْهُمْ وَلَا بِسَاهِ

وَلَوْ يَشَا عَزَّ وَجَلَّ لانْتَصَرْ ... مِنْهُمْ وَلَمْ يَنَلْ ذَوِي الإِيمَانِ شَرْ

لَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَمْتَحِنَا ... وَيَعْلَمَ المُرْتَابَ مِمَّنْ آمَنَا

ثُمَّ تَكُونُ بَعْدَ ذَاكَ الدَّائِرَهْ ... عَلَى الكَفُورِ اليَوْمَ أَوْ فِي الآخِرَهْ

وَلِأُوْلِي الإِيمَانِ عُقْبَى الدَّارِ ... وَالظَّفَرُ الأَعْلَى بِالانْتِصَارِ

وَاثْنَيْنِ أَوْ فَوْقَ بِقَبْرٍ دُفِنُوا ... ضَرُورَةً إِذْ غَيْرُ ذَا لَا يُمْكِنُ

وَلَمْ يَكُنْ صَلَّى عَلَيْهِمْ فِي الأَصَحْ ... وَدَفْنُهُمْ لَمْ يُغْسَلُوا بِالنَّصِّ صَحْ

وَقَـدْ دَعَـىٰ الرَّسُـولُ مَـنْ قَـدْ شَـهِدَا فَانْتُـدِبُوا إِلَـىٰ اللُّحُـوقِ بِالْعِـدَا

فَسَـارَ حَتَّـىٰ جَـاءَ حَمْـرَاءَ الأَسَـدْ وَعَـادَ مَصْـحُوبًا بِنِعْمَـةِ الصَّـمَدْ

وَجَـاءَ فِـي تَفْصِـيلِ ذَا آيَـاتُ مِـنْ آلِ عِمْـرَانَ مُبَيِّنَـاتُ

مِـنْ قَوْلِـهِ (وَإِذْ غَـدَوْتَ مِـنْ) إِلَـىٰ (مَـا كَـانَ) أَيْ تِسْـعٌ وَخَمْسُـونَ وِلَا[١]

وَكَـانَ يَـوْمَ النِّصْـفِ مِـنْ شَـوَّالِ ذَا الأَمْـرِ فِـي السَّـبْتِ بِـلَا جِـدَالِ

---

[١] غير واضح في المخطوط، وصوبه شيخنا الفيفي حفظه الله تعالى من نسخته بعدما تأمل فيها، و(وِلا) بكسر الواو، أي: متابعةً؛ لأن الموالاة: المتابعة، يقال: والىٰ بين الأمر موالاةً ووِلاءً: تابع. انظر «لسان العرب» مادة: ولي.

ومعنىٰ هذا البيت: أنَّ عدد الأبيات من قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ الآية، تسعٌ وخمسون آية من آية رقم [١٢١] إلىٰ آية رقم [١٧٩] من سورة آل عمران.

س٤٨/ كَمْ وَقَعَ فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ مِنَ الْغَزَوَاتِ؟

ج/ فِيْهَا غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيْرِ (أ) ....

(أ) ذكر أصحاب السِّير أنَّ سَبَبَ إجلاء بني النضير هو أنه ﷺ خرج إليهم ليستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر اللذين قَتَل عمرو بن أمية الضمري للجوار الذي كان رسول الله ﷺ عقده لهما، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقد وحلف، فلما أتاهم يستعينهم في دية ذينك القتيلين قالوا: نعم يا أبا القاسم، نعينك علىٰ ما أحببت مما استعنت بنا عليه. ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل علىٰ مثل حاله هذه -ورسول الله ﷺ إلىٰ جنب جدار من بيوتهم قاعد- فمن رجل يعلو علىٰ هذا البيت فيلقي عليه صخرةً فيريحنا منه. فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب أحدهما، فقال: أنا لذلك. فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال، ورسول الله ﷺ في نَفَرٍ من أصحابه فيهم: أبو بكر، وعمر، وعلي رضوان الله عليهم، فأتىٰ رسولَ الله ﷺ الخبرُ من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعًا إلىٰ المدينة، فلما استلبث النبي ﷺ أصحابه قاموا...، حتىٰ انتهوا إليه، فأخبرهم الخبر بما كانت اليهود أرادت من الغدر به، وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم والسَّير إليهم.[١]

وسبب آخر رواه عبد الرزاق في "المصنف" (٥/ ٣٥٨-٣٦١)، وفيه أنَّ كُفَّارَ

---

(١) وهو معضل، وينظر "السيرة" لابن إسحاق (ص٣٨٢-٣٨٣)، وابن هشام (٢/ ٧١٣-٧١٤)، "الطبقات" (٢/ ٥٣)، و"أنساب الأشراف" (١/ ٤٠٣-٤٠٤)، و"عيون الأثر" (٢/ ٧٠-٧٣)، و"الفصول" (ص١٢٦-١٢٨).

قُرَيْشٍ كَتَبَتْ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ إِلَىٰ الْيَهُودِ: إِنَّكُمْ أَهْلُ الْحَلْقَةِ[(١)] وَالْحُصُونِ، وَإِنَّكُمْ لَتُقَاتِلُنَّ صَاحِبَنَا، أَوْ لَنَفْعَلَنَّ كَذَا وَكَذَا، وَلَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَدَمِ نِسَائِكُمْ شَيْءٌ، ـ وَهُوَ الْخَلَاخِلُ ـ فَلَمَّا بَلَغَ كِتَابُهُمُ الْيَهُودَ أَجْمَعَتْ بَنُو النَّضِيرِ عَلَىٰ الْغَدْرِ، فَأَرْسَلَتْ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ: اخْرُجْ إِلَيْنَا فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ، وَلْنَخْرُجْ فِي ثَلَاثِينَ حَبْرًا حَتَّىٰ نَلْتَقِيَ فِي مَكَانِ كَذَا نَصْفٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، فَيَسْمَعُوا مِنْكَ؛ فَإِنْ صَدَّقُوكَ وَآمَنُوا بِكَ، آمَنَّا كُلُّنَا. فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ ثَلَاثُونَ حَبْرًا مِنَ الْيَهُودِ حَتَّىٰ إِذَا بَرَزُوا فِي بَرَازٍ مِنَ الْأَرْضِ، قَالَ بَعْضُ الْيَهُودِ لِبَعْضٍ: كَيْفَ تَخْلُصُونَ إِلَيْهِ، وَمَعَهُ ثَلَاثُونَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ كُلُّهُمْ يُحِبُّ أَنْ يَمُوتَ قَبْلَهُ؟ فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ: كَيْفَ تَفْهَمُ وَنَفْهَمُ وَنَحْنُ سِتُّونَ رَجُلًا؟ اخْرُجْ فِي ثَلَاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِكَ، وَيَخْرُجُ إِلَيْكَ ثَلَاثَةٌ مِنْ عُلَمَائِنَا، فَلْيَسْمَعُوا مِنْكَ؛ فَإِنْ آمَنُوا بِكَ آمَنَّا كُلُّنَا، وَصَدَّقْنَاكَ.

فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي ثَلَاثَةِ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَاشْتَمَلُوا عَلَىٰ الْخَنَاجِرِ، وَأَرَادُوا الْفَتْكَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَرْسَلَتِ امْرَأَةٌ نَاصِحَةٌ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ إِلَىٰ بَنِي أَخِيهَا، وَهُوَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَخْبَرَتْهُ خَبَرَ مَا أَرَادَتْ بَنُو النَّضِيرِ مِنَ الْغَدْرِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ أَخُوهَا سَرِيعًا، حَتَّىٰ أَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ فَسَارَّهُ بِخَبَرِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَرَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ، غَدَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْكَتَائِبِ فَحَاصَرَهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ: «**إِنَّكُمْ لَا تَأْمَنُونَ عِنْدِي إِلَّا بِعَهْدٍ تُعَاهِدُونِي**

(١) الحلْقة، بسكون اللام: السلاح عامًّا، وقيل: هي الدروع خاصةً. «النهاية» (١/ ١٤٧) مادة: حَلَقَ.

عَلَيْهِ»، فَأَبَوْا أَنْ يُعْطُوهُ عَهْدًا، فَقَاتَلَهُمْ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ هُوَ وَالْمُسْلِمُونَ، ثُمَّ غَدَا الْغَدُ عَلَىٰ بَنِي قُرَيْظَةَ بِالْخَيْلِ وَالْكَتَائِبِ، وَتَرَكَ بَنِي النَّضِيرِ وَدَعَاهُمْ إِلَىٰ أَنْ يُعَاهِدُوهُ، فَعَاهَدُوهُ، فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ، وَغَدَا إِلَىٰ بَنِي النَّضِيرِ بِالْكَتَائِبِ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّىٰ نَزَلُوا عَلَىٰ الْجَلَاءِ، وَعَلَىٰ أَنَّ لَهُمْ مَا أَقَلَّتِ الْإِبِلُ... . وإسنادها صحيح.

وَإِجَـــلَاؤُهُم (أ) وَأَخْــذُ أَمْـوَالِهِم فَيْئًا (ب)، وَفِيْهَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْحَشْرِ (ج) ....

(أ) قال أبو عبيدة: يقال: الجلاء والإجلاء، جلاه: أخرجه، وأجليته: أخرجته، والتحقيق أن الجلاء أخص من الإخراج؛ لأن الجلاء ما كان مع الأهل والمال، والإخراج أعم منه.(١)

(ب) الفيء: كل ما أُخذ من الكفار بغير قتال ولا إيجاف خيل، ولا ركاب، كأموال بني النضير هذه؛ فإنها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، أي: لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصاولة، بل نزل أولئك من الرعب الذي ألقىٰ الله في قلوبهم من هيبة رسول الله ﷺ، فأفاءه الله علىٰ رسوله؛ ولهذا تصرف فيه كما شاء، فرده علىٰ المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها الله عزوجل في هذه الآية: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ﴾، أي: من بني النضير ﴿فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ﴾ يعني: الإبل، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[الحشر: ٦]، أي: هو قدير لا يغالب، ولا يمانع، بل هو القاهر لكل شيء.اهـ(٢)

(ج) قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: سُورَةُ التَّوْبَةِ؟ قَالَ: التَّوْبَةُ هِيَ الفَاضِحَةُ، مَا زَالَتْ تَنْزِلُ: وَمِنْهُمْ، وَمِنْهُمْ، حَتَّىٰ ظَنُّوا أَنَّهَا لَنْ تُبْقِيَ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا ذُكِرَ فِيهَا. قَالَ: قُلْتُ: سُورَةُ الأَنْفَالِ؟ قَالَ: نَزَلَتْ فِي بَدْرٍ. قَالَ: قُلْتُ: سُورَةُ الحَشْرِ؟ قَالَ: نَزَلَتْ فِي بَنِي النَّضِيرِ.(٣)

---

(١) "فتح الباري" (٨/ ٨١١).

(٢) قاله الحافظ ابن كثير في "تفسيره" (١٣/ ٤٨٢).

(٣) رواه البخاري برقم (٤٨٨٢)، ومسلم برقم (٣٠٣١)، وانظر "الصحيح المسند من أسباب=

وَكَانَ فِيْهَا تَحْرِيْمُ الْخَمْرِ[(١)]، وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ رَبِيْعٍ الْأَوَّلِ[(٢)]، وَكَانَ فِيْهَا غَزْوَةُ ذَاتِ الرِّقَاعِ[أ] فِي جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ فِي الْقَوْلِ الْمَرْجُوحِ..............................

[أ] اختُلِف في سبب تسميتها، والصحيح أنها سُمِّيت بذلك لأنهم كانوا يَلُفُّون علىٰ أرجلهم الخِرَقَ؛ فسُمِّيَت: ذات الرقاع، وهو الموافق للدليل، قال أبو موسىٰ الأشعري رضي الله عنه: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ، بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ، فَنَقِبَتْ أَقْدَامُنَا، وَنَقِبَتْ قَدَمَايَ، وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي، وَكُنَّا نَلُفُّ عَلَىٰ أَرْجُلِنَا الخِرَقَ؛ فَسُمِّيَتْ غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ، لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ مِنَ الخِرَقِ عَلَىٰ أَرْجُلِنَا.[(٣)]

وكانت هذه الغزوة إلىٰ نجد، يريد ﷺ بني محارب، وبني ثعلبة من غطفان، واستعمل علىٰ المدينة أبا ذر الغفاري، ويقال: عثمان بن عفان، فلقي بها جمعًا عظيمًا من غطفان، فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب، وقد خاف الناس بعضهم بعضًا حتىٰ صلىٰ رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف، ثم انصرف بالناس.[(٤)]

= النزول» (ص٢٤٠-٢٤٣) لشيخنا الوادعي رحمه الله.

(١) انظر «جوامع السيرة» لابن حزم (ص١٤٤)، و«السيرة» لابن هشام (لابن كثير) (٢/ ٨٠).

(٢) انظر «الطبقات» (٢/ ٥٣).

(٣) رواه البخاري برقم (٤١٢٨)، ومسلم برقم (١٨١٦).

(٤) «السيرة» لابن إسحاق (ص٣٨٧) بدون سند.

وَالرَّاجِحُ أَنَّهَا فِي السَّابِعَةِ بَعْدَ خَيْبَرَ (أ)، وَفِيْهَا فِي شَعْبَانَ غَزْوَةُ بَدْرٍ الْمَوْعِدِ (ب)، وَلَمْ يُوَافِهَا أَبُو سُفْيَانَ.

(أ) وإلىٰ هذا مال الإمام البخاري وبوب في "صحيحه": باب غزوة ذات الرقاع وهي غزوة محارب من بني ثعلبة من غطفان، فنزل نخلًا وهي بعد خيبر.

وذكر الحافظ رَحِمَهُ اللهُ في "فتح الباري" (٧/ ٥٣١) الخلاف ثم قال: الذي ينبغي الجزم به أنها بعد غزوة بني قريظة؛ لأنه تقدم أن صلاة الخوف في غزوة الخندق لم تكن شُرِعت، وقد ثبت وقوع صلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع؛ فدل علىٰ تأخرها بعد الخندق.اهـ(١)

(ب) وهي غير بدر القتال...، قالوا: لما أراد أبو سفيان بن حرب أن ينصرف يوم أحد نادىٰ: الموعد بيننا وبينكم بدر الصفراء رأس الحول نلتقي. فأقام النبي ﷺ ثمان ليالٍ ينتظر أبا سفيان، وخرج أبو سفيان حتىٰ نزل مَجَنَّة من ناحية الظهران، وبعض الناس يقول: قد بلغ عُسْفَان(٢)، ثم بدا له الرجوع فقال: يا معشر قريش، إنه لا يصلحكم إلا عَامٌ خصيبٌ ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن، وإنَّ عامكم هذا عام جدب وإني راجع فارجعوا. فرجع الناس... .(٣)

(١) وانظر ما رواه البخاري برقم (٤١٢٩)، و(٤١٣١)، ومسلم برقم (٨٤٢).

(٢) بلدة عامرة تقع شمال مكة علىٰ ثمانين كيلًا علىٰ المحجة إلىٰ المدينة علىٰ التقاء وادي فيْدة بوادي الصُّغُر، فيها آبار عذبة قديمة مجصصة، ومرقبة. "معجم معالم الحجاز" (٦/ ١١٥١).

(٣) "السيرة" لابن إسحاق (ص٣٩١) بدون سند، "الطبقات" (٢/ ٥٥).

س٤٩/ كَمْ وَقَعَ فِيْهَا مِنَ السَّرَايَا؟

ج/ فِيْهَا سَرِيَّةُ أَبِي سَلَمَةَ إِلَىٰ بَنِي أَسَدٍ (أ) فِي شَهْرِ مُحَرَّمٍ، وَفِي صَفَرٍ مِنْهَا سَــرِيَّةُ الرَّجِيْــعِ (ب) ....

(أ) لأنهم كانوا جمعوا جمعًا عظيمًا، وعليهم طليحة بن خويلد وأخوه سلمة بن خويلد يريدون غزو المدينة، فبلغ قطنًا وهو جبل فلم يلق كيدًا؛ وذلك أن الأعراب تفرقوا وأصاب نَعَمًا استاقها، ويقال: إنه لقيهم فقاتلهم، فظفر وغنم.[1]

(ب) بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً عَيْنًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ، فَانْطَلَقُوا حَتَّىٰ إِذَا كَانَ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُذَيْلٍ يُقَالُ لَهُمْ: بَنُو لَحْيَانَ، فَتَبِعُوهُمْ بِقَرِيبٍ مِنْ مِائَةِ رَامٍ، فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ حَتَّىٰ أَتَوْا مَنْزِلًا نَزَلُوهُ، فَوَجَدُوا فِيهِ نَوَىٰ تَمْرٍ تَزَوَّدُوهُ مِنَ المَدِينَةِ، فَقَالُوا: هَذَا تَمْرُ يَثْرِبَ، فَتَبِعُوا آثَارَهُمْ حَتَّىٰ لَحِقُوهُمْ، فَلَمَّا انْتَهَىٰ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجَئُوا إِلَىٰ فَدْفَدٍ[2]، وَجَاءَ القَوْمُ فَأَحَاطُوا بِهِمْ، فَقَالُوا: لَكُمُ العَهْدُ وَالمِيثَاقُ إِنْ نَزَلْتُمْ إِلَيْنَا أَنْ لاَ نَقْتُلَ مِنْكُمْ رَجُلًا. فَقَالَ عَاصِمٌ: أَمَّا أَنَا فَلاَ أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ، اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ. فَقَاتَلُوهُمْ حَتَّىٰ قَتَلُوا عَاصِمًا فِي سَبْعَةِ نَفَرٍ بِالنَّبْلِ، وَبَقِيَ خُبَيْبٌ وَزَيْدٌ وَرَجُلٌ آخَرُ، فَأَعْطَوْهُمُ العَهْدَ وَالمِيثَاقَ، فَلَمَّا أَعْطَوْهُمُ العَهْدَ وَالمِيثَاقَ نَزَلُوا إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ حَلُّوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ، فَرَبَطُوهُمْ بِهَا، فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ الَّذِي مَعَهُمَا: هَذَا أَوَّلُ الغَدْرِ، فَأَبَىٰ أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَـجَرَّرُوهُ

---

(١) "الطبقات" (٢/ ٤٦-٤٧)، "الأنساب" للبلاذري (١/ ٤٥١-٤٥٢) بدون سند.

(٢) الفدفد: الموضع الذي فيه غِلَظ وارتفاع. "النهاية" (٢/ ٣٥).

وَعَالَجُوهُ عَلَىٰ أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَلَمْ يَفْعَلْ فَقَتَلُوهُ.

وَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبٍ، وَزَيْدٍ حَتَّىٰ بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ، فَاشْتَرَىٰ خُبَيْبًا بَنُو الحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلٍ، وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الحَارِثَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَمَكَثَ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا، حَتَّىٰ إِذَا أَجْمَعُوا قَتْلَهُ، اسْتَعَارَ مُوسَىٰ مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الحَارِثِ لِيَسْتَحِدَّ بِهَا فَأَعَارَتْهُ، قَالَتْ: فَغَفَلْتُ عَنْ صَبِيٍّ لِي، فَدَرَجَ إِلَيْهِ حَتَّىٰ أَتَاهُ فَوَضَعَهُ عَلَىٰ فَخِذِهِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ فَزِعْتُ فَزْعَةً عَرَفَ ذَاكَ مِنِّي وَفِي يَدِهِ المُوسَىٰ، فَقَالَ: أَتَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَاكِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَكَانَتْ تَقُولُ: مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ وَمَا بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ ثَمَرَةٌ، وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ فِي الحَدِيدِ، وَمَا كَانَ إِلَّا رِزْقٌ رَزَقَهُ اللَّهُ. فَخَرَجُوا بِهِ مِنَ الحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ، فَقَالَ: دَعُونِي أُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: لَوْلاَ أَنْ تَرَوْا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ مِنَ المَوْتِ لَزِدْتُ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الرَّكْعَتَيْنِ عِنْدَ القَتْلِ هُوَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا، ثُمَّ قَالَ:

مَـا أُبَـالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًـا ... عَلَىٰ أَيِّ شِقٍّ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَىٰ أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ عُقْبَةُ بْنُ الحَارِثِ فَقَتَلَهُ، وَبَعَثَتْ قُرَيْشٌ إِلَىٰ عَاصِمٍ لِيُؤْتَوْا بِشَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ يَعْرِفُونَهُ، وَكَانَ عَاصِمٌ قَتَلَ عَظِيمًا مِنْ عُظَمَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِ

مِثْلَ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ، فَحَمَتْهُ مِنْ رُسُلِهِمْ، فَلَمْ يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَىٰ شَيْءٍ.[1]

وعند ابن إسحاق في "السيرة" (ص٣٧١) بإسناد مرسل أن القوم هم الذين طلبوا من النبي ﷺ أن يبعث هؤلاء النفر إليهم حتىٰ يعلموهم، فغدروا بهم.[2]

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٠٨٦).

(٢) وانظر "الطبقات" (٢/ ٥٥)، و"جوامع السيرة" (ص١٤٠-١٤٢)، و"عيون الأثر" (٢/ ٥٨)، و"الاكتفاء" للأندلسي (٢/ ١٠١-١٠٥)، و"المواهب اللدنية" (١/ ٤١٦-٤٢٤)، و"فتح الباري" (٧/ ٤٨٢-٤٩٠).

ثُمَّ سَـــرِيَّةُ عَمْرٍو الضَّمْرِيِّ فِي صَفَرٍ أَيْضًــا (أ) ....

(أ) وسبب ذلك أنَّ أبا سفيان أرسل من يغتال النبي ﷺ، فبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أُمية، وسلمة بن أسلم إلىٰ أبي سفيان بن حرب وقال: «**إنْ أصبتما منه غرة فاقتلاه**»، فدخلا مكة، ومضىٰ عمرو بن أُمية يطوف بالبيت ليلًا، فرآه معاوية بن أبي سفيان فعرفه، فأخبر قريشًا بمكانه، فخافوه وطلبوه، وكان فاتكًا في الجاهلية، وقالوا: لَمْ يأتِ عمرو لخير. فحشد له أهل مكة، وتجمعوا، وهرب عمرو وسلمة، فلقي عمرو عبيد الله بن مالك بن عبيد الله التيمي فقتله، وقتل آخر من بني الديل سمعه يتغنىٰ ويقول:

ولست بمسلم ما دمت حيًّا ولست أدين دين المسلمينا

ولقي رسولين لقريش بَعَثَتْهمَا يتحسسان الخبر، فقتل أحدهما وأسر الآخر، فقدم به المدينة، فجعل عمرو يخبر رسول الله ﷺ خبره، ورسول الله ﷺ يضحك.(١)

---

(١) "الطبقات" (٢/ ٩١) بدون سند.

ثُمَّ سَرِيَّةُ الْقُرَّاءِ فِيْهِ أيضًا ①، وَغَدَرَهُم رِعْلٌ، وَذَكْوَانُ، وَعُصَيَّةُ، وَكَانُوا سَبْعِيْنَ رَجُلًا، وَقَنَتَ النَّبِيُّ ﷺ شَهْرًا يَدْعُو عَلَىٰ مَنْ قَتَلَهُم(١)، وَفِيْهَا أَخَذَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ كِتَابَ يَهُودَ.[٢]

---

① قال أنس رضي الله عنه: جَاءَ نَاسٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: أَنِ ابْعَثْ مَعَنَا رِجَالًا يُعَلِّمُونَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ. فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، يُقَالُ لَهُمْ: الْقُرَّاءُ، فِيهِمْ خَالِي حَرَامٌ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَدَارَسُونَ بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ، وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجِيئُونَ بِالْمَاءِ فَيَضَعُونَهُ فِي الْمَسْجِدِ، وَيَحْتَطِبُونَ فَيَبِيعُونَهُ، وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لِأَهْلِ الصُّفَّةِ وَلِلْفُقَرَاءِ، فَبَعَثَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَعَرَضُوا لَهُمْ، فَقَتَلُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْمَكَانَ، فَقَالُوا: اللهُمَّ، بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ، وَرَضِيتَ عَنَّا. قَالَ: وَأَتَىٰ رَجُلٌ حَرَامًا، خَالَ أَنَسٍ مِنْ خَلْفِهِ، فَطَعَنَهُ بِرُمْحٍ حَتَّىٰ أَنْفَذَهُ، فَقَالَ حَرَامٌ: فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «**إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا، وَإِنَّهُمْ قَالُوا: اللهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ، وَرَضِيتَ عَنَّا**».

رواه البخاري برقم (٤٠٩٠)، ومسلم برقم (٦٧٧) واللفظ له، إلا أن سبب

---

(١) البخاري برقم (٤٠٨٩)، ومسلم برقم (٦٧٧).

[٢] وقع في المخطوط: [يهودي]، والمثبت هو الصواب؛ فقد قال زيد رضي الله عنه لما قدم النبي ﷺ المدينة ذُهِبَ بي إلىٰ النبي ﷺ، فأُعجب بي، فقالوا: يا رسول الله، هذا غلامٌ من بني النجار معه مما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة. فأعجب ذلك النبي ﷺ وقال: «**يا زيد، تعلَّم لي كتاب يهودَ؛ فإني والله ما آمنُ يهودَ علىٰ كتابي**» قال زيد: فتعلمت له كتابهم ما مرَّت بي خمس عشرة ليلة حتىٰ حذقته وكنت أقرأ له كتبهم إذ كتبوا إليه، وأُجيب عنه إذا كتب. رواه أحمد (٥/ ١٨٦) وغيره، وهو حسن، وينظر "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" (١/ ٢٩٦) برقم (٣٤٩) لشيخنا الوادعي رحمه الله.

ذهابهم عند البخاري هو أنَّ رِعْلًا وعُصية وبني لِحيان استمدوا رسول الله ﷺ على عدوٍّ فأمدهم بسبعين من الأنصار كنا نسميهم القراء في زمانهم.

قال الشيخ حافظ رَحِمَهُ اللهُ عن وقائع السنة الرابعة من الهجرة النبوية -على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم-:

فِيهَا سَرِيَّةٌ إِلَىٰ بَنِي أَسَدْ ... هُمْ مِائَةٌ مِنْ بَعْدِ خَمْسِينَ فَقَدْ

فِيهَا أَبُو سَلَمَةَ أَمِيرَا ... فَاسْتَاقَ فِيهَا مَغْنَمًا كَثِيْرَا[١]

وَكَانَ فِي مُحَرَّمٍ ثُمَّ قَضَىٰ ... بِجُرْحِهِ فِي أُحُدٍ إِذْ نُقِضَا

ثُمَّ سَرِيَّةُ الرَّجِيعِ فِي صَفَرْ ... بِهِمْ[٢] عَدُوٌّ مِنْ هُذَيْلٍ قَدْ غَدَرْ

ثُمَّ سَرِيَّةٌ لِعَمْرِو الضَّمْرِي ... لِلْفَتْكِ بِابْنِ حَرْبٍ إِنْ لَمْ يُخْبِرِ

وَبَعْدَهَا سَرِيَّةُ القُرَّاءِ ... فِي صَفَرٍ أَيْضًا بِلَا مِرَاءِ

فَقُتِلُوا بِغَدْرِ ذَكْوَانَ مَعَا ... رِعْلٍ عُصَيَّةٍ عُصَاةٍ أَجْمَعَا

وَعَدُّهُمْ سَبْعُونَ ثُمَّ قَدْ ثَبَتْ ... أَنَّ النَّبِيَّ بَعْدَ ذَا شَهْرًا قَنَتْ

يَدْعُو عَلَىٰ [قَاتِلِهِمْ][٣] ثُمَّ تَرَكْ ... وَذَا بِكُلِّ نَازِلٍ[٤] افْعَلْ دُونَ شَكْ

وَكَانَ إِجْلَاءُ بَنِي النَّضِيرِ ... مِنْ بَعْدِ ذَا بِزَمَنٍ يَسِيرِ

---

[١] في المخطوط جعل نقطة للباء وثلاثًا فوقها للثاء، فيأتي (كثيرًا)، و(كبيرًا)، وفي المطبوع (كبيرًا).

[٢] في المخطوط: [بعد] بدل (بهم).

[٣] وقع في المخطوط: [قانتهم].

[٤] أي: وبكلِّ نازلة افعل القنوت دون أن تتشكك في فعله؛ لأنه قد ثبت بالدليل.

لَمَّا أَرَادُوا بِالرَّسُولِ مَكْرَا ... وَاللهُ بِالَّذِي أَسَرُّوْا أَدْرَىٰ
أَتَاهُ جِبْرِيلُ سَرِيْعًا بِالخَبَرْ ... أَنْ قُمْ وَصَبِّحْ بِالجُيُوشِ مَنْ غَدَرْ
حَاصَرَهُمْ سِتًّا فَأُنْزِلُوا عَلَىٰ ... حُكْمِهِ فَكَانَ ذَلِكَ الحُكْمُ الجَلَا
وَسُورَةُ (الحَشْرِ) بِذَاكَ أُنْزِلَتْ ... كَذَا لحُكْمِ كُلِّ فَيءٍ فَصَّلَتْ
وَذَاكَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الأَوَّلِ ... وَجَاءَ فِي الخُمُورِ تَحْرِيمٌ جَلِي
ثُمَّ إِلَىٰ غَطَفَانَ غَزْوَةٌ تَلِي ... وَسُمِّيَتْ ذَاتَ الرِّقَاعِ فَاعْقِلِ
وَكَانَ فِيهَا [قِصَّةُ][١] الَّذِي أَرَادْ ... بِالْمُصْطَفَىٰ فَتْكًا فَخَابَ مَا أَرَادْ
وَقِصَّةُ الحَالِفِ أَنْ يُهْرِيقَ فِي ... صَحْبِ النَّبِيْ دَمًا وَفَا بِالحَلِفِ
حَيْثُ رَمَىٰ حَرْسَ النَّبِيْ بِأَسْهُمِ ... وَهْوَ يُصَلِّىٰ مَعَ نَزْفٍ بِالدَّمِ
وَجَابِرٌ قَدْ بَاعَ فِيهَا جَمَلَهْ ... مِنَ النَّبِيْ وَرُدَّ وَالْقِيمَةَ لَهْ
وَذَاكَ فِي أَثْنَا جُمَادَىٰ الأُولَىٰ ... وَفِيهِ إِشْكَالٌ فَعِ المَنْقُولَا
عَلَىٰ الَّذِي رَوَاهُ أَهْلُ السِيَرِ ... وَقَالَ آخَرُونَ: بَعْدَ خَيبَرِ
مِنْهُمْ مُحَمَّدٌ هُوَ البُخَارِي ... وَهْوَ إِمَامُ نَاقِلِي الأَخْبَارِ
وَذَا يُرَىٰ أَوْجَهَ مِمَّا قُدِّمَا ... وَلَاحَ فِي الأَوَّلِ أَنْ قَدْ وَهِمَا
بُرْهَانُنَا فِيهَا شُهُودُ الأَشْعَرِي ... وَوَفْدُهُ بَعْدَ انْقِضَاءِ خَيْبَرِ
كَذَا أَبُو هُرَيْرَةَ وَكَانَا ... إِسْلَامُهُ فِي خَيْبَرَ اسْتَبَانَا
كَذَلِكَ ابْنُ عُمَرٍ وَأَوَّلُ ... مَشْهَدِهِ الخَنْدَقُ فِيهَا نَقَلُوا

---

[١] في المخطوط: [وكان فيها غزوة الذي أراد].

كَـذَا صَـلَاةُ الخَـوْفِ فِيهَـا ذَكَـرُوا ... وَكَـانَ الأَحْـزَابُ وَلَيْسَـتْ تُـذْكَرُ

بَـل كَـانَ فِـي عُسْـفَانَ شَـرْعِيَّتُهَا ... بَـدءً وَلَا تُعْلَـمُ قَـطُّ قَبْلَهَـا

وَكَـانَ فِيهَـا غَـزْوُ بَـدْرِ المَوْعِـدِ ... فِـي شَـهْرِ شَـعْبَانَ بِـلَا تَـرَدُّدِ

لَكِـنْ أَبُـو سُـفْيَانَ عَنْهَـا اخْتَلَفَـا ... وَالجَـيْشُ رُدَّ وَبِوَعْـدٍ مَـا وَفَـىٰ

فِيهَـا ثَـمَانٍ قَـامَ ثُـمَّ انْقَلَبَـا ... بِنِعْمَـةٍ مِـنْ رَبِّـهِ لِيَثْرِبَـا

وَزَيْـدٌ فِيهَـا أَخَـذَ الكِتَابَـا[١] ... عَـنِ اليَهُـودِ لِيَعِـيْ الخِطَابَـا[٢]

---

[١] في المخطوط: [كفابا]، وهو خطأ من الناسخ.

[٢] في المخطوط: [الكفايا]، وهو خطأ.

س٥٠/ مَاذَا وَقَعَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ مِنَ الْهِجْرَةِ؟

ج/ فِيْهَا غَزْوَةُ دُوْمَةِ الْجَنْدَلِ فِي رَبِيْعٍ الأَوَّلِ ①............................

① وسببها أنه بلغ النبي ﷺ أن بدومة الجندل جمعًا كثيرًا، وأنهم يظلمون من مَرَّ بهم من الضافطة[١] وأنهم يريدون أن يدنوا من المدينة وهي طرف من أفواه الشام بينها وبين دمشق خمس ليالٍ، وبينها وبين المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلةً، فندب رسول الله ﷺ الناس واستخلف علىٰ المدينة سباع بن عُرْفطة الغفاري، وخرج لخمس ليال بقين من شهر ربيع الأول في ألف من المسلمين، فكان يسير الليل ويَكْمُنُ النهار ومعه دليل من بني عُذرة يقال له: مذكور، فلما دنا منهم إذا هم مغرِّبون وإذا آثار النَّعَم والشاء، فهجم علىٰ ماشيتهم ورُعاتهم فأصاب ما أصاب وهرب من هرب في كلِّ وجه، وجاء الخبر أهل دومة فتفرقوا، ونزل رسول الله ﷺ بساحتهم فلم يجد بها أحدًا فأقام بها أيامًا وبث السرايا وفرقها فرجعت ولم تُصِبْ منهم أحدًا، وأُخِذَ منهم رجلٌ فسأله رسول الله ﷺ عنهم؟ فقال: هربوا حيث سمعوا أنك أخذت نَعَمَهم، فعرض عليه الإسلام، فأسلم، ورجع رسول الله ﷺ إلىٰ المدينة ولم يلقَ كيدًا... .[٢]

وذكر الواقدي أن سبب هذه الغزوة: أن رسول الله ﷺ أراد أن يدنو من الشام ليفزع قيصر[٣]، أما ابن إسحاق فذكرها باختصار ولم يذكر لها سببًا.[٤]

---

(١) الضافطة: الذي يجلب الميرة والمتاع إلىٰ المُدن. "النهاية" (٢/ ٨٧).

(٢) "الطبقات" (٢/ ٥٨-٥٩).

(٣) "المغازي" (١/ ٤٠٣) للواقدي.

(٤) "السيرة" (ص٣٩٢) لابن إسحاق.

وَفِيْهَا فِي شَهْرِ شَوَّالٍ غَزْوَةُ الْأَحْزَابِ (١) ....

(١) وهي الخندق، وقد بَوَّب الإمام البخاري رحمه الله في "صحيحه": [باب غزوة الخندق وهي الأحزاب].

قال الحافظ رحمه الله في "فتح الباري" (٧/ ٤٩٩): يعني أن لها اسمين وهو كما قال والأحزاب جمع حزب، أي: طائفة.

فأما تسميتها الخندق فلأجل الخندق الذي حفر حول المدينة بأمر النبي صلى الله عليه وسلم، وكان الذي أشار بذلك سلمان فيما ذكر أصحاب المغازي.

وأما تسميتها الأحزاب فلاجتماع طوائف من المشركين علىٰ حرب المسلمين وهم قريش وغطفان واليهود ومن تبعهم.اهـ

وكون غزوة الأحزاب كانت في السنة الخامسة هو قول ابن إسحاق في "السيرة" (ص٣٩٢)، وجزم به غيره من أهل المغازي.

وقال موسىٰ بن عقبة: إنها في السنة الرابعة. وتابعه مالك، والبخاري، فقد ذكر ذلك معلقًا فقال: قال موسىٰ بن عقبة: كانت في شوال سنة أربع.

قال الحافظ رحمه الله في "فتح الباري" (٧/ ٥٠٠): وقد بين البيهقي سبب هذا الاختلاف وهو أن جماعة من السلف كانوا يعدون التاريخ من المحرم الذي وقع بعد الهجرة ويلغون الأشهر التي قبل ذلك إلىٰ ربيع الأول، وعلىٰ ذلك جرىٰ يعقوب بن سفيان في "تاريخه"، فذكر أن غزوة بدر الكبرىٰ كانت في السنة الأولىٰ

وأن غزوة أحد كانت في الثانية، وأن الخندق كانت في الرابعة، وهذا عمل صحيح علىٰ ذلك البناء لكنه بناء واهٍ مخالف لما عليه الجمهور من جعل التاريخ من المحرم سنة الهجرة(١)، وعلىٰ ذلك تكون بدر في الثانية، وأُحد في الثالثة، والخندق في الخامسة وهو المعتمد.اهـ

أما سبب هذه الغزوة:

هو أنَّ نفرًا من اليهود منهم سلام بن أبي الحُقَيْق النضري وحُيَيّ بن أخطب النضري، وكنانة بن أبي الحُقيق النضري، وهوذة بن قيس الوائلي، وأبو عمار الوائلي في نفر من بني النضير، ونفر من بني وائل وهم الذين حزَّبوا الأحزاب علىٰ رسول الله ﷺ خرجوا حتىٰ قدموا علىٰ قريش مكة، فدعوهم إلىٰ حرب رسول الله ﷺ، وقالوا: إنَّا سنكون معكم عليه حتىٰ نستأصله. فقالت لهم قريش: يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد؛ أفديننا خيرٌ أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولىٰ بالحق منه. فهم الذين أنزل الله تعالىٰ فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾ [النساء:٥١].

فلما قالوا ذلك لقريش سَرَّهُم، ونشطوا لِمَا دعوهم إليه من حرب رسول الله

(١) لأن ابتداء العزم علىٰ الهجرة كان في المحرم؛ إذ البيعة وقعت في أثناء ذي الحجة وهي مقدِّمة الهجرة، فكان أول هلال استهل بعد البيعة والعزم علىٰ الهجرة هلال المحرم فناسب أن يُجعل مبتدأ. وينظر التعليق علىٰ السؤال رقم (٣٨).

ﷺ؛ فاجتمعوا لذلك، واتَّعَدُوا له، ثم خرج أولئك النفر من يهود حتىٰ جاءوا غطفان من قيس غيلان فدعوهم إلىٰ حرب رسول الله ﷺ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأنَّ قريش(١) قد تابعوهم علىٰ ذلك، فاجتمعوا معهم فيه، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزارة، والحارث بن عوف بن أبي حارثة المُرِّي في بني مرة، ومسعد بن رخيلة بن نويرة بن طريف بن سمحة بن عبد الله بن هلال ابن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان فيمن تابعه من قومه من أشجع.(٢)

فلما بلغ رسول الله ﷺ فصولهم(٣) من مكة ندب الناس وأخبرهم خبر عدوهم، وشاورهم في أمرهم، فأشار عليه سلمان الفارسي بالخندق، فأعجب ذلك المسلمين، وعسكر بهم رسول الله ﷺ إلىٰ سفح سلع(٤)، وجعل سلعًا خلف ظهره، وكان المسلمون يومئذٍ ثلاثة آلاف، واستخلف علىٰ المدينة ابن أم مكتوم، ثم خندق علىٰ المدينة وجعل المسلمون يعملون مستعجلين يبادرون قدوم عدوهم عليهم، وعمل رسول الله ﷺ معهم بيده؛ لينشط المسلمين.(٥)

---

(١) كذا في "السيرة" لابن إسحاق، وقريش إنْ أُريد به الحَيُّ صُرِف، وإنْ أُريد به القبيلة لم يصرف. "مختار الصحاح" مادة: قرش.

(٢) ابن إسحاق (ص٣٩٢-٣٩٣) بإسناد مرسل.

(٣) أي: خروجهم.

(٤) هو جبل بسوق المدينة كما في "معجم البلدان" (٣/ ٢٦٨)، وقال الأزهري: سلع موضع بقرب المدينة. "تهذيب اللغة" (٢/ ٩٩).

(٥) "الطبقات" (٢/ ٦٢-٦٣).

قال البراء رضي الله عنه: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الأَحْزَابِ، وَخَنْدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، رَأَيْتُهُ يَنْقُلُ مِنْ تُرَابِ الخَنْدَقِ، حَتَّىٰ وَارَىٰ عَنِّي الغُبَارُ جِلْدَةَ بَطْنِهِ، وَكَانَ كَثِيرَ الشَّعَرِ، فَسَمِعْتُهُ يَرْتَجِزُ بِكَلِمَاتِ ابْنِ رَوَاحَةَ، وَهُوَ يَنْقُلُ مِنَ التُّرَابِ يَقُولُ:

اللَّهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا

إِنَّ الأُلَىٰ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا ... وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

قَالَ: ثُمَّ يَمُدُّ صَوْتَهُ بِآخِرِهَا.(١)

وكان الصحابة يقولون:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدَا ... عَلَىٰ الجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدًا

والرسول ﷺ يقول:

اللَّهُمَّ إِنَّ الخَيْرَ خَيْرُ الآخِرَهْ ... فَاغْفِرْ لِلأَنْصَارِ وَالمُهَاجِرَهْ(٢)

وكانوا رضي الله عنهم إذا واجهتهم أثناء الحفر صخرة لا يستطيعون علىٰ تكسيرها يستعينون به ﷺ.

لذا قال جابر رضي الله عنه: إِنَّا يَوْمَ الخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ(٣) شَدِيدَةٌ، فَجَاءُوا

(١) رواه البخاري برقم (٤١٠٦)، ومسلم برقم (١٨٠٣).

(٢) رواه البخاري برقم (٤٠٩٨)، ومسلم برقم (١٨٠٥).

(٣) الْكُدْيَة: قطعة غليظة صلبة لا تعمل فيها الفاس. «النهاية» (٢/ ٥٢٧) مادة: كدا.

النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الخَنْدَقِ. فَقَالَ: «**أَنَا نَازِلٌ**»، ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلاثَةَ أَيَّامٍ لاَ نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ المِعْوَلَ فَضَرَبَ فِي الْكُدْيَةِ، فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ، أَوْ أَهْيَمَ.[(١)]

ولما رأىٰ جابر رضي الله عنه ما رأىٰ من الجوع الذي أصاب رسول الله ﷺ استأذنه قائلًا له: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي إِلَىٰ البَيْتِ. قَالَ جَابِرٌ رضي الله عنه: فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ، فَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ[(٢)]. فَذَبَحَتِ العَنَاقَ، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ حَتَّىٰ جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي البُرْمَةِ، ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالعَجِينُ قَدْ انْكَسَرَ، وَالبُرْمَةُ بَيْنَ الأَثَافِيِّ قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ، فَقُلْتُ: طُعَيِّمٌ لِي، فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلاَنِ. قَالَ: «**كَمْ هُوَ؟**» فَذَكَرْتُ لَهُ، قَالَ: «**كَثِيرٌ طَيِّبٌ**»، قَالَ: قُلْ لَهَا: «**لاَ تَنْزِعِ البُرْمَةَ، وَلاَ الخُبْزَ مِنَ التَّنُّورِ حَتَّىٰ آتِيَ**»، فَقَالَ: «**قُومُوا**»، فَقَامَ المُهَاجِرُونَ، وَالأَنْصَارُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَىٰ امْرَأَتِهِ قَالَ: وَيْحَكِ، جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ، قَالَتْ: هَلْ سَأَلَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «**ادْخُلُوا وَلاَ تَضَاغَطُوا**» فَجَعَلَ يَكْسِرُ الخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيُخَمِّرُ البُرْمَةَ وَالتَّنُّورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ، وَيُقَرِّبُ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الخُبْزَ، وَيَغْرِفُ حَتَّىٰ شَبِعُوا وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ، قَالَ: كُلِي هَذَا وَأَهْدِي؛ فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ.[(٣)]

---

(١) رواه البخاري برقم (٤١٠١).

(٢) هي الأنثىٰ من أولاد المعز ما لم يتم له سنة. «النهاية» (٢/ ٢٦٤) مادة: عنق.

(٣) رواه البخاري برقم (٤١٠١)، ومسلم برقم (٢٠٣٩).

ولمسلم: قال جابر: وَهُمْ أَلْفٌ، فَأُقْسِمُ بِاللهِ لَأَكَلُوا حَتَّىٰ تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا، وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ، وَإِنَّ عَجِينَتَنَا لَتُخْبَزُ كَمَا هُوَ.

وما حصل منه ﷺ يعتبر من دلائل نبوته وبركاته صلوات ربي وسلامه عليه.

ولمَّا فرغ ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتىٰ نزلت بمجتمع الأسيال من دومة بين الجرف وزَغَابة[١] في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد حتىٰ نزلوا بذنب نقمي إلىٰ جانب أُحد، وخرج رسول الله ﷺ حتىٰ جعلوا ظهورهم إلىٰ سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره.[٢]

وذهب حيي بن أخطب عدو الله إلىٰ كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، وكان قد وادع رسول الله ﷺ علىٰ قومه، وعاقده علىٰ ذلك، وعاهده، فما زال به حيي بن أخطب حتىٰ نقض العهد.[٣]

ولمَّا وصل الخبر إلىٰ النبي ﷺ قال: «**مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ القَوْمِ؟**» فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا. ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ القَوْمِ؟**». فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا. ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ القَوْمِ؟**» فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا. ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيَّ، وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ**».[٤]

(١) وورد كذلك بلفظ: (زَعَابة) بالعين المهملة. انظر "معجم ما استعجم" (٢/ ٦٩٨)، وللفائدة ينظر "معجم معالم الحجاز" (٤/ ٧٥٩-٧٦٠) للبلادي.
(٢) "تاريخ الطبري" (٢/ ٥٧٠) وهو مرسل.
(٣) "تاريخ الطبري" (٣/ ٥٧٠) مرسل.
(٤) رواه البخاري برقم (٤١١٤)، ومسلم برقم (٢٤١٥) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

وكذلك أرسل النبي ﷺ سعد بن معاذ بن النعمان وهو يومئذٍ سيد الأوس والخزرج، وسعد بن عبادة بن ديلم أحد بني ساعدة بن كعب بن الخزرج، وعبدالله بن رواحة في آخرين...، فقال لهم: «**إنْ كان حقًّا فالحنوا لي لحنًا**[(١)] **أعرفه، ولا تَفتُّوا في أعضاد الناس وإن كانوا علىٰ الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس**»، فخرجوا حتىٰ أتوهم فوجدوهم علىٰ أخبث ما بلغهم عنهم فيما نالوا من رسول الله ﷺ، وقالوا: مَنْ رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد، ولا عقد. فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه، وكان رجلًا فيه حدَّة، فقال له سعد بن عبادة: دَعْ عنك مشاتمتهم، فما بيننا وبينهم أربىٰ من المشاتمة.

ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلىٰ رسول الله ﷺ، فسلموا عليه ثم قالوا: عضل والقارة. أي: كغدر عضل، والقارة بأصحاب الرجيع خبيب وأصحابه، فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين**».[(٢)]

وحاصر الكفار المدينة وأمطرهم المسلمون بالنبل واشتد الحصار وطال أربعًا وعشرين ليلة.[(٣)]

---

(١) اللحن هو أن يقول قولًا الشخص قولًا يفهمه من يتكلم معه دون غيره، قال ابن الأثير: يقال: لحنت لفلان إذا قلت له قولًا يفهمه ويخفىٰ علىٰ غيره؛ لأنك تميله بالتورية عن الواضح المفهوم، ومنه قالوا: لَحِنَ الرجل، فهو لَحِنٌ، إذا فهم وفَطِنَ لما لا يفطن له غيره. "النهاية" (٢/ ٥٩٣) مادة: لَحَنَ.

(٢) ابن إسحاق بدون سند.

(٣) "الطبقات" (٢٠/ ٧٣) مرسل، "السيرة النبوية" للعمري (٢/ ٤٢٨).

وتيمم جماعة من قريش مكانًا ضيقًا من الخندق منهم عكرمة بن أبي جهل، وهبيرة بن أبي وهب، وعمرو بن عبدِ وَدّ، فضربوا خيلهم، فاقتحمت منه، فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسَلْعٍ، وخرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه في نفرٍ معه من المسلمين حتىٰ أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم، فطلب عمرو بن عبدِ وَدّ المبارزة، فبرز له علي، فتنازلا وتجاولا فقتله علي، وخرجت خيلهم منهزمة حتىٰ اقتحمت من الخندق هاربة.(١)

وفي ليلة من الليالي أرسل الله ريحًا شديدة تفعل بالمشركين ما تفعل لا تقر لهم قِدرًا، ولا نارًا، ولا بناءً.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب:٩].

فما كان منه صلى الله عليه وسلم إلا أنْ أرسل أحد أصحابه ليأتيه بخبر القوم.

قال حذيفة رضي الله عنه: لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ، وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ(٢)، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**» فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**» فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ**

(١) ابن إسحاق (ص٤٠١) بتصرف، و"تاريخ الطبري" (٢/ ٥٧١) مرسل.
(٢) القر هو البرد. "النهاية" (٢/ ٤٣٥) مادة: قَرَرَ.

الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»، فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَقَالَ: «**قُمْ يَا حُذَيْفَةُ، فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ**»، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ، قَالَ: «**اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ**»، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ حَتَّىٰ أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ(١) بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ**»، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ، فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَفَرَغْتُ قُرِرْتُ(٢)، فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا، فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّىٰ أَصْبَحْتُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ: «**قُمْ يَا نَوْمَانُ**».(٣)

وفي رواية ابن إسحاق كما في "سيرة ابن هشام" (٢/ ٧٤٤) زاد: فدخلت في القوم والريح جنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرًا ولا نارًا، ولا بناءً، فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش، لينظر كلُّ امرئٍ مَنْ جليسه. قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلىٰ جنبي فقلت: من أنت؟ قال: فلان ابن فلان. ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام؛ لقد هلك الكُراع(٤) والخف(٥)، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدَّة الريح ما

(١) أي: يدفئه.

(٢) أي: بردت.

(٣) رواه مسلم برقم (١٧٨٨).

(٤) الكُراع: اسم لجميع الخيل. "النهاية" (٢/ ٥٣٤) مادة: كَرَعَ.

(٥) الخف: الإبل. "النهاية" (١/ ٥١٢) مادة: خَفَفَ.

ترون، ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناءٌ، فارتحلوا؛ فإني مرتحل. ثم قام إلىٰ جَمَلِه وهو معقول، فجلس عليه ثم ضربه، فوثب به علىٰ ثلاث، فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله ﷺ إليَّ: «**أَلَّا تحدث شيئًا حتىٰ تأتيني**» ثم شئت؛ لقتلته بسهم... .وهو مرسل.

ثُمَّ غَزْوَةُ قُرَيْظَةَ مَرْجِعُهُ مِنَ الْخَنْدَقِ (١) وَنَزَلُوا عَلَىٰ حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: ....

(١) لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الخَنْدَقِ، وَوَضَعَ السِّلاَحَ وَاغْتَسَلَ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَقَالَ: «**قَدْ وَضَعْتَ السِّلاَحَ؟ وَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ**» قَالَ: «**فَإِلَىٰ أَيْنَ؟**» قَالَ: «**هَا هُنَا**»، وَأَشَارَ إِلَىٰ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ.[(١)]

قال أنس رضي الله عنه: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ الغُبَارِ سَاطِعًا فِي زُقَاقِ بَنِي غَنْمٍ، مَوْكِبَ جِبْرِيلَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ حِينَ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَىٰ بَنِي قُرَيْظَةَ.[(٢)]

وكان ﷺ أَمَرَ أصحابه أن ينطلقوا إلىٰ بني قريظة قائلًا لهم: «**لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ**» قال ابن عمر رضي الله عنهما: فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ العَصْرَ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ نُصَلِّي حَتَّىٰ نَأْتِيَهَا. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ. فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ.[(٣)]

قال الحافظ رحمه الله في "فتح الباري" (٧/ ٥١٩): قوله لا يصلين أحد العصر كذا وقع في جميع النسخ عند البخاري، ووقع في جميع النسخ عند مسلم الظهر، مع اتفاق البخاري ومسلم علىٰ روايته عن شيخ واحد بإسناد واحد....، وقد جمع بعض العلماء بين الروايتين: **باحتمال أن يكون بعضهم قبل الأمر كان صلىٰ الظهر وبعضهم لم يصلها فقيل لمن لم يصلها لا يصلين أحد الظهر ولمن صلاها لا**

---

(١) رواه البخاري برقم (٤١١٨)، ومسلم برقم (١٧٦٩) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه البخاري برقم (٤١١٩).

(٣) رواه البخاري برقم (١٣٢٠)، ومسلم برقم (١٧٧٠) إلا أن عنده: (الظهر) بدل: (العصر).

يصلين أحد العصر، وجمع بعضهم: باحتمال أن تكون طائفة منهم راحت بعد طائفة فقيل للطائفة الأولىٰ: الظهر. وقيل للطائفة التي بعدها: العصر. وكلاهما جمع لا بأس به.انتهىٰ المراد.[1]

(١) وللفائدة انظر: "الفصول" لابن كثير (ص١١٤-١١٥)، و"زاد المعاد" (٣/ ١٣١-١٣٢).

تُقْتَلُ مُقَاتِلَتُهُم، وَسَبْيُ ذَرَارِيْهِم، وَغَنِيْمَةُ أَمْوَالِهِم ⁽أ⁾، وَنَزَلَ فِيْهِمُ مِنْ سُورَةِ الْأَحْزَابِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩- ٢٧].

⁽أ⁾ أُصيب سعد بن معاذ رضي الله عنه يوم الخندق، رماه رجل من قريش يقال له: حَبَّان بن العَرِقة، رماه في الأَكْحَلِ(١)، فضرب النبي ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب.(٢)

ولما غزا النبي ﷺ بني قريظة نزلوا علىٰ حكمه رضي الله عنه، فرد النبي ﷺ الحكم إليه قال: فإني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة، وأنْ تُسْبَىٰ النساء والذرية، وأنْ تقسم أموالهم.(٣)

وفي رواية أن النبي ﷺ قال: «**قضيت بحكم الله**»، وربما قال: «**قضيت بحكم الملك**».(٤)

قالت عائشة رضي الله عنها: فقتل رجالهم، وقَسَمَ نساءهم، وأولادهم، وأموالهم بين المسلمين إلا بعضهم لحقوا بالنبي ﷺ فأمنهم، وأسلموا... .(٥)

---

(١) الأكحل: عِرْقٌ في وسط الذراع يَكثُرُ فَصْدُهُ. "النهاية" (٢/ ٥٢٦) مادة: كَحَلَ.

(٢) رواه البخاري برقم (٤١٢٢)، ومسلم برقم (١٧٦٩).

(٣) رواه البخاري برقم (٤١٢٢)، ومسلم برقم (١٧٦٩).

(٤) رواه البخاري برقم (٤١٢١)، ومسلم برقم (١٧٦٨).

(٥) رواه البخاري برقم (٤٠٢٨)، ومسلم برقم (١٧٦٦).

وقالت ﵂: لم يقتل من نسائهم إلا امرأة إنها لعندي تُحَدِّث تضحك ظهرًا وبطنًا، ورسول الله ﷺ يقتل رجالهم بالسيوف إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة؟ قالت: أنا. قلت: وما شأنك؟ قالت: حَدَثٌ أحدثته. فانْطُلِق بها، فضربت عنقُها، فما أنسىٰ عجبًا منها أنها تضحك ظهرًا وبطنًا وقد علمت أنها تقتل.(١)

قيل: إن الحدث الذي أحدثته هذه المرأة هو سبها للنبي ﷺ، وأما من كان دون سنِّ البلوغ فلم يقتل، وإنما يجعل في السَّبي بعد التأكد من ذلك، قال عطية القرظي ﵁: كنت من سَبي بني قريظة، فكانوا ينظرون: فمن أنبت الشَّعْر قُتِل، ومن لم ينبت لم يقتل، فكنت فيمن لم ينبت.(٢)

(١) رواه أحمد (٦/ ٢٧٧)، وغيره، وهو حديث حسن، وقد حسنه شيخنا ﵀ في "الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين" (٣/ ٢٩٩).

(٢) رواه أبو داود برقم (٤٤٠٤) وغيره، وهو حديث صحيح، وصححه شيخنا ﵀ في "الجامع الصحيح" (٣/ ٢٩٩).

س٥١/ مَاذَا وَقَعَ فِيْهَا مِنَ الْحَوَادِثِ؟

ج/ فِيْهَا مَوْتُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ عَقِبَ قَتْلِهِ (أ) بَنِي قُرَيْظَةَ (ب)، وَفِيْهَا قُتِلَ ابْنُ أَبِي الْحُقَيْقِ بَعْدَ قُرَيْظَةَ، قَتَلَتْهُ الْخَزْرَجُ، وَهُم خَمْسَةٌ الْمُبَاشِرُ مِنْهُم لِقَتْلِهِ: عَبْدُاللهِ بْنُ عَتِيكٍ (ج) ....

(أ) أي: عقب حكمه عليهم بذلك.

(ب) بعدما حكم سعد رضي الله عنه علىٰ بني قريظة بما تقدم، وهو في الخيمة التي ضُربت له في المسجد قال: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ، مِنْ قَوْمٍ كَذَّبُوا رَسُولَكَ ﷺ وَأَخْرَجُوهُ، اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ وَضَعْتَ الحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؛ فَإِنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْءٌ فَأَبْقِنِي لَهُ، حَتَّىٰ أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ، وَإِنْ كُنْتَ وَضَعْتَ الحَرْبَ فَافْجُرْهَا وَاجْعَلْ مَوْتَتِي فِيهَا. فَانْفَجَرَتْ مِنْ لَبَّتِهِ(١) فَلَمْ يَرُعْهُمْ -وَفِي المَسْجِدِ خَيْمَةٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ- إِلَّا الدَّمُ يَسِيلُ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا أَهْلَ الخَيْمَةِ، مَا هَذَا الَّذِي يَأْتِينَا مِنْ قِبَلِكُمْ؟ فَإِذَا سَعْدٌ يَغْذُو جُرْحُهُ دَمًا، فَمَاتَ مِنْهَا رضي الله عنه.(٢)

(ج) كان سلام بن أبي الحُقَيْق وهو أبو رافع فيمن حزَّب الأحزاب علىٰ رسول الله ﷺ، فبعث رسول الله ﷺ من يريح المسلمين منه ومن شره.(٣)

---

(١) اللَّبَّة هي: الهَزمَة التي فوق الصدر، وفيها تُنحر الإبل. "النهاية" (٢/ ٥٨٠) مادة: لَبَبَ.

(٢) رواه البخاري برقم (٤١٢٣)، ومسلم برقم (١٧٦٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) ابن إسحاق (ص٤٣٠).

قال البراء بن عازب رضي الله عنهما: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَىٰ أَبِي رَافِعٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَتِيكٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُتْبَةَ، فِي نَاسٍ مَعَهُمْ، فَانْطَلَقُوا حَتَّىٰ دَنَوْا مِنَ الحِصْنِ(١)، فَقَالَ لَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكٍ: امْكُثُوا أَنْتُمْ حَتَّىٰ أَنْطَلِقَ أَنَا فَأَنْظُرَ، قَالَ: فَتَلَطَّفْتُ أَنْ أَدْخُلَ الحِصْنَ، فَفَقَدُوا حِمَارًا لَهُمْ، قَالَ: فَخَرَجُوا بِقَبَسٍ يَطْلُبُونَهُ، قَالَ: فَخَشِيتُ أَنْ أُعْرَفَ، قَالَ: فَغَطَّيْتُ رَأْسِي وَجَلَسْتُ كَأَنِّي أَقْضِي حَاجَةً، ثُمَّ نَادَىٰ صَاحِبُ البَابِ، مَنْ أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ فَلْيَدْخُلْ قَبْلَ أَنْ أُغْلِقَهُ، فَدَخَلْتُ، ثُمَّ اخْتَبَأْتُ فِي مَرْبِطِ حِمَارٍ عِنْدَ بَابِ الحِصْنِ، فَتَعَشَّوْا عِنْدَ أَبِي رَافِعٍ، وَتَحَدَّثُوا حَتَّىٰ ذَهَبَتْ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَىٰ بُيُوتِهِمْ، فَلَمَّا هَدَأَتِ الأَصْوَاتُ، وَلاَ أَسْمَعُ حَرَكَةً خَرَجْتُ، قَالَ: وَرَأَيْتُ صَاحِبَ البَابِ، حَيْثُ وَضَعَ مِفْتَاحَ الحِصْنِ فِي كَوَّةٍ(٢)، فَأَخَذْتُهُ فَفَتَحْتُ بِهِ بَابَ الحِصْنِ، قَالَ: قُلْتُ: إِنْ نَذِرَ(٣) بِي القَوْمُ انْطَلَقْتُ عَلَىٰ مَهَلٍ، ثُمَّ عَمَدْتُ إِلَىٰ أَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ، فَغَلَّقْتُهَا عَلَيْهِمْ مِنْ ظَاهِرٍ، ثُمَّ صَعِدْتُ إِلَىٰ أَبِي رَافِعٍ فِي سُلَّمٍ، فَإِذَا البَيْتُ مُظْلِمٌ، قَدْ طُفِئَ سِرَاجُهُ، فَلَمْ أَدْرِ أَيْنَ الرَّجُلُ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا رَافِعٍ. قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: فَعَمَدْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ فَأَضْرِبُهُ وَصَاحَ، فَلَمْ تُغْنِ شَيْئًا، قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ كَأَنِّي أُغِيثُهُ، فَقُلْتُ: مَا لَكَ يَا أَبَا رَافِعٍ؟ وَغَيَّرْتُ صَوْتِي، فَقَالَ: أَلاَ أُعْجِبُكَ، لِأُمِّكَ الوَيْلُ، دَخَلَ عَلَيَّ رَجُلٌ فَضَرَبَنِي بِالسَّيْفِ، قَالَ: فَعَمَدْتُ لَهُ أَيْضًا فَأَضْرِبُهُ

---

(١) الحِصن: القصر. «النهاية» (١/ ٣٨٨) مادة: حَصَنَ.

(٢) الكَــوَّة، تُفتح وتضم: الثقبة في الحائط. «المصباح المنير» (٢/ ٥٤٥).

(٣) أي: علم بي، وأصل الإنذار: الإعلام، يقال: أنذرته أُنْذِرُه إنذارًا، إذا أعلمته، فأنا منذرٌ ونَذير، أي: مُخَوِّف ومحذِّر، ونذرت به إذا علمت. «النهاية» (٢/ ٧٢٨) مادة: نَذَرَ.

أُخْرَىٰ، فَلَمْ تُغْنِ شَيْئًا، فَصَاحَ وَقَامَ أَهْلُهُ، قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ وَغَيَّرْتُ صَوْتِي كَهَيْئَةِ المُغِيثِ فَإِذَا هُوَ مُسْتَلْقٍ عَلَىٰ ظَهْرِهِ، فَأَضَعُ السَّيْفَ فِي بَطْنِهِ ثُمَّ أَنْكَفِئُ عَلَيْهِ حَتَّىٰ سَمِعْتُ صَوْتَ العَظْمِ، ثُمَّ خَرَجْتُ دَهِشًا حَتَّىٰ أَتَيْتُ السُّلَّمَ، أُرِيدُ أَنْ أَنْزِلَ فَأَسْقُطُ مِنْهُ، فَانْخَلَعَتْ رِجْلِي فَعَصَبْتُهَا، ثُمَّ أَتَيْتُ أَصْحَابِي أَحْجُلُ(١)، فَقُلْتُ: انْطَلِقُوا فَبَشِّرُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَإِنِّي لاَ أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَسْمَعَ النَّاعِيَةَ، فَلَمَّا كَانَ فِي وَجْهِ الصُّبْحِ صَعِدَ النَّاعِيَةُ، فَقَالَ: أَنْعَىٰ أَبَا رَافِعٍ. قَالَ: فَقُمْتُ أَمْشِي مَا بِي قَلَبَةٌ، فَأَدْرَكْتُ أَصْحَابِي قَبْلَ أَنْ يَأْتُوا النَّبِيَّ ﷺ، فَبَشَّرْتُهُ.(٢)

---

(١) الحَجْل: هو أن يرفع رِجلًا ويقفز علىٰ الأخرىٰ، وقد يكون بالرجلين إلا أنه قفز. وقيل: الحَجْل: مشي المُقيَّد. والمراد في الحديث هو الأول. «النهاية» (١/ ٣٣٨-٣٣٩).

(٢) رواه البخاري برقم (٤٠٤٠).

وَبَعْدَهُ قُتِلَ خَالِدُ بْنُ نُبَيْحٍ الْهُذَلِيّ، قَتَلَهُ عَبْدُاللهِ بْنُ أُنَيْسٍ (أ)، وَفِيْهَا تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ[١]، وقَبْلَهَا بِأُمِّ حَبِيْبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ[٢] فِي شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ، وأُنْزِلَتْ فِيْهَا آيَاتٌ مِنْ سُورَةِ الْأَحْزَابِ مِنْهَا آيَةُ الْحِجَابِ.[٣]

(أ) قال عبد الله بن أنيس رضي الله عنه: دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «**إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ خَالِدَ بْنَ سُفْيَانَ بْنِ نُبَيْحٍ يَجْمَعُ لِي النَّاسَ لِيَغْزُوَنِي وَهُوَ بِعُرَنَةَ**[٤] **فَأْتِهِ فَاقْتُلْهُ**»، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، انْعَتْهُ لِي حَتَّىٰ أَعْرِفَهُ. قَالَ: «**إِذَا رَأَيْتَهُ وَجَدْتَ لَهُ أُقْشَعْرِيرَةً**»، قَالَ: فَخَرَجْتُ مُتَوَشِّحًا بِسَيْفِي حَتَّىٰ وَقَعْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ بِعُرَنَةَ مَعَ ظُعُنٍ[٥] يَرْتَادُ لَهُنَّ مَنْزِلًا، وَحِينَ كَانَ وَقْتُ الْعَصْرِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ وَجَدْتُ مَا وَصَفَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْأُقْشَعْرِيرَةِ، فَأَقْبَلْتُ نَحْوَهُ وَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مُجَاوَلَةٌ تَشْغَلُنِي عَنْ الصَّلَاةِ، فَصَلَّيْتُ وَأَنَا أَمْشِي نَحْوَهُ أُومِئُ بِرَأْسِي الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ قَالَ: مَنْ الرَّجُلُ؟ قُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ الْعَرَبِ سَمِعَ بِكَ وَبِجَمْعِكَ لِهَذَا الرَّجُلِ فَجَاءَكَ لِهَذَا. قَالَ: أَجَلْ أَنَا فِي ذَلِكَ. قَالَ: فَمَشَيْتُ مَعَهُ شَيْئًا حَتَّىٰ إِذَا أَمْكَنَنِي

---

(١) انظر "السيرة" لابن إسحاق (ص٢٨٣).

(٢) انظر "السيرة" لابن إسحاق (ص٢٨١).

(٣) انظر "صحيح مسلم" برقم (١٤٢٨).

(٤) عُرَنَة: بوزن هُمزة وادٍ بحذاء عرفات. "معجم البلدان" (٤/ ١١١).

(٥) الظُّعُن: النساء، واحدتهن ظعينة، وأصل الظعينة الراحلة التي يرحل ويظعن عليها، أي: يُسار، وقيل للمرأة: ظعينة؛ لأنها تَظْعَنُ مع الزوج حيثما ظعن، أو لأنها تحمل علىٰ الراحلة إذا ظعنت، وقيل: الظعينة المرأة في الهودج. ثم قيل: للهودج بلا امرأة، وللمرأة بلا هودج: ظعينة. "النهاية" (٢/ ١٤٠) مادة: ظَعَنَ.

حَمَلْتُ عَلَيْهِ السَّيْفَ حَتَّىٰ قَتَلْتُهُ، ثُمَّ خَرَجْتُ وَتَرَكْتُ ظَعَائِنَهُ مُكِبَّاتٍ عَلَيْهِ، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَآنِي، فَقَالَ: «**أَفْلَحَ الْوَجْهُ**»، قَالَ: قُلْتُ: قَتَلْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «**صَدَقْتَ**»، قَالَ: ثُمَّ قَامَ مَعِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَخَلَ بِي بَيْتِهِ فَأَعْطَانِي عَصًا فَقَالَ: «**أَمْسِكْ هَذِهِ عِنْدَكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُنَيْسٍ**» قَالَ: فَخَرَجْتُ بِهَا عَلَىٰ النَّاسِ فَقَالُوا: مَا هَذِهِ الْعَصَا؟ قَالَ: قُلْتُ: أَعْطَانِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَمْسِكَهَا. قَالُوا: أَوَلَا تَرْجِعُ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَسْأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ أَعْطَيْتَنِي هَذِهِ الْعَصَا؟ قَالَ: «**آيَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ أَقَلَّ النَّاسِ الْمُتَخَصِّرُونَ يَوْمَئِذٍ**»، فَقَرَنَهَا عَبْدُ اللَّهِ بِسَيْفِهِ فَلَمْ تَزَلْ مَعَهُ حَتَّىٰ إِذَا مَاتَ أَمَرَ بِهَا فَصُبَّتْ مَعَهُ فِي كَفَنِهِ، ثُمَّ دُفِنَا جَمِيعًا.(١)

قال الشيخ حافظ رحمه الله عن وقائع السنة الخامسة:

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٤٩٦)، وأبو يعلىٰ (٢/ ٢٠١-٢٠٢) برقم (٩٠٥)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٤/ ٤٢)، و"السنن" (٣/ ٢٥٦).

وهو حديث ضعيف؛ لأنه من طريق ابن عبد الله بن أُنيس، عن أبيه، وابن عبدالله هذا هو عبدالله كما جاء التصريح باسمه عند البيهقي، ذكره البخاري في "التاريخ الكبير" (٥/ ٣٢)، وابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" (٥/ ٩٠)، ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلًا، وذكره ابن حبان في "الثقات" (٥/ ٣٧)، ورواه أبو نعيم في "الحلية" (٢/ ٥-٦)، و"أخبار أصبهان" (١/ ١٨٩) كما في "الصحيحة" (٢٩٨١) للألباني رحمه الله من طريق: محمد بن كعب، عن عبد الله بن أنيس الجهني أن رسول الله ﷺ قال: ...، وذكره باختصار، وجوّد الألباني إسناده، لكني لم أجد من ذكر محمد بن كعب من الرواة عن عبد الله بن أنيس؛ فيُخشَىٰ من سقوط واسطة بينهما، والله أعلم.

وانظر "السيرة" لابن هشام (٤/ ٢٦٧)، و"الطبقات" (٢/ ٩١)، و"أنساب الأشراف" (١/ ٣٧٦).

فِيهَا غَزَا أَثْنَا رَبِيعِ الأَوَّلِ ... لِنَحْوِ دُوْمَةٍ أَضِفْ لِلْجَنْدَلِ

وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا قِتَالٌ وَرَجَعْ ... مِنْ بَعْدِ شَهْرٍ غَانِمًا كَذَا وَقَعْ

وَكَانَ فِيهَا غَزْوَةُ الأَحْزَابِ ... فِي شَهْرِ شَوَّالٍ بِلَا ارْتِيَابِ

أَسْبَابُهَا اليَهُودُ أُمَّةُ الغَضَبْ ... إِذْ بَعَثُوا إِلَىٰ قُرَيْشٍ مَنْ ذَهَبْ

يَحُثُّهُمْ عَلَىٰ القِتَالِ للنَّبِيْ ... وَغَزْوِهِ مَعْ حِزْبِهِ بِيَثْرِبِ

وَنَقَضُوا العَهْدَ الَّذِي قَدْ عَقَدُوا ... مَعَ الرَّسُولِ فَاعْتَدَوْا وَاتَّعَدُوا

بِزَعْمِهِمْ للدِّيْنِ أَنْ يَسْتَأْصِلُوا ... وَاللهُ لَا يُهْمِلُ لَكِنْ يُمْهِلُ

فَبَادَرَ النَّبِيْ بِحَفْرِ الخَنْدَقِ ... بِرَأْيِ سَلْمَانَ الصَّدُوقِ المُتَّقِي

وَكَمْ بِحَفْرِهِ مِنَ الآيَاتِ قَدْ ... أَظْهَرَهَا اللهُ لأَرْبَابِ الرَّشَدْ

وَجَاءَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَسْفَلَا ... عَدُوُّهُمْ وَاشْتَدَّ إِذْ ذَاكَ البَلَا

وَزَاغَتِ الأَبْصَارُ وَاشْتَدَّ القَلَقْ ... وَعَظُمَ الزِّلْزَالُ لِلأَمْرِ الأَشَقْ

وَنَجَمَ النِّفَاقُ وَاسْتَبَانَا ... وَازْدَادَ كُلُّ مُؤْمِنٍ إِيمَانَا

وَقَدْ أَسَاءَ الشَّاكُّ الظُّنُونَا ... بِاللهِ وَازْدَادَ التَّقِي يَقِينَا

وَاقْتَحَمَ الخَنْدَقَ عَمْرٌو إِذْ حَضَرْ ... مِيقَاتَ حَتْفِهِ فَسَاقَهُ القَدَرْ

نَازَلَهُ عَلِيُّ دُونَ الخَنْدَقِ ... فَكَانَ ضَرْبَةٌ بِهَا مَاتَ الشَّقِيْ

وَانْقَلَبَتْ خُيُولُهُ مُنْهَزِمَهْ ... وَالرُّمْحَ أَلْقَىٰ حِينَ فَرَّ عِكْرِمَهْ

وَكَانَ قَدْرُ مُدَّةِ الحِصَارِ ... عِشْرِينَ ثُمَّ جَاءَ نَصْرُ البَارِي

بِأَنْ تَخَاذَلَ العِدَا وَاخْتَلَفُوا ... وَكَانَ فِي ذَا لِنُعَيْمٍ شَرَفُ

وَأَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ رِيحَا ... كَذَا جُنُودًا لَمْ تُرَا صَرِيحَا

وَقَدْ دَعَا النَّبِيُّ مُسْتَغِيثَا ... رَبَّ السَّمَا فَعَاجِلًا أُغِيثَا

فَرَدَّهُمْ بِالغَيْظِ لَمْ يَنَالُوا ... خَيْرًا وَقَدْ أَعْنَاهُمُ الزِّلْزَالُ

هَذَا وَلَمَّا انْقَلَبَ الرَّسُولُ ... لِأَهْلِهِ إِذْ جَاءَهُ جِبْرِيلُ

فَقَالَ: هَلْ وَضَعْتُمُ السِّلَاحَ لَا ... وَاللهِ إِنَّا لَمْ نَضَعْهُ اذْهَبْ إِلَى

بَنِي قُرَيْظَةَ [الأُلَى][1] قَدْ نَكَثُوا ... أَيْمَانَهُمْ غَدْرًا وَلَمْ يَكْتَرِثُوا

فَأَذَّنَ الرَّسُولُ يَا مَنْ أَسْلَمُوا ... أَنْ لَا تُصَلُّوا العَصْرَ إِلَّا فِيهِمُو

حَاصَرَهُمْ خَمْسًا تَلِي عِشْرِينَا ... وَنَزَلُوا مِنْ بَعْدُ خَاسِئِينَا

لِحُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِيهِمُو ... بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ وَمَالٍ يُغْنَمُ

وَكَانَ قَدْ وَافَقَ ذَا الحُكْمُ الجَلِي ... حُكْمَ الإِلَهِ فَوْقَ عَرْشِهِ العَلِي

فَضُرِبَتْ أَعْنَاقُ كُلِّ مُحْتَلِمْ ... مِنْهُمْ بِحُكْمِ اللهِ وَالمَالُ قُسِمْ

وَأُنْزِلَتْ [مِنْ أَوَّلِ][2] الأَحْزَابِ ... آيُ اعْتِبَارٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ

مِنْ قَوْلِهِ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَا) ... إِلَى (قَدِيرٍ) جَاءَ مُسْتَبِينَا

وَمَاتَ سَعْدٌ بَعْدَ ذَا شَهِيدَا ... كَانَ النَّبِيْ لَهُ بِذَا[3] شَهِيدَا

وَكَانَ قَتْلُ ابْنِ أَبِي الحُقَيْقِ ... بَعْدَ قُرَيْظَةَ عَلَى التَّحْقِيقِ

---

[1] في المخطوط: [الذي] بدل: (الأُولى).

[2] في المخطوط: [وأنزلت في ذا من الآيات].

[3] في المخطوط: [كان النبي بذا له شهيدًا].

وَقَتْلُـــهُ كَـــانَ بِأَيْـــدِي الخَـــزْرَجِ ... لَـــيْلًا وَلَمْ يَكُـــنْ لَـــهُ مِـــنْ مَخْـــرَجِ

وكَـــانَ بَعْـــدَ ذَاكَ قَتْـــلُ خَالِـــدِ ... ابْـــنِ نُبَـــيْحِ الْهُـــذْلِيِّ الـــمَارِدِ

عَبْـــدُ الإِلَـــهِ بْـــنُ أُنَـــيْسٍ قَتَلَـــهْ ... فَفَـــازَ بِالْوَعْـــدِ الَّـــذِي لَا خُلْـــفَ لَـــهْ

ثُـــمَّ تَـــزَوَّجَ النَّبِـــيْ بِنْـــتَ أَبِـــي ... سُـــفْيَانَ ثُـــمَّ بَعْـــدَهَا بِزَيْنَـــبِ

وَقَـــدْ تَـــوَلَّىٰ اللهُ عَقْـــدَهَا كَـــمَا ... يُتْلَـــىٰ بِـــذِي القَعْـــدَةِ لَا تَـــوَهُّمَا

وَأُنْزِلَـــتْ فِيهَـــا مِـــنَ الأَحْـــزَابِ ... آيٌ وَمِنهَـــا آيَـــةُ الحِجَـــابِ

س٥٢/ ما الَّذِي شُرِعَ فِي سَنَةِ سِتٍّ مِنَ الْعِبَادَاتِ؟

ج/ فِيْهَا شُرِعَتْ صَلَاةُ الْخَوْفِ فِي غَزْوَةِ عُسْفَانَ (أ) شَهْرِ جُمَادَىٰ الْأُوْلَىٰ، فِيْهَا [وَ][١] فِي ذِي الْقَعْدَةِ (ب) اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ عُمْرَةَ الْحُدَيْبِيَّةِ وَصَدَّهُ الْمُشْرِكُونَ، وَكَانَ فِيْهَا بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ، وَفِيْهَا بَيَانُ حُكْمِ الْمُحْصَرِ (ج) ..

(أ) سيأتي الكلام عليها في الجواب عن السؤال رقم (٥٣).

(ب) هذا هو الصحيح، وهو قول الزهري، وقتادة، وموسىٰ بن عقبة، ومحمد ابن إسحاق، وغيرهم، وقال هشام بن عروة، عن أبيه: خرج رسول الله ﷺ إلىٰ الحديبية في رمضان، وكانت في شوال. وهذا وهم، وإنما كانت غزاة الفتح في رمضان، وقد قال أبو الأسود عن عروة: إنها كانت في ذي القعدة علىٰ الصواب. وفي "الصحيحين" عن أنس أن النبي ﷺ اعتمر أربع عُمَر كلُّهن في ذي القعدة، فذكر منها عمرة الحديبية....(٢)

(ج) خرج النبي ﷺ فَلَمَّا أَتَىٰ ذَا الْحُلَيْفَةِ(٣)، قَلَّدَ الْهَدْيَ وَأَشْعَرَهُ(٤)، وَأَحْرَمَ مِنْهَا

---

[١] زدتها ليستقيم السياق وليست في المخطوط.

(٢) "زاد المعاد" (٣/ ٢٨٦-٢٨٧).

(٣) ذو الحليفة قرية بينها وبين المدينة ستة أميال، أو سبعة، ومنها ميقات أهل المدينة. "معجم البلدان" (٥/ ٢٢).

(٤) وهو أن يشق أحد جنبي سنام البَدَنَة حتىٰ يسيل دمها، ويجعل ذلك لها علامة تُعرف بها أنها هدي. "النهاية" (١/ ٨٨٢) مادة: شَعَرَ.

بِعُمْرَةٍ، وَبَعَثَ عَيْنًا لَهُ مِنْ خُزَاعَةَ، وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّىٰ كَانَ بِغَدِيرِ الأَشْطَاطِ[(١)] أَتَاهُ عَيْنُهُ، قَالَ: إِنَّ قُرَيْشًا جَمَعُوا لَكَ جُمُوعًا، وَقَدْ جَمَعُوا لَكَ الأَحَابِيشَ، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ، وَصَادُّوكَ عَنِ البَيْتِ، وَمَانِعُوكَ. فَقَالَ: «**أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ، أَتَرَوْنَ أَنْ أَمِيلَ إِلَىٰ عِيَالِهِمْ وَذَرَارِيِّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا عَنِ البَيْتِ، فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَطَعَ عَيْنًا مِنَ المُشْرِكِينَ، وَإِلَّا تَرَكْنَاهُمْ مَحْرُوبِينَ**»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَرَجْتَ عَامِدًا لِهَذَا البَيْتِ، لَا تُرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ، وَلَا حَرْبَ أَحَدٍ، فَتَوَجَّهْ لَهُ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ. قَالَ: «**امْضُوا عَلَىٰ اسْمِ اللَّهِ**».[(٢)]

وبينما النبي ﷺ في طريقه قال لأصحابه: «**إِنَّ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةٌ، فَخُذُوا ذَاتَ اليَمِينِ**»، فَوَاللَّهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّىٰ إِذَا هُمْ بِقَتَرَةِ الجَيْشِ، فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ.[(٣)]

فلما أخبرهم خالد بن الوليد باقتراب النبي ﷺ خرجوا ليتمركزوا بمياه الحديبية قبل وصول المسلمين.

(حَتَّىٰ إِذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يُهْبَطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ، فَقَالَ النَّاسُ: حَلْ، حَلْ. فَأَلَحَّتْ، فَقَالُوا: خَلَأَتِ القَصْوَاءُ، خَلَأَتِ القَصْوَاءُ. فَقَالَ النَّبِيُّ

---

(١) وغدير الأشطاط هو بملتقىٰ الطريقين من عُسْفَان للخارج إلىٰ مكة علىٰ يمينك لمقدار ميلين، وربما اجتمع فيه الماء وليس هناك غدير غيره. "معجم معالم الحجاز" (١/ ٩٨).

(٢) رواه البخاري برقم (٤١٧٨).

(٣) رواه البخاري برقم (٢٧٣١).

ﷺ: «مَا خَلَأَتْ القَصْوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الفِيلِ»، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا»، ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ، فَعَدَلَ عَنْهُمْ حَتَّىٰ نَزَلَ بِأَقْصَىٰ الحُدَيْبِيَةِ عَلَىٰ ثَمَدٍ قَلِيلِ المَاءِ، يَتَبَرَّضُهُ[1] النَّاسُ تَبَرُّضًا، فَلَمْ يُلَبِّثْهُ النَّاسُ حَتَّىٰ نَزَحُوهُ وَشُكِيَ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ العَطَشُ، فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ[2]، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ، فَوَاللَّهِ، مَا زَالَ يَجِيشُ لَهُمْ بِالرِّيِّ حَتَّىٰ صَدَرُوا عَنْهُ.[3]

وَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خِرَاشَ بْنَ أُمَيَّةَ الْخُزَاعِيَّ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَحَمَلَهُ عَلَىٰ جَمَلٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ: الثَّعْلَبُ. فَلَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ عَقَرَتْ بِهِ قُرَيْشٌ وَأَرَادُوا قَتْلَ خِرَاشٍ فَمَنَعَهُمْ الْأَحَابِشُ حَتَّىٰ أَتَىٰ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَدَعَا عُمَرَ لِيَبْعَثَهُ إِلَىٰ مَكَّةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَخَافُ قُرَيْشًا عَلَىٰ نَفْسِي وَلَيْسَ بِهَا مِنْ بَنِي عَدِيٍّ أَحَدٌ يَمْنَعُنِي، وَقَدْ عَرَفَتْ قُرَيْشٌ عَدَاوَتِي إِيَّاهَا وَغِلْظَتِي عَلَيْهَا، وَلَكِنْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ رَجُلٍ هُوَ أَعَزُّ مِنِّي: عُثْمَانَ ابْنِ عَفَّانَ. فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَبَعَثَهُ إِلَىٰ قُرَيْشٍ يُخْبِرُهُمْ: أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ لِحَرْبٍ وَأَنَّهُ جَاءَ زَائِرًا لِهَذَا الْبَيْتِ مُعَظِّمًا لِحُرْمَتِهِ. فَخَرَجَ عُثْمَانُ حَتَّىٰ أَتَىٰ مَكَّةَ وَلَقِيَهُ أَبَانُ ابْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ وَحَمَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَرَدِفَ خَلْفَهُ وَأَجَارَهُ حَتَّىٰ بَلَّغَ رِسَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَانْطَلَقَ عُثْمَانُ حَتَّىٰ أَتَىٰ أَبَا سُفْيَانَ وَعُظَمَاءَ قُرَيْشٍ

---

(١) هو الأخذ قليلًا، والبَرَض بالفتح والسكون: اليسير من العطاء. "فتح الباري" (٥/ ٤١٢).

(٢) الكنانة: جعبة السهام. "تهذيب اللغة".

(٣) رواه البخاري برقم (٢٧٣١).

فَبَلَّغَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَرْسَلَهُ بِهِ فَقَالُوا لِعُثْمَانَ: إِنْ شِئْتَ أَنْ تَطُوفَ بِالْبَيْتِ فَطُفْ بِهِ. فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ حَتَّىٰ يَطُوفَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَاحْتَبَسَتْهُ قُرَيْشٌ عِنْدَهَا، فَبَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ أَنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ.(١)

فدعا النبي ﷺ أصحابه إلىٰ البيعة، فبادر الصحابة رضي الله عنهم إلىٰ ذلك فبايعهم ﷺ تحت الشجرة، قال جابر رضي الله عنه: ولم يبايع عند شجرة إلا الشجرة التي بالحديبية.(٢)

والبيعة كانت علىٰ الموت كما في "صحيح البخاري" برقم (٤١٦٩)، ومسلم برقم (١٨٥٦)، ورواية علىٰ أنها علىٰ عدم الفرار كما في "صحيح مسلم" برقم (١٨٥٦).

ورواية علىٰ أنها علىٰ الصبر كما في "صحيح البخاري" برقم (٢٩٥٨).

قال الحافظ رحمه الله في "فتح الباري" (٦/ ١٤٣): بايعهم علىٰ الصبر، أي: علىٰ الثبات وعدم الفرار، سواء أفضىٰ بهم ذلك إلىٰ الموت أم لا، والله أعلم.اهـ

وكان بايعه ﷺ كل الذين كانوا معه إلا الجد بن قيس الأنصاري اختبأ تحت بطن بعيره.(٣)

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٤٢٤-٤٢٥)، وسنده حسن لولا عنعنة ابن إسحاق، لكنه صرح بالتحديث كما في "السيرة" لابن هشام (٢/ ٨١١).

(٢) رواه مسلم برقم (١٨٥٦).

(٣) كما في "صحيح مسلم" برقم (١٨٥٦).

وقال النبي ﷺ بيده اليمنىٰ: هذه يد عثمان، فضرب بها علىٰ يده فقال: «**هذه لعثمان**».[١]

ثم أتىٰ رسول الله ﷺ أن الذي ذُكِر من أمر عثمان باطل.[٢]

وقال ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا**».[٣]

ثم أتىٰ النبيَّ ﷺ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الخُزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خُزَاعَةَ، وَكَانُوا عَيْبَةَ نُصْحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةَ، فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ، وَعَامِرَ ابْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الحُدَيْبِيَةِ، وَمَعَهُمُ العُوذُ المَطَافِيلُ[٤]، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عَنِ البَيْتِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُمُ الحَرْبُ، وَأَضَرَّتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً، وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرْ: فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلَّا فَقَدْ جَمُّوا، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَىٰ أَمْرِي هَذَا حَتَّىٰ تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي**[٥]**، وَلَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ**»، فَقَالَ بُدَيْلٌ: سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ.

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٦٩٩).

(٢) ابن هشام (٢/ ٨١٢).

(٣) رواه مسلم برقم (٢٤٩٦).

(٤) العوذ المطافيل: يريد النساء والصبيان. «النهاية» (٢/ ٢٧) مادة: عَوَذَ.

(٥) السالفة: صفحة العنق، وهما سالفتان من جانبيه، وكنىٰ بانفرادها لأنها لا تنفرد عما يليها إلا =

قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّىٰ أَتَىٰ قُرَيْشًا، قَالَ: إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلًا، فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا. فَقَالَ سُفَهَاؤُهُمْ: لاَ حَاجَةَ لَنَا أَنْ تُخْبِرَنَا عَنْهُ بِشَيْءٍ. وَقَالَ ذَوُو الرَّأْيِ مِنْهُمْ: هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ. قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ، أَلَسْتُمْ بِالوَالِدِ؟ قَالُوا: بَلَىٰ. قَالَ: أَوَلَسْتُ بِالوَلَدِ؟ قَالُوا: بَلَىٰ. قَالَ: فَهَلْ تَتَّهِمُونِي؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظَ، فَلَمَّا بَلَّحُوا[1] عَلَيَّ جِئْتُكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي؟ قَالُوا: بَلَىٰ. قَالَ: فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ، اقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِيهِ. قَالُوا: ائْتِهِ. فَأَتَاهُ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ، فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَيْ مُحَمَّدُ، أَرَأَيْتَ إِنِ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ، هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ العَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ، وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَىٰ، فَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَىٰ وُجُوهًا، وَإِنِّي لَأَرَىٰ أَشْوَابًا[2] مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ. فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: امْصُصْ بَظْرَ اللَّاتِ، أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟ فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ. قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلاَ يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لَأَجَبْتُكَ. قَالَ: وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَكُلَّمَا تَكَلَّمَ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، وَالمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَىٰ رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ المِغْفَرُ،

= بالموت. وقيل: المراد: حتىٰ يُفرَّقَ بين رأسي وجسدي. "النهاية" (١/ ٧٩٦) مادة: سَلَف.

(١) بلح الرجل إذا انقطع من الإعياء فلم يقدر أن يتحرك، فقوله: (بلحوا عليَّ)، أي: أَبَوْا، كأنهم قد أعيوا عن الخروج معه وإعانته. "النهاية" (١/ ١٥٥) مادة: بَلَحَ.

(٢) الأشواب هم الأخلاط من أنواع شتىٰ، والأوباش: الأخلاط من السفلة. "تاج العروس".

فَكُلَّمَا أَهْوَىٰ عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَىٰ لِحْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ، وَقَالَ لَهُ: أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: المُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، فَقَالَ: أَيْ غُدَرُ[1]، أَلَسْتُ أَسْعَىٰ فِي غَدْرَتِكَ؟ وَكَانَ المُغِيرَةُ صَحِبَ قَوْمًا فِي الجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَّا الإِسْلَامَ فَأَقْبَلُ، وَأَمَّا المَالَ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ**»، ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَيْنَيْهِ، قَالَ: فَوَاللَّهِ، مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَىٰ وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ؛ تَعْظِيمًا لَهُ، فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَىٰ المُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَىٰ قَيْصَرَ، وَكِسْرَىٰ، وَالنَّجَاشِيِّ[2]، وَاللَّهِ، إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ، إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَىٰ وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ؛ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ[3] فَاقْبَلُوهَا. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ: دَعُونِي

---

(١) غُدَر معدول عن غادر؛ للمبالغة، يقال للذكر: غُدَر، وللأُنثىٰ: غَدَارِ، كقطام، وهما مختصان بالنداء في الغالب. «النهاية» (٢/ ٢٩٠) مادة: غَدَرَ.

(٢) من ملك الروم يقال له: قيصر. ومن ملك الفرس يقال له: كسرىٰ. ومن ملك الحبشة يقال له: النجاشي. ومن ملك مصر يقال له: فرعون.

(٣) خطة رشد، أي: أمرًا واضحًا في الهدىٰ والاستقامة. «النهاية» (١/ ٥٠٥) مادة: خَطَطَ.

آتِيهِ. فَقَالُوا: ائْتِهِ. فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**هَذَا فُلَانٌ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ البُدْنَ، فَابْعَثُوهَا لَهُ**» فَبُعِثَتْ لَهُ، وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلَبُّونَ، فَلَمَّا رَأَىٰ ذَلِكَ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ البَيْتِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ، قَالَ: رَأَيْتُ البُدْنَ قَدْ قُلِّدَتْ وَأُشْعِرَتْ، فَمَا أَرَىٰ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ البَيْتِ. فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: مِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ، فَقَالَ: دَعُونِي آتِيهِ. فَقَالُوا: ائْتِهِ. فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَذَا مِكْرَزٌ، وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ**»، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو...، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ**»، فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا. فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ الكَاتِبَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**»، قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ، فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ وَلَكِنِ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ. فَقَالَ المُسْلِمُونَ: وَاللَّهِ لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ**»، ثُمَّ قَالَ: «**هَذَا مَا قَاضَىٰ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ**»، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ، لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ البَيْتِ، وَلَا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَاللَّهِ، إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ**» قَالَ الزُّهْرِيُّ[1]: وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ: «**لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا**»، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَلَىٰ أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ البَيْتِ، فَنَطُوفَ بِهِ**»، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ لَا، تَتَحَدَّثُ العَرَبُ أَنَّا

(١) أحد رواة الحديث.

أُخِذْنَا ضُغْطَةً، وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ العَامِ المُقْبِلِ. فَكَتَبَ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَعَلَىٰ أَنَّهُ لاَ يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَىٰ دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا. قَالَ المُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! كَيْفَ يُرَدُّ إِلَىٰ المُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي قُيُودِهِ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّىٰ رَمَىٰ بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ المُسْلِمِينَ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّا لَمْ نَقْضِ الكِتَابَ بَعْدُ**»، قَالَ: فَوَاللَّهِ، إِذًا لَمْ أُصَالِحْكَ عَلَىٰ شَيْءٍ أَبَدًا. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَأَجِزْهُ لِي**»، قَالَ: مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ. قَالَ: «**بَلَىٰ فَافْعَلْ**»، قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ. قَالَ مِكْرَزٌ: بَلْ قَدْ أَجَزْنَاهُ لَكَ. قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ: أَيْ مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، أُرَدُّ إِلَىٰ المُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا، أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ؟ وَكَانَ قَدْ عُذِّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللَّهِ. قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: «**بَلَىٰ**»، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَىٰ الحَقِّ، وَعَدُوُّنَا عَلَىٰ البَاطِلِ؟ قَالَ: «**بَلَىٰ**»، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ[(١)] فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ: «**إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي**»، قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: «**بَلَىٰ، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ العَامَ**»، قَالَ: قُلْتُ: لاَ. قَالَ: «**فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ**»، قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَىٰ، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَىٰ الحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَىٰ البَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَىٰ، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ، إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ

---

(١) أي: الخصلة المذمومة. «النهاية» (١/ ٥٨٦) مادة: دنَا.

نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ، فَوَاللَّهِ، إِنَّهُ عَلَىٰ الحَقِّ، قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَىٰ، أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ العَامَ؟ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ. قَالَ عُمَرُ: فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا، قَالَ: فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الكِتَابِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «**قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا**»، قَالَ: فَوَاللَّهِ، مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّىٰ قَالَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَىٰ أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ، اخْرُجْ ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّىٰ تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّىٰ فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّىٰ كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا، ثُمَّ جَاءَهُ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠] حَتَّىٰ بَلَغَ بِعِصَمِ الكَوَافِرِ فَطَلَّقَ عُمَرُ يَوْمَئِذٍ امْرَأَتَيْنِ، كَانَتَا لَهُ فِي الشِّرْكِ، فَتَزَوَّجَ إِحْدَاهُمَا مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَالأُخْرَىٰ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ المَدِينَةِ.(١)

(١) رواه البخاري برقم (٢٧٣١)، وللفائدة انظر "مجموع رسائل" لشيخنا النجمي رَحِمَهُ اللَّهُ * مع تعليقي (ص٢١٠-٢٢٥) ط/ دار الإمام أحمد.

وَفِيْهَا فَرْضُ الْحَجِّ فِي قَوْلِ الشَّافِعِيِّ.(١)

(١) وهو قول الجمهور من العلماء، قالوا: لأنها نزلت فيها قوله تعالىٰ: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[البقرة:١٩٦]، وهذا ينبئ علىٰ أن المراد بالإتمام ابتداء الفرض ومن أهل العلم من قال: إنه فُرض في السَّنَة التاسعة. وقيل: سنة عشر. قال ابن كثير رحمه الله: وهو غريب.

ورجح ابن القيم رحمه الله قول من قال: إنه فُرض في السَّنَة التاسعة، قال: فإنَّ فرضَ الحج تأخَّر إلىٰ سنة تسع أو عشر، وأما قوله تعالىٰ: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، فإنها وإن نزلت سنةَ ستٍّ عام الحديبية، فليس فيها فرضيَّةُ الحج، وإنما فيها الأمرُ بإتمامه وإتمام العُمرة بعد الشروع فيهما، وذلك لا يقتضي وجوبَ الابتداء؛ فإن قيل: فَمِنْ أين لكم تأخير نزول فرضه إلىٰ التاسعة أو العاشرة؟ قيل: لأن صدر سورةِ آل عمران نزل عامَ الوفود، وفيه قَدِم وفدُ نجران علىٰ رسول الله ﷺ، وصالحهم علىٰ أداءِ الجزية، والجزية إنما نزلت عامَ تبوك سنة تسع، وفيها نزل صدرُ سورة آل عمران، وناظرَ أهل الكتاب، ودعاهم إلىٰ التوحيد والمبُاهلة، ويدلُّ عليه أن أهلَ مكة وجدوا في نفوسهم علىٰ ما فاتهم من التجارة من المشركين لما أنزل الله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨]، فأعاضهم الله تعالىٰ من ذلك بالجزية، ونزولُ هذه الآيات، والمناداةُ بها، إنما كان في سنة تسع، وبعث الصِّدِّيق

يؤذِّن بذلك في مكة في مواسم الحج، وأردفه بعليٍّ رضي الله عنه، وهذا الذي ذكرناه قد قاله غير واحد من السَلَف، والله أعلم.اهـ[(١)]

---

(١) وانظر «المجموع» (٧/ ٨٢)، و«الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف» (٣/ ٣٥٠)، و«البداية والنهاية» (٥/ ١٢٣)، و«الفصول في سيرة الرسول» (ص٢٠٦)، و«زاد المعاد» (٢/ ١٠١-١٠٢)، و«فتح الباري» (٣/ ٤٨٣).

س٥٣/ مَاذَا وَقَعَ فِيْهَا مِنَ الْغَزَوَاتِ؟

ج/ فِي جُمَادَىٰ الْأُوْلَىٰ مِنْهَا كَانَتْ غَزْوَةُ بَنِي لِحْيَانَ، وَهِيَ غَزْوَةُ عُسْفَانَ(أ) الَّتِي شُرِعَتْ فِيْهَا صَلَاةُ الْخَوْفِ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ.[١] ......

(أ) خرج ﷺ في جمادىٰ الأُولىٰ علىٰ رأس ستة أشهر من فتح قريظة إلىٰ بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع خبيب بن عدي وأصحابه، وأظهر أنه يريد الشام؛ ليصيب من القوم غرة، فسلك علىٰ غراب -جبلٌ بناحية المدينة علىٰ طريقه إلىٰ الشام- ثم علىٰ مخيض[٢]، ثم علىٰ البتراء، ثم صفق ذات اليسار فخرج علىٰ بين، ثم علىٰ صحيرات اليمام، ثم استقام به الطريق علىٰ المحجة من طريق مكة، فأخذ السير سريعًا حتىٰ نزل علىٰ غران وهي منازل بني لحيان -وغران وادٍ بين أمج وعسفان إلىٰ بلد يقال له ساية- فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رؤوس الجبال، فلما نزلها وأخطأه من غرتهم ما أراد قال: لو أنَّا هبطنا عسفان لرأىٰ أهل مكة أنَّا قد جئنا مكة، فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتىٰ نزل عسفان، ثم بعث فارسين من أصحابه حتىٰ بلغا كُرَاع الغَمِيْم[٣]، ثم كرَّ وراح رسول الله ﷺ قافلًا....[٤]

---

(١) انظر تفسير الآية: [١٠١-١٠٢] من سورة النساء عند ابن جرير، وانظر كذلك "البداية والنهاية" (٤/ ٩٣-٩٤)، و"الصحيح المسند من أسباب النزول" (ص٨٨-٩٠) لشيخنا الوادعي رحمه الله.

(٢) للفائدة ينظر "معجم معالم الحجاز" (٨/ ١٥٢٢) في الكلام علىٰ مَخيض.

(٣) كراع الغميم: اسم موضع بين مكة والمدينة. "النهاية" (٢/ ٥٣٤) مادة: كَرَعَ.

(٤) انظر "السيرة" لابن إسحاق (ص٤٣٤-٤٣٥)، و"السيرة" لابن هشام (٢/ ٧٨٢-٧٨٣)، و"الطبقات" (٢/ ٧٤-٧٦)، و"أنساب الأشراف" (١/ ٤١٦).

وَفِيْهَا غَزْوَةُ ذِي قَرَدٍ، وَقِيْلَ: فِي السَّابِعَةِ. وَهِيَ الَّتِي أَغَارَ فِيْهَا عُيَيْنَةُ عَلَىٰ سَرْحِ النَّبِيِّ ﷺ، فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْهُم سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ خَيْلُ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ لَهُ سَهْمَ الْفَارِسِ وَالرَّاجِلِ. (أ) ....

(أ) أغار عيينة بن حِصْن بن حذيفة بن بدر الفزاري في خيل من غطفان علىٰ لِقَاح[1] لرسول الله ﷺ بالغابة، وفيها رجل من بني غِفار، وامرأة فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللِّقاح.[2]

يقول سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: خَرَجْتُ قَبْلَ أَنْ يُؤَذَّنَ بِالْأُولَىٰ[3]، وَكَانَتْ لِقَاحُ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَرْعَىٰ بِذِي قَرَدٍ[4]، قَالَ: فَلَقِيَنِي غُلَامٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَالَ: أُخِذَتْ لِقَاحُ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَقُلْتُ: مَنْ أَخَذَهَا؟ قَالَ: غَطَفَانُ. قَالَ: فَصَرَخْتُ ثَلَاثَ صَرَخَاتٍ: يَا صَبَاحَاهْ.[5] قَالَ: فَأَسْمَعْتُ مَا بَيْنَ لَابَتَيِ[6] الْمَدِينَةِ، ثُمَّ انْدَفَعْتُ عَلَىٰ وَجْهِي حَتَّىٰ أَدْرَكْتُهُمْ بِذِي قَرَدٍ، وَقَدْ أَخَذُوا يَسْقُونَ مِنَ الْمَاءِ، فَجَعَلْتُ أَرْمِيهِمْ بِنَبْلِي، وَكُنْتُ رَامِيًا، وَأَقُولُ:

(١) اللقاح: هي ذوات الألبان. «النهاية» (٢/ ٦٠٨).

(٢) «السيرة» لابن إسحاق (ص٤٣٦).

(٣) الأولىٰ: هي صلاة الصبح.

(٤) هو ماءٌ علىٰ ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر. «معجم البلدان» (٩/ ٣٦٢)، وينظر «معجم معالم الحجاز» (٧/ ١٣٦٨).

(٥) يا صباحاه: كلمة يقولها المستغيث، وأصلها إذا صاحوا للغارة؛ لأنهم أكثر ما كانوا يغيرون عند الصباح، فكأن القائل: يا صباحاه. يقول: قد غَشِيَنَا العدو. «النهاية» (٢/ ٨).

(٦) اللابة: الحرة والمدينة واقعة بين حرتين عظيمتين. نووي.

أَنَـا ابْـنُ الْأَكْــوَعِ وَالْيَــوْمُ يَــوْمُ الرُّضَّــعِ[١]

وَقَالَ ﵁: فَوَاللهِ، مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ وَأَعْقِرُ[٢] بِهِمْ، فَإِذَا رَجَعَ إِلَيَّ فَارِسٌ أَتَيْتُ شَجَرَةً، فَجَلَسْتُ فِي أَصْلِهَا، ثُمَّ رَمَيْتُهُ فَعَقَرْتُ بِهِ، حَتَّىٰ إِذَا تَضَايَقَ الْجَبَلُ، فَدَخَلُوا فِي تَضَايُقِهِ، عَلَوْتُ الْجَبَلَ فَجَعَلْتُ أُرَدِّيهِمْ بِالْحِجَارَةِ[٣]، قَالَ: فَمَا زِلْتُ كَذَلِكَ أَتْبَعُهُمْ حَتَّىٰ مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ بَعِيرٍ مِنْ ظَهْرِ[٤] رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَّا خَلَّفْتُهُ وَرَاءَ ظَهْرِي، وَخَلَّوْا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، ثُمَّ اتَّبَعْتُهُمْ أَرْمِيهِمْ حَتَّىٰ أَلْقَوْا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ بُرْدَةً، وَثَلَاثِينَ رُمْحًا، يَسْتَخِفُّونَ وَلَا يَطْرَحُونَ شَيْئًا إِلَّا جَعَلْتُ عَلَيْهِ آرَامًا[٥] مِنَ الْحِجَارَةِ يَعْرِفُهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، حَتَّىٰ أَتَوْا مُتَضَايِقًا مِنْ ثَنِيَّةٍ، فَإِذَا هُمْ قَدْ أَتَاهُمْ فُلَانُ بْنُ بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ، فَجَلَسُوا يَتَضَحَّوْنَ -يَعْنِي يَتَغَدَّوْنَ- وَجَلَسْتُ عَلَىٰ رَأْسِ قَرْنٍ.[٦]

قَالَ الْفَزَارِيُّ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَىٰ؟ قَالُوا: لَقِينَا مِنْ هَذَا الْبَرْحَ[١]، وَاللهِ، مَا فَارَقَنَا

---

(١) رواه مسلم برقم (١٨٠٦).

(٢) أي: أقتل مركوبهم، يقال: عَقَرتُ به: إذا قتلت مركوبه وجعلته راجلًا. «النهاية» (٢/ ٢٣٤) مادة: عَقَرَ.

(٣) أي: أرميهم بها، يقال: رَدَىٰ يَرْدي رَدْيًا، إذا رَمَىٰ، والمِرْدَىٰ والمِرْداة: الحجر، وأكثر ما يقال في الحجر الثقيل. «النهاية» (١/ ٦٥١) مادة: ردا.

(٤) الظهر: الإبل التي يُحمل عليها وتُركب. «النهاية» (٢/ ١٤٧) مادة: ظهر.

(٥) الآرام: الأعلام، وهي حجارة تُجمع وتُنصب في المفازة يُهتدىٰ بها، واحدها: إِرَم، كعنب، وكان من عادة الجاهلية أنهم إذا وجدوا شيئًا في طريقهم لا يمكنهم استصحابه تركوا عليه حجارة يعرفونه بها حتىٰ إذا عادوا أخذوه. «النهاية» (١/ ٥٤) مادة: أَرَم.

(٦) أي: علىٰ رأس جبل.

(١) البرح: الشدة. «النهاية» (١/ ١٢٠).

مُنْذُ غَلَسٍ يَرْمِينَا حَتَّىٰ انْتَزَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي أَيْدِينَا. قَالَ: فَلْيَقُمْ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْكُمْ أَرْبَعَةٌ. قَالَ: فَصَعِدَ إِلَيَّ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ فِي الْجَبَلِ، قَالَ: فَلَمَّا أَمْكَنُونِي مِنَ الْكَلَامِ، قَالَ: قُلْتُ: هَلْ تَعْرِفُونِي؟ قَالُوا: لَا، وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ: أَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ، وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ ﷺ، لَا أَطْلُبُ رَجُلًا مِنْكُمْ إِلَّا أَدْرَكْتُهُ، وَلَا يَطْلُبُنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ فَيُدْرِكَنِي. قَالَ أَحَدُهُمْ: أَنَا أَظُنُّ. قَالَ: فَرَجَعُوا، فَمَا بَرِحْتُ مَكَانِي حَتَّىٰ رَأَيْتُ فَوَارِسَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَخَلَّلُونَ الشَّجَرَ، قَالَ: فَإِذَا أَوَّلُهُمُ الْأَخْرَمُ الْأَسَدِيُّ، عَلَىٰ إِثْرِهِ أَبُو قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيُّ، وَعَلَىٰ إِثْرِهِ الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْكِنْدِيُّ، قَالَ: فَأَخَذْتُ بِعِنَانِ الْأَخْرَمِ، قَالَ: فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ، قُلْتُ: يَا أَخْرَمُ، احْذَرْهُمْ لَا يَقْتَطِعُوكَ حَتَّىٰ يَلْحَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ. قَالَ: يَا سَلَمَةُ، إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتَعْلَمُ أَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، فَلَا تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّهَادَةِ.

قَالَ: فَخَلَّيْتُهُ، فَالْتَقَىٰ هُوَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ[1]، قَالَ: فَعَقَرَ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ فَرَسَهُ، وَطَعَنَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَتَلَهُ، وَتَحَوَّلَ عَلَىٰ فَرَسِهِ، وَلَحِقَ أَبُو قَتَادَةَ فَارِسُ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ، فَوَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ ﷺ، لَتَبِعْتُهُمْ أَعْدُو عَلَىٰ رِجْلَيَّ حَتَّىٰ مَا أَرَىٰ وَرَائِي مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَا غُبَارِهِمْ شَيْئًا حَتَّىٰ يَعْدِلُوا قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَىٰ شِعْبٍ فِيهِ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ: ذَو قَرَدٍ[1] لِيَشْرَبُوا مِنْهُ وَهُمْ عِطَاشٌ.

(١) هو عبد الرحمن الفزاري، فقد جاء في الحديث عند مسلم أنه هو الذي أغار علىٰ ظهر رسول الله ﷺ واستاقه، وقتل راعيه، وتقدم عند ابن إسحاق أنه عيينة الفزاري، ولا مانع من ذلك؛ فيكون عبدالرحمن وعيينة اشتركا في ذلك، هذا إنْ صح أنه عيينة؛ لأن ابن إسحاق ذكره بدون سند، ورواه البيهقي في "دلائل النبوة" (٤/ ١٨٦) مرسلًا.

(١) ذا قرد: قال النووي رحمه الله: هكذا هو في أكثر النسخ المعتمدة (ذا) بألف، وفي بعضها (ذو قرد) بالواو، وهو الأوجه.

قَالَ: فَنَظَرُوا إِلَيَّ أَعْدُو وَرَاءَهُمْ، فَحَلَّيْتُهُمْ عَنْهُ -يَعْنِي أَجْلَيْتُهُمْ عَنْهُ- فَمَا ذَاقُوا مِنْهُ قَطْرَةً. قَالَ: وَيَخْرُجُونَ فَيَشْتَدُّونَ فِي ثَنِيَّةٍ. قَالَ: فَأَعْدُو فَأَلْحَقُ رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَصُكُّهُ بِسَهْمٍ فِي نُغْضِ[(١)] كَتِفِهِ. قَالَ: قُلْتُ: خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعِ. قَالَ: يَا ثَكِلَتْهُ أُمُّهُ، أَكْوَعُهُ بُكْرَةَ؟[(٢)] قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ يَا عَدُوَّ نَفْسِهِ، أَكْوَعُكَ بُكْرَةَ، قَالَ: وَأَرْدَوْا[(٣)] فَرَسَيْنِ عَلَىٰ ثَنِيَّةٍ، قَالَ: فَجِئْتُ بِهِمَا أَسُوقُهُمَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: وَلَحِقَنِي عَامِرٌ بِسَطِيحَةٍ فِيهَا مَذْقَةٌ[(٤)] مِنْ لَبَنٍ، وَسَطِيحَةٍ[(٥)] فِيهَا مَاءٌ، فَتَوَضَّأْتُ وَشَرِبْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَىٰ الْمَاءِ الَّذِي حَلَّأْتُهُمْ[(١)] عَنْهُ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ أَخَذَ تِلْكَ الْإِبِلَ وَكُلَّ شَيْءٍ اسْتَنْقَذْتُهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَكُلَّ

---

(١) النغض: هو العظم الرقيق علىٰ طرف الكتف. سمي بذلك لكثرة تحركه، وهو الناغض أيضًا. نووي.

(٢) أكوعُه بكرَةَ: برفع العين، أي: أنت الأكوع الذي كنت بكرة هذا النهار؛ ولهذا قال: نعم. وبكرة منصوب غير منون، قال أهل العربية: يقال: أتيته بكرةً، بالتنوين إذا أردت أنك لقيته باكرًا في يوم غير معين، قالوا: وإن أردت بكرةَ يوم بعينه قلت: أتيته بكرةَ. غير مصروف؛ لأنها من الظروف غير المتمكنة.انتهىٰ، قاله النووي رَحِمَهُ اللَّهُ (١٢/ ٣٨٨) في "شرح صحيح مسلم".

(٣) أردوا: أي: تركوهما هلكىٰ من الرَّدىٰ وهو الهلاك، ورواية: (وأرذوا) بالذال ومعناه: تركوا فرسين معيبين لم يقدرا علىٰ النهوض من الضعف والكلال، والرذية: المعيبة، وجمعها: رذايا، ومنه قول الشاعر: **فَهُنَّ رَذَايَا فِي الطَّرِيْقِ وَدَائِعُ**. والأخير أوجه. ينظر "المفهم لِمَا أُشكِل من تلخيص كتاب مسلم" (١٢/ ٧) للقرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) المذق: المزج والخلط، يقال: مذقت اللبن فهو مذيق إذا خلطته بالماء، والمذقة: الشربة من اللبن الممذوق. "النهاية" (٢/ ٣٤٥) مادة: مَذَقَ.

(٥) هي إناء من أواني المياه. وينظر "النهاية" (١/ ١٧٥) مادة: سَطَحَ.

(١) حلأتهم: أي: طردتهم عنه. نووي.

رُمْحٍ وَبُرْدَةٍ[١]، وَإِذَا بِلَالٌ نَحَرَ نَاقَةً مِنَ الْإِبِلِ الَّذِي[٢] اسْتَنْقَذْتُ مِنَ الْقَوْمِ، وَإِذَا هُوَ يَشْوِي لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ كَبِدِهَا وَسَنَامِهَا، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، خَلِّنِي فَأَنْتَخِبُ مِنَ الْقَوْمِ مِائَةَ رَجُلٍ فَأَتَّبِعُ الْقَوْمَ، فَلَا يَبْقَىٰ مِنْهُمْ مُخْبِرٌ إِلَّا قَتَلْتُهُ. قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ، فَقَالَ: «**يَا سَلَمَةُ، أَتُرَاكَ كُنْتَ فَاعِلًا؟**» قُلْتُ: نَعَمْ، وَالَّذِي أَكْرَمَكَ. فَقَالَ: «**إِنَّهُمُ الْآنَ لَيُقْرَوْنَ**[٣] **فِي أَرْضِ غَطَفَانَ**»، قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ غَطَفَانَ، فَقَالَ: نَحَرَ لَهُمْ فُلَانٌ جَزُورًا فَلَمَّا كَشَفُوا جِلْدَهَا رَأَوْا غُبَارًا، فَقَالُوا: أَتَاكُمُ الْقَوْمُ، فَخَرَجُوا هَارِبِينَ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَانَ خَيْرَ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ، وَخَيْرَ رَجَّالَتِنَا سَلَمَةُ**»، قَالَ: ثُمَّ أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ سَهْمَيْنِ: سَهْمَ الْفَارِسِ، وَسَهْمَ الرَّاجِلِ، فَجَمَعَهُمَا لِي جَمِيعًا... . الحديث.[٤]

---

(١) البردة: الشملة المخططة، وقيل: كساء أسود مربَّع فيه صور تلبسه العرب، وجمعها: بُرَدٌ. "النهاية" (١/ ٦٢٢) مادة: بَرَدَ.

(٢) كذا في أكثر النسخ (الذي)، وفي بعضها: (التي) وهو الأوجه؛ لأن الإبل مؤنثة، وكذا أسماء الجموع من غير الآدميين، والأول صحيح أيضًا، وأعاد الضمير إلىٰ الغنيمة لا إلىٰ الإبل. قاله النووي رحمه الله.

(٣) أي: يضافون.

(٤) رواه مسلم برقم (١٨٠٧).

وَفِي شَعْبَانَ مِنْهَا غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ. (أ) ....

(أ) يرىٰ المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أن هذه الغزوة كانت سنة ستٍّ، وهو قول ابن إسحاق في "السيرة" (ص٤٣٩)، وبه جزم خليفة[1]، والطبري "فتح الباري" (٧/ ٥٤٦)، وابن كثير في "الفصول" (ص١٥٣).

وروىٰ البيهقي من رواية قتادة، وعروة وغيرهما أنها كانت في شعبان سنة خمسٍ، وكذا ذكرها أبو معشر قبل الخندق.[2]

وكذلك قال موسىٰ بن عقبة أنها سنة خمس، ورجح هذا القول ابن سعد في "الطبقات" (٢/ ٥٩)، وابن القيم في "زاد المعاد" (٣/ ٢٥٦)، والذهبي في "تاريخ الإسلام" (٢/ ٢٧٥).

وأما البخاري فذكر عن ابن عقبة تعليقًا أنها كانت سنة أربع، قال: وقال موسىٰ بن عقبة: سنة أربع.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في "فتح الباري" (٧/ ٥٤٦-٥٤٧): كذا ذكره البخاري، وكأنه سبق قلمٍ أراد أن يكتب: سنة خمس. فكتب: سنة أربع. والذي في "مغازي موسىٰ بن عقبة" من عدة طرق أخرجها الحاكم، وأبو سعيد النيسابوري، والبيهقي في "الدلائل" وغيرهم: سنة خمس...، ويؤيده ما أخرجه البخاري في الجهاد عن

(١) في "تاريخه" (ص٣٥).

(٢) "فتح الباري" (٧/ ٥٤٦).

ابن عمر أنه غزا مع النبي ﷺ بني المصطلق في شعبان سنة أربع ولم يؤذن له في القتال؛ لأنه إنما أذن له فيه في الخندق كما تقدم وهي بعد شعبان، سواء قلنا: إنها كانت سنة خمس أو سنة أربع.

وقال الحاكم في "الإكليل": قول عروة وغيره إنها كانت في سنة خمس أشبه من قول ابن إسحاق.

قلت -الحافظ-: ويؤيده ما ثبت في حديث الإفك أن سعد بن معاذ تنازع هو وسعد بن عبادة في أصحاب الإفك كما سيأتي فلو كان المريسيع[١] في شعبان سنة ست مع كون الإفك كان فيها لكان ما وقع في "الصحيح" من ذكر سعد بن معاذ غلطًا؛ لأن سعد بن معاذ مات أيام قريظة وكانت سنة خمس علىٰ الصحيح كما تقدم تقريره، وإن كانت كما قيل: سنة أربع. فهي أشد؛ فيظهر أن المريسيع كانت سنة خمس في شعبان؛ لتكون قد وقعت قبل الخندق؛ لأن الخندق كانت في شوال من سنة خمس أيضًا فتكون بعدها؛ فيكون سعد بن معاذ موجودًا في المريسيع، ورُمي بعد ذلك بسهم في الخندق ومات من جراحته في قريظة...، ويؤيده أيضًا: أن حديث الإفك كان سنة خمس؛ إذ الحديث فيه التصريح بأن القصة وقعت بعد نزول الحجاب والحجاب كان في ذي القعدة سنة أربع عند جماعة؛ فيكون المريسيع بعد ذلك، فيرجح أنها سنة خمس... . اهـ

(١) وهي غزوة بني المصطلق.

قلت: وغزوة بني المصطلق عند البخاري برقم (٢٥٤١)، ومسلم برقم (١٧٣٠) أنه ﷺ أغار علىٰ بني المصطلق وهم غارون وأنعامهم تسقىٰ علىٰ الماء، فقتل مقاتِلَتَهم، وسَبَىٰ ذراريهم، وأصاب يومئذٍ جويرية.

فائدة:

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ في «شرح صحيح مسلم» (١٢/ ٢٦٤): وفي هذا الحديث جواز الإغارة علىٰ الكفار الذين بلغتهم الدعوة من غير إنذار بالإغارة، وفي هذه المسألة ثلاثة مذاهب حكاها المازري، والقاضي:

أحدها: يجب الإنذار مطلقًا. قال مالك وغيره: وهذا ضعيف.

والثاني: لا يجب مطلقًا. وهذا أضعف منه، أو باطل.

والثالث: يجب إنْ لم تبلغهم الدعوة ولا يجب إنْ بلغتهم، لكن يستحب. وهذا هو الصحيح، وبه قال نافع مولىٰ ابن عمر، والحسن البصري، والثوري، والليث، والشافعي، وأبو ثور، وابن المنذر، والجمهور.

قال ابن المنذر: وهو قول أكثر أهل العلم، وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة علىٰ معناه، فمنها هذا الحديث، وحديث قتل كعب بن الأشرف وحديث قتل ابن أبي الحقيق... .اهـ[1]

---

(١) وانظر «فتح الباري» (٦/ ١٣٢)، و«صحيح سنن أبي داود» (٧/ ١٠٠-١٠١)، وحاشية «صفة صلاة النبي ﷺ» (ص٦٦-٦٨)، ومقدمة محمد الغزالي لكتابه «فقه السيرة» (ص١٠-١١).

وَمِنْهُم جُوَيْرِيَةُ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ، وَهِيَ السَّبَبُ فِي عِتْقِ سَبْيِهِمُ (أ)، وَفِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ تَكَلَّمَ ابْنُ سَلُولٍ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَنَزَلَتْ فِيهِ سُورَةُ الْمُنَافِقِيْنَ. (ب)

(أ) قالت عائشة رضي الله عنها: لَمَّا قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَبَايَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ أَوْ لِابْنِ عَمٍّ لَهُ وَكَاتَبَتْهُ عَلَىٰ نَفْسِهَا، وَكَانَتْ امْرَأَةً حُلْوَةً مُلَاحَةً(١) لَا يَرَاهَا أَحَدٌ إِلَّا أَخَذَتْ بِنَفْسِهِ، فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَسْتَعِينُهُ فِي كِتَابَتِهَا، قَالَتْ: فَوَاللَّهِ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا عَلَىٰ بَابِ حُجْرَتِي فَكَرِهْتُهَا وَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَرَىٰ مِنْهَا مَا رَأَيْتُ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ سَيِّدِ قَوْمِهِ وَقَدْ أَصَابَنِي مِنْ الْبَلَاءِ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ فَوَقَعْتُ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ أَوْ لِابْنِ عَمٍّ لَهُ فَكَاتَبْتُهُ عَلَىٰ نَفْسِي فَجِئْتُكَ أَسْتَعِينُكَ عَلَىٰ كِتَابَتِي. قَالَ: «**فَهَلْ لَكِ فِي خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟**» قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**أَقْضِي كِتَابَتَكِ وَأَتَزَوَّجُكِ**»، قَالَتْ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «**قَدْ فَعَلْتُ**»، قَالَتْ: وَخَرَجَ الْخَبَرُ إِلَىٰ النَّاسِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ، فَقَالَ النَّاسُ: أَصْهَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَأَرْسَلُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ قَالَتْ: فَلَقَدْ أَعْتَقَ بِتَزْوِيجِهِ إِيَّاهَا مِائَةَ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، فَمَا أَعْلَمُ امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَىٰ قَوْمِهَا مِنْهَا.(٢)

(ب) قال زيد بن أرقم رضي الله عنه: كُنْتُ فِي غَزَاةٍ فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ، يَقُولُ: لاَ

---

(١) أي: شديدة الملاحة، وهو من أبنية المبالغة. «النهاية» (٢/ ٦٧٦) مادة: مَلَحَ.

(٢) رواه ابن إسحاق كما في «السيرة» لابن هشام (٢/ ٧٩٤-٧٩٥) بإسناد حسن صرح فيه ابن إسحاق بالتحديث، ومن طريقه رواه أحمد (٦/ ٢٧٧).

تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِهِ، وَلَئِنْ رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِهِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ. فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي أَوْ لِعُمَرَ، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَدَعَانِي فَحَدَّثْتُهُ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَىٰ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ وَأَصْحَابِهِ، فَحَلَفُوا مَا قَالُوا، فَكَذَّبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَدَّقَهُ، فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ، فَجَلَسْتُ فِي البَيْتِ، فَقَالَ لِي عَمِّي: مَا أَرَدْتَ إِلَىٰ أَنْ كَذَّبَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَقَتَكَ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [المنافقون:١]، فَبَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقَرَأَ فَقَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ**».(١)

فائدة:

في بعض الروايات أنَّ هذا كان في غزوة تبوك.

قال ابن كثير رحمه الله في "تفسيره" (٤/ ٨): فيه نظر، بل ليس بجيد؛ فإن عبدالله ابن أُبيّ ابن سلول لم يكن ممن خرج في غزوة تبوك، بل رجع بطائفة من الجيش، وإنما المشهور عند أصحاب المغازي والسِّيَر أنَّ ذلك كان في غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق.اهـ

وقال الحافظ رحمه الله في "فتح الباري" (٨/ ٨٣١) تحت حديث رقم (٤٩٠٠): والذي عليه أهل المغازي أنها غزوة بني المصطلق.اهـ

وتحت حديث رقم (٤٩٠٥) رجَّح أن قول من قال: (إنها غزوة تبوك) وَهَمٌ،

(١) رواه البخاري برقم (٤٩٠٠)، ومسلم برقم (٢٧٧٢).

والحديث المشار إليه من حديث جابر رضي الله عنه، قال: كنا في غزاة. ولم يُعَيِّنها، وذكر قول ابن أُبَي: أما والله لئن رجعنا إلىٰ المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

ولكنه عند أحمد (٣/ ٣٩٢-٣٩٣) عيَّن الغزوة وأنها غزوة بني المصطلق، فقال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة يرون أنها غزوة بني المصطلق. وإسناده صحيح.

وَفِيْهَا أيضًا قَضِيَّةُ الإِفْكِ.[أ] ....

[أ] تروي أُمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها هذه القصة قائلة: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا فَخَرَجَ سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَمَا نَزَلَ الحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي، وَأُنْزَلُ فِيهِ، فَسِرْنَا حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَلَ، وَدَنَوْنَا مِنَ المَدِينَةِ قَافِلِينَ، آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّىٰ جَاوَزْتُ الجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَىٰ رَحْلِي، فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعِ[1] ظَفَارِ قَدِ انْقَطَعَ، فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي وَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ.

وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ[2] الَّذِينَ كَانُوا يَرْحَلُونَ لِي، فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَىٰ بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ رَكِبْتُ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا، لَمْ يُثْقِلْهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا تَأْكُلُ العُلْقَةَ[3] مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ القَوْمُ خِفَّةَ الهَوْدَجِ حِينَ رَفَعُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ فَبَعَثُوا الجَمَلَ وَسَارُوا، فَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَمَا اسْتَمَرَّ الجَيْشُ فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ، وَلاَ مُجِيبٌ فَأَمَمْتُ مَنْزِلِي

---

(١) الجزع بالفتح: الخرز اليماني، الواحدة جَزْعه. «النهاية» (١/ ٢٦٣).

(٢) الرهط من الرجال: ما دون العشرة، وقيل: إلىٰ الأربعين. ولا تكون فيهم امرأة. «النهاية» (١/ ٧٠٧) مادة: رَهَطَ.

(٣) أي: تكتفي بالبُلْغَة من الطعام. وينظر «النهاية» (٢/ ٢٤٧) مادة: عَلَقَ.

الَّذِي كُنْتُ بِهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ.

وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ المُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الجَيْشِ، فَأَدْلَجَ[1] فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَىٰ سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَأَتَانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي، وَكَانَ رَآنِي قَبْلَ الحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَوَاللَّهِ، مَا كَلَّمَنِي كَلِمَةً وَلاَ سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، حَتَّىٰ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ عَلَىٰ يَدَيْهَا فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ، حَتَّىٰ أَتَيْنَا الجَيْشَ بَعْدَمَا نَزَلُوا مُوغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّىٰ الإِفْكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ ابْنَ سَلُولَ.

فَقَدِمْنَا المَدِينَةَ، فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْتُ شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَصْحَابِ الإِفْكِ، لاَ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ يَرِيبُنِي فِي وَجَعِي، أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَىٰ مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ: «**كَيْفَ تِيكُمْ؟**» ثُمَّ يَنْصَرِفُ، فَذَاكَ الَّذِي يَرِيبُنِي وَلاَ أَشْعُرُ بِالشَّرِّ حَتَّىٰ خَرَجْتُ بَعْدَمَا نَقَهْتُ، فَخَرَجَتْ مَعِي أُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ المَنَاصِعِ[2]

---

(١) أَدْلَجَ بالتخفيف: إذا سار من أوَّل الليل، وادَّلج بالتشديد: إذا سار من آخره، ومنهم من يجعل الإدلاج لليل كله. "النهاية" (١/ ٥٧٨) مادة: دَلَج.

(٢) المناصع: هي المواضع التي يتخلَّىٰ فيها لقضاء الحاجة، واحدها: منصع؛ لأنه يُبْرَز إليها، ويُظْهَرُ. قال الأزهري: أُراها مواضعَ مخصوصة خارج المدينة. "النهاية" (٢/ ٧٥٠) مادة: نَصَعَ.

وَهُوَ مُتَبَرَّزُنَا، وَكُنَّا لاَ نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَىٰ لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الكُنُفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا، وَأَمْرُنَا أَمْرُ العَرَبِ الأُوَلِ فِي التَّبَرُّزِ قِبَلَ الغَائِطِ، فَكُنَّا نَتَأَذَّىٰ بِالكُنُفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ وَهِيَ ابْنَةُ أَبِي رُهْمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأُمُّهَا بِنْتُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ بَيْتِي، وَقَدْ فَرَغْنَا مِنْ شَأْنِنَا، فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا، فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ، فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا؟ قَالَتْ: أَيْ هَنْتَاهْ[(١)] أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟ قُلْتُ: وَمَا قَالَ؟ فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ، فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَىٰ مَرَضِي.

فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَىٰ بَيْتِي، وَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -تَعْنِي- سَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «كَيْفَ تِيكُمْ؟» فَقُلْتُ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ؟ قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجِئْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لِأُمِّي: يَا أُمَّتَاهْ، مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ قَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِي عَلَيْكِ، فَوَاللَّهِ، لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، وَلَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا كَثَّرْنَ عَلَيْهَا. فَقُلْتُ سُبْحَانَ اللَّهِ! أَوَلَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟ قَالَتْ: فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّىٰ أَصْبَحْتُ لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، حَتَّىٰ أَصْبَحْتُ أَبْكِي.

فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رضي الله عنهما حِينَ اسْتَلْبَثَ

---

(١) أي: يا هذه، وتُفتح النون وتُسكَّن، وتضم الهاء الآخرة وتسكن... «النهاية» (٢/ ٩١٦) مادة: هَنَا.

الوَحْيُ، يَسْتَأْمِرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ مِنَ الوُدِّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَهْلَكَ وَلاَ نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا. وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَإِنْ تَسْأَلِ الجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ. فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرِيرَةَ، فَقَالَ: «**أَيْ بَرِيرَةُ، هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ؟**» قَالَتْ بَرِيرَةُ: لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ[(١)] فَتَأْكُلُهُ. فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَعْذَرَ يَوْمَئِذٍ مِنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَىٰ المِنْبَرِ: «**يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي**[(٢)] **مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي؟ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَىٰ أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَىٰ أَهْلِي إِلَّا مَعِي**» فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ، إِنْ كَانَ مِنَ الأَوْسِ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ. فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الخَزْرَجِ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنِ احْتَمَلَتْهُ الحَمِيَّةُ، فَقَالَ لِسَعْدٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ[(٣)]، لاَ تَقْتُلُهُ، وَلاَ تَقْدِرُ عَلَىٰ قَتْلِهِ. فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَقَالَ

(١) الداجن هي: الشاة التي يَعْلُفُها الناس في منازلهم. «النهاية» (١/ ٥٤٤) مادة: دَجَنَ.

(٢) أي: من يقوم بعذري إنْ كافأته علىٰ سوء صنيعه فلا يلومُني. «النهاية» (٢/ ١٧٣) مادة: عَذَرَ.

(٣) للفائدة انظر رسالة «الإعلان بأنَّ لَعَمْري ليست من الأيمان» للعلامة حماد الأنصاري ﷺ تستفد.

لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ، لَنَقْتُلَنَّهُ؛ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ المُنَافِقِينَ.

فَتَثَاوَرَ الحَيَّانِ الأَوْسُ وَالخَزْرَجُ حَتَّىٰ هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَىٰ المِنْبَرِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّىٰ سَكَتُوا، وَسَكَتَ.

قَالَتْ: فَمَكَثْتُ يَوْمِي ذَلِكَ لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، قَالَتْ: فَأَصْبَحَ أَبَوَايَ عِنْدِي وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا لاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، وَلاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، يَظُنَّانِ أَنَّ البُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي. قَالَتْ: فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي، وَأَنَا أَبْكِي فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَأَذِنْتُ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي، قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَىٰ ذَلِكَ، دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ. قَالَتْ: وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لاَ يُوحَىٰ إِلَيْهِ فِي شَأْنِي، قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ جَلَسَ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ، يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ إِلَىٰ اللَّهِ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ**».

قَالَتْ: فَلَمَّا قَضَىٰ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ(١) دَمْعِي حَتَّىٰ مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، فَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ. قَالَ: وَاللَّهِ، مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. قَالَتْ: مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ

(١) أي: ارتفع وذهب، يقال: قَلَصَ الدَّمْعُ. مُخَفَّفًا، وإذا شُدِّدَ فللمبالغة. "النهاية" (٢/ ٤٨٤) مادة: قَلَصَ.

لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لاَ أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ القُرْآنِ: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَقَدْ سَمِعْتُمْ هَذَا الحَدِيثَ، حَتَّىٰ اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ فَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي بَرِيئَةٌ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لاَ تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنِّي، وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لَكُمْ مَثَلًا إِلَّا قَوْلَ أَبِي يُوسُفَ، قَالَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَىٰ فِرَاشِي، وَأَنَا حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي، وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ مُنْزِلٌ فِي شَأْنِي وَحْيًا يُتْلَىٰ، وَلَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَىٰ، وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَىٰ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا، قَالَتْ: فَوَاللَّهِ، مَا رَامَ(١) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلاَ خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ البَيْتِ حَتَّىٰ أُنْزِلَ عَلَيْهِ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ البُرَحَاءِ(٢)، حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الجُمَانِ مِنَ العَرَقِ، وَهُوَ فِي يَوْمٍ شَاتٍ، مِنْ ثِقَلِ القَوْلِ الَّذِي يُنْزَلُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سُرِّيَ عَنْهُ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَتْ أَوَّلُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا: «**يَا عَائِشَةُ، أَمَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ بَرَّأَكِ**» فَقَالَتْ أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ. قَالَتْ: فَقُلْتُ: لاَ وَاللَّهِ، لاَ أَقُومُ إِلَيْهِ(٣)، وَلاَ أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ

(١) يقال: ما رام مكانه، وما رام من مكانه: ما فارقه. «المعجم الوسيط» (١/ ٣٨٦).

(٢) أي: شدة الكَرْب، مِنْ ثِقَلِ الوحي. «النهاية» (١/ ١٢٠) مادة: بَرَحَ.

(٣) معناه: قالت لها أمها: قومي، فاحمديه وقبلي رأسه، واشكريه لنعمة الله تعالىٰ التي بشركِ. فقالت عائشة رضي الله عنها ما قالت إدلالًا عليه، وعتبًا لكونهم شكُّوا في حالها مع علمهم بحسن طرائقها وجميل أحوالها، وارتفاعها عن هذا الباطل الذي افتراه قوم ظالمون، ولا حجة له ولا شبهة فيه، قالت: =

عَزَّ وَجَلَّ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ﴾[النور:١١] العَشْرَ الآيَاتِ كُلَّهَا.(١)

قال الحافظ رحمه الله في "فتح الباري" (٨/ ٦١٢) -معلقًا علىٰ قول عائشة رضي الله عنها: (العشر الآيات)-: لكن وقع في رواية عطاء الخرساني عن الزهري: فأنزل الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو﴾ إلىٰ قوله: ﴿أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[النور:٢٢]، وعدد الآي إلىٰ هذا الموضع ثلاث عشر آية؛ فلعل في قولها: (العشر الآيات) مجازًا بطريق إلغاء الكسر، وفي رواية الحكم بن عتيبة مرسلا عن الطبري: لما خاض الناس في أمر عائشة فذكر الحديث مختصرا وفي آخره: فأنزل الله تعالىٰ خمس عشرة آية من سورة النور حتىٰ بلغ: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾[النور:٢٦]، وهذا فيه تجوز، وعدة الآي إلىٰ هذا الموضع ست عشرة، وفي مرسل سعيد بن جبير عند بن أبي حاتم والحاكم في "الإكليل": فنزلت ثماني عشرة آية متوالية كذَّبتْ من قذف عائشة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾، وفيه ما فيه أيضًا، وتحرير العدة سبع عشرة.اهـ

= وإنما أحمد ربي سبحانه وتعالىٰ الذي أنزل براءتي وأنعم علي بما لم أكن أتوقعه كما قالت: ولشأني أحقر في نفسي من أن يتكلم الله تعالىٰ فيَّ بأمرٍ يُتلَىٰ. "شرح صحيح مسلم" (١٧/ ١١٢) للنووي.

(١) رواه البخاري برقم (٤٧٥٠)، ومسلم برقم (٢٧٧٠).

وَنَزَلَتْ فِي بَرَاءَةِ عَائِشَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ آيَةً[١] مِنْ سُورَةِ النُّورِ، وَأُقِيمَ الْحَدُّ عَلَىٰ قَذَفَتِهَا (١)، وَعَدَّ بَعْضُهُم الْحُدَيْبِيَّةَ غَزْوَةً؛ لِاعْتِبَارِ آخِرِ أَمْرِهَا وَالْبَيْعَةِ فِيْهَا، وَلَمْ يَعُدَّهَا بَعْضُهُم غَزْوَةً؛ لِأَنَّه ﷺ لَمْ يَخْرُجْ لِقِتَالٍ.

(١) روىٰ البيهقي في "السنن الكبرىٰ" (٨/ ٢٥٠) من طريق محمد بن إسحاق، حدثني عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن عمرة بنت عبدالرحمن بن أسعد ابن زرارة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لما تلا رسول الله ﷺ القصة التي نزل بها عذري علىٰ الناس نزل رسول الله ﷺ فأمر برجلين وامرأة ممن كان باء بالفاحشة في عائشة، فَجُلِدوا الحد، قال: وكان رماها عبدالله بن أُبَيّ، ومسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش، رموها بصفوان ابن المعطل السُّلَمِي.

وهو حديث حسن، وابن إسحاق وإن كان مدلسًا فقد صرَّح؛ فَأَمِنَّا تدليسَه.

حكم من رمى أم المؤمنين بما تقدم بعد براءتها من ذلك:

قال العماد بن كثير رحمه الله في "تفسيره" (١٠/ ١٩٨): وقد أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة علىٰ أن من سبَّها بعد هذا ورماها بما رماها به الذين ذُكِروا؛ فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن، وفي بقية أمهات المؤمنين قولان أصحهما: أنهن كهي. والله أعلم.اهـ

---

(١) ينظر ما نقلته عن الحافظ تعليقًا علىٰ قول عائشة رضي الله عنها: (العشر الآيات كلها)، تقدم قريبًا.

س٥٤/ كَيْفَ صِفَةُ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ؟

ج/ وَقَعَ الصُّلْحُ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ عَلَىٰ وَضْعِ الْحَرْبِ بَيْنَهُم عَشْرَ سِنِيْنَ، وَعَلَىٰ أَنَّ مَنْ أَتَاهُ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ رَدَّهُ إِلَيْهِم [أ]، وَمَنْ أَتَاهُم مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ لَمْ يَرُدُّوهُ، وَأَنَّ مَنْ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ دَخَلَ، وَمَنْ شَاءَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ دَخَلَ، فَدَخَلَتْ خُزَاعَةُ فِي عَقْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَبَنُو بَكْرٍ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ [ب]، وَعَلَىٰ أَنْ يَرْجِعَ مِنْ عَامِهِ ذَلِكَ لَا يَدْخُلُ مَكَّةَ، وَيَعْتَمِرُ مِنْ قَابِلٍ، وَيَخْرُجُونَ عَنْهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ يَخْرُجُ عَنْهُم وَخُتِمَ الْكِتَابُ عَلَىٰ ذَلِكَ..............................

[أ] ومعنىٰ هذا أنه يخلي بينهم وبينه لا أنه يبعثه إليهم؛ لذا قال الإمام الشافعي رحمه الله في "الأم" (٥/ ٤٥٩): وإذا صالح الإمام علىٰ أن يبعث إليهم من جاءه منهم، أو يبعث إليهم بمن كان يقدر علىٰ البعثة منهم ممن لم يأته لم يجز الصلح؛ لأن رسول الله ﷺ لم يبعث إليهم منهم بأحدٍ، ولم يأمر أبا بصير ولا أصحابه بإتيانهم وهو يقدر علىٰ ذلك، وإنما معنىٰ: «**رددناه إليكم**»: لم نمنعه كما نمنع غيره.اهـ

[ب] قوله: (ومن شاء أن يدخل في عقد رسول الله ﷺ...) إلخ. رواه ابن إسحاق كما في "سيرة ابن هشام" (٣/ ٣٠٨) بإسناد حسن، ورواه من طريق ابن إسحاق أحمد (٥/ ٣٢٥).

وَنَزَلَتْ فِيْهِ سُورَةُ الْفَتْحِ بِكَمَالِهَا ، فَكَانَ ذَلِكَ الصُّلْحُ فَتْحًا قَرِيْبًا.

قَالَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْف: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ[(١)]، وَلَوْ نَرَىٰ قِتَالًا لَقَاتَلْنَا، فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَسْنَا عَلَىٰ الحَقِّ وَهُمْ عَلَىٰ البَاطِلِ؟ فَقَالَ: «**بَلَىٰ**». فَقَالَ: أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: «**بَلَىٰ**»، قَالَ: فَعَلَامَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا؟ أَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: «**يَا ابْنَ الخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا**»، فَانْطَلَقَ عُمَرُ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا. فَنَزَلَتْ سُورَةُ الفَتْحِ فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَىٰ عُمَرَ إِلَىٰ آخِرِهَا، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَفَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**».[(٢)]

---

(١) الحديبية: قرية متوسطة ليست بالكبيرة، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها، وقال الخطابي في "أماليه": سميت الحديبية بشجرة حدباء كانت في ذلك الموضع.
قال البلادي: تعرف اليوم بالشميسي، وهي غرب مكة خارجة عن حدود الحرم بينها وبين المسجد الحرام قرابة اثنين وعشرين كيلًا. "معجم معالم الحجاز" (٢/ ٤٢٥).

(٢) رواه البخاري برقم (٣١٨٢)، ومسلم برقم (١٧٨٥).
وانظر "أسباب النزول" لشيخنا الوادعي رحمه الله (ص٢١٠-٢٢٤).

س٥٥/ مَاذَا أُنْزِلَ فِي نَسْخِ بَعْضِ الآيَاتَ؟

ج/ نَزَلَتْ فِي الْمُهَاجِرَاتِ مِنَ النِّسَاءِ الْمُؤْمِنَاتِ آيَاتُ الْإِمْتِحَانِ [1]، وَأَنَّهُ إِذَا عُلِمَ إِيْمَانُهُنَّ لَا يَحِلُّ إِرْجَاعُهُنَّ إِلَىٰ الْمُشْرِكِيْنَ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُم، وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ..

[1] وهي قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[الممتحنة: ١٠].

وسبب نزولها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا كَاتَبَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو يَوْمَئِذٍ كَانَ فِيمَا اشْتَرَطَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ لا يَأْتِيك مِنَّا أَحَدٌ وَإِنْ كَانَ عَلَىٰ دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا، وَخَلَّيْتَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ. فَكَرِهَ الْمُؤْمِنُونَ ذَلِكَ وَامْتَعَضُوا مِنْهُ وَأَبَىٰ سُهَيْلٌ إِلَّا ذَلِكَ، فَكَاتَبَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَرَدَّ يَوْمَئِذٍ أَبَا جَنْدَلٍ إِلَىٰ أَبِيهِ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، وَلَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ مِنَ الرِّجَالِ إِلَّا رَدَّهُ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ، وَإِنْ كَانَ مُسْلِمًا، وَجَاءَتِ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ، وَكَانَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ مِمَّنْ خَرَجَ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ، وَهِيَ عَاتِقٌ(١)، فَجَاءَ أَهْلُهَا يَسْأَلُونَ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يُرْجِعَهَا إِلَيْهِمْ، فَلَمْ يُرْجِعْهَا إِلَيْهِمْ، لِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِنَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ

(١) العاتق هي: الشابة أول ما تدرك. وقيل: هي التي لم تَبِنْ من والديها، ولم تُزَوَّج وقد أدركت وشبَّت. وتُجمعُ علىٰ: العُتَّق، والعواتق. "النهاية" (٢/ ١٥٧) مادة:: عَتَق.

فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠].(١)

فائدة:

قال ابن الجوزي رحمه الله في "كشف المشكل من حديث الصحيحين" (٤/ ٥٨): والمشهور أن هذه الآية نزلت في أم كلثوم، وقد روي عن ابن عباس أنها في سبيعة بنت الحارث. وقيل: في أميمة بنت بشر. قال الماوردي: وقد اختلف العلماء هل دخل رد النساء في عقد الهدنة لفظًا أو عمومًا؟

فقالت طائفة: كان شرط ردهن في عقد الهدنة لفظًا صريحًا، فنسخ الله تعالىٰ ردهن من العقد ومنع منه وأبقاه في الرجال علىٰ ما كان، وهذا يدل علىٰ أن للنبي ﷺ أن يجتهد برأيه في الأحكام، ولكن الله عزوجل لا يقره علىٰ خطأ.

وقالت طائفة: لم يشرط ردهن في العقد لفظًا صريحًا وإنما أطلق العقد، فكان ظاهر العموم اشتماله عليهن مع الرجال؛ لأنهم قالوا: لا يأتيك منا أحد. فبين الله عز وجل خروجهن من عموم اللفظ وفرق بينهن وبين الرجال لأمرين:

أحدهما: أنهن ذوات فروج، فحرمن عليهم. والثاني: أنهن أرق قلوبا وأسرع تقلبًا، فأما المقيمة علىٰ شركها فمردودة عليهم.اهـ

(١) رواه البخاري برقم (٢٧١١).

وَتَرَكَتْ قُرَيْشٌ مِنْ شَرْطِهَا: أَنْ لَا يُرَدَّ مَنْ هَاجَرَ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ؛ لِاجْتِمَاعِهِم بِطَرِيْقِ غَيْرِهِم، وَقَطْعِ الطَّرِيْقِ عَلَيْهِم لَمَّا رَدَّهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ. (أ)

(أ) بَعْدَمَا صَالَحَ النَّبِيُّ ﷺ، وَتَمَّ الْعَقْدُ، وَرَجَعَ إِلَىٰ الْمَدِيْنَةِ جَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَهُوَ مُسْلِمٌ، فَأَرْسَلُوا فِي طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ، فَقَالُوا: العَهْدَ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا. فَدَفَعَهُ إِلَىٰ الرَّجُلَيْنِ، فَخَرَجَا بِهِ حَتَّىٰ بَلَغَا ذَا الحُلَيْفَةِ، فَنَزَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمْرٍ لَهُمْ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ: وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَرَىٰ سَيْفَكَ هَذَا يَا فُلَانُ جَيِّدًا. فَاسْتَلَّهُ الآخَرُ، فَقَالَ: أَجَلْ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَجَيِّدٌ، لَقَدْ جَرَّبْتُ بِهِ، ثُمَّ جَرَّبْتُ. فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ: أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْهِ. فَأَمْكَنَهُ مِنْهُ، فَضَرَبَهُ حَتَّىٰ بَرَدَ، وَفَرَّ الآخَرُ حَتَّىٰ أَتَىٰ المَدِينَةَ، فَدَخَلَ المَسْجِدَ يَعْدُو، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَآهُ: «**لَقَدْ رَأَىٰ هَذَا ذُعْرًا**» فَلَمَّا انْتَهَىٰ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قُتِلَ وَاللَّهِ صَاحِبِي وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ. فَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَدْ وَاللَّهِ أَوْفَىٰ اللَّهُ ذِمَّتَكَ، قَدْ رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ، ثُمَّ أَنْجَانِي اللَّهُ مِنْهُمْ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَيْلُ أُمِّهِ، مِسْعَرَ حَرْبٍ، لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ**» فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّىٰ أَتَىٰ سِيفَ البَحْرِ. قَالَ: وَيَنْفَلِتُ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلِ[1] بْنُ سُهَيْلٍ، فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، فَجَعَلَ لَا يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، حَتَّىٰ اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ، فَوَاللَّهِ، مَا يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إِلَىٰ الشَّأْمِ إِلَّا اعْتَرَضُوا لَهَا، فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ، فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ تُنَاشِدُهُ

(١) لأن النبي ﷺ كان قد ردَّه لأبيه سهيل بن عمرو في الحديبية كما تقدم في التعليق علىٰ الجواب رقم (٥٢).

بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ: لَمَّا(١) أَرْسَلَ، فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤] حَتَّىٰ بَلَغَ ﴿ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦].(٢)

مسألة في الهدنة مع الكفار:

قال ابن قدامة رحمه الله في "المغني" (١٣/ ١٦١-١٦٢): والشروط في عقد الهدنة تنقسم قسمين:

صحيح: مثل أنْ يشترط عليهم مالًا، أو معونة المسلمين عند حاجتهم إليهم، أو يشترط لهم أن يرد من جاءه من الرجال مسلما أو بأمان، فهذا يصح، وقال أصحاب الشافعي: لا يصح شرط رد المسلم إلا أن يكون له عشيرة تحميه وتمنعه.

ولنا أن النبي ﷺ شرط ذلك في صلح الحديبية ووفىٰ لهم به فرد أبا جندل وأبا بصير ولم يخص بالشرط ذا العشيرة؛ ولأن ذا العشيرة إذا كانت عشيرته هي التي تفتنه وتؤذيه فهو كمن لا عشيرة له، لكن لا يجوز هذا الشرط إلا عند شدة الحاجة إليه وتَعَيُّن المصلحة فيه، ومتىٰ شرط لهم ذلك لزم الوفاء به، بمعنىٰ: أنهم إذا

---

(١) كلمة (لمَّا) بتشديد الميم هنا بمعنىٰ: (إلَّا)، أي: إلَّا أرسل، كقوله تعالىٰ: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤]، أي: إلَّا عليها حافظ. "عمدة القاري" (١٤/ ٢١) للعيني.

(٢) قطعة من حديث طويل رواه البخاري برقم (٢٧٣١)، وتقدم أكثره تعليقًا علىٰ الجواب رقم (٥٢).

جاءوا في طلبه لم يمنعهم[١] أخذه ولا يجبره الإمام علىٰ المضي معهم، وله أن يأمره سرًّا بالهرب منهم ومقاتلتهم؛ فإن أبا بصير لمَّا جاء النبي ﷺ وجاء الكفار في طلبه قال له النبي: «**إنَّا لا يصلح في ديننا الغدر، وقد علمت ما عاهدناهم عليه، ولعل الله أن يجعل لك فرجًا ومخرجًا**».[٢]

فلما رجع مع الرجلين قتل أحدهما في طريقه ثم رجع إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، قد أوفىٰ الله ذمتك قد رددتني اليهم فأنجاني الله منهم. فلم ينكر عليه النبي ﷺ ولم يلمه بل قال: «**ويل أُمِّه، مسعر حرب لو كان معه رجال**»، فلما سمع ذلك أبو بصير لحق بساحل البحر وانحاز إليه أبو جندل بن سهيل ومن معه من المستضعفين بمكة فجعلوا لا تمر عليهم عِيْرٌ[٣] لقريش إلا عرضوا لها فأخذوها وقتلوا من معها...، فيجوز حينئذ لمن أسلم من الكفار أن يتحيزوا ناحية ويقتلون من قدروا عليه من الكفار ويأخذون أموالهم ولا يدخلون في الصلح وإن ضمهم الإمام إليه بإذن الكفار دخلوا في الصلح وحرم عليهم قتل الكفار وأموالهم.

الثاني: شرطٌ فاسدٌ مثل أن يشترط رد النساء أو مهورهن، أو رد سلاحهم، أو إعطاءهم شيئا من سلاحنا من آلات الحرب، أو يشترط لهم مالا في موضع لا يجوز بذله، أو يشترط نقضها متىٰ شاءوا، أو أنَّ لكل طائفة منهم نقضها، أو

(١) وتقدم هذا القول قريبًا عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) رواه أبو نعيم في "معرفة الصحابة" (١/ ٤٩٤)، وأحمد (٤/ ٣٢٥)، وهو حديث حسن.

(٣) الْعِيْر: الإبل بأحمالها، وانظر "النهاية" (٢/ ٢٧٨-٢٧٩) مادة: عير.

يشترط رد الصبيان أو رد الرجال مع عدم الحاجة إليه، فهذه كلها شروط فاسدة لا يجوز الوفاء بها... .اهـ

فائدة:

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في "فتح الباري" (٥/ ٤٤١): ولا يعد ما وقع من أبي بصير غدرًا؛ لأنه لم يكن في جملة من دخل في المعاقدة التي بين النبي ﷺ وبين قريش؛ لأنه إذ ذاك كان محبوسًا بمكة، لكنه لما خشي أن المشرك يعيده إلىٰ المشركين درأ عن نفسه بقتله ودافع عن دينه بذلك ولم ينكر النبي ﷺ قوله ذلك.

وفيه: أن من فعل مثل فعل أبي بصير لم يكن عليه قود ولا دية.

وفيه: أنه كان لا يرد علىٰ المشركين من جاء منهم الا بطلب منهم؛ لأنهم لما طلبوا أبا بصير أول مرة أسلمه لهم ولما حضر إليه ثانيًا لم يرسله لهم.

وفيه: أنَّ شرط الرد أن يكون الذي حضر من دار الشرك باقيًا في بلد الإمام ولا يتناول من لم يكن تحت يد الإمام ولا متحيزًا إليه... .اهـ

س٥٦/ مَاذَا وَقَعَ فِيْهَا مِنَ السَّرَايَا؟

ج/ فِيْهَا سَرِيَّةُ أَبِي عُبَيْدَةَ إِلَىٰ ذِي الْقَصَةِ. ﴿١﴾ ....

﴿١﴾ في شهر ربيع الآخر، قالوا: أجدبت بلاد بني ثعلبة وأنمار، ووقعت سحابة بالمِرَاض[(١)] إلىٰ تغلمين، والمِرَاض علىٰ ستة وثلاثين ميلًا من المدينة، فسارت بنو محارب، وثعلبة، وأنمار إلىٰ تلك السحابة، وأجمعوا أن يُغِيروا علىٰ سرح المدينة وهو يرعىٰ بهيفا -موضع علىٰ سبعة أميال من المدينة- فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في أربعين رجلًا من المسلمين حين صلوا المغرب، فمشوا إليهم حتىٰ وافوا ذا القصة مع عماية[(٢)] الصبح، فأغاروا عليهم، فأعجزوهم هربًا في الجبال، وأصاب رجلًا واحدًا، فأسلم وتركه، فأخذ نَعَمًا من نعمهم فاستاقه ورثَّةً[(٣)] من متاعهم، وقدم بذلك المدينة، فخَمَّسَه رسول الله ﷺ، وقَسَمَ ما بقي عليهم.[(٤)]

قَسَمَهُ عليهم بعد إخراج الخمس؛ لأن الله تعالىٰ قال: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ الآية [الأنفال:٤١].

---

(١) ينظر "معجم معالم الحجاز" (٨/ ١٥٤٤) للبلادي.
(٢) العماية هي: بقية ظلمة الليل. "النهاية" (٢/ ٢٦٠).
(٣) الرثة هي: متاع البيت الدون. "النهاية" (١/ ٦٣٤).
(٤) "الطبقات" (٢/ ٨٢) بدون سند، وانظر "أنساب الأشراف" (١/ ٤٥٥)، و"المواهب اللدنية" (١/ ٤٧٦).

ففي الآية دليلٌ علىٰ أن الغنيمة إذا أُخرج منها الخُمُس تُقسم علىٰ الغانمين؛ لأنه أضاف الغنيمة إليهم، وأخرج منها خُمُسُها؛ فدل علىٰ أن الباقي لهم يقسم علىٰ ما قسمه رسول الله ﷺ: للراجل سهمٌ، وللفارس سهمان: لفرسه، وسهم له.

وأما هذا الخمس، فيقسم خمسة أسهم: سهم للّهِ ولرسوله، يصرف في مصالح المسلمين العامة، من غير تعيين لمصلحة؛ لأن اللّه جعله له ولرسوله، واللّهُ ورسوله غنيان عنه، فعلم أنه لعباد اللّهِ، فإذا لم يعين اللّه له مصرفا، دل علىٰ أن مصرفه للمصالح العامة.

والخمس الثاني: لذي القربىٰ، وهم قرابة النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب، وأضافه اللّه إلىٰ القرابة دليلا علىٰ أن العلة فيه مجرد القرابة، فيستوي فيه غنيهم وفقيرهم، ذكرهم وأنثاهم.

والخمس الثالث: لليتامىٰ، وهم الذين فقدت آباؤهم وهم صغار، جعل اللّه لهم خمس الخمس رحمة بهم، حيث كانوا عاجزين عن القيام بمصالحهم، وقد فقد من يقوم بمصالحهم.

والخمس الرابع: للمساكين، أي: المحتاجين الفقراء من صغار وكبار، ذكور وإناث.

والخمس الخامس: لابن السبيل، وهو الغريب المنقطع به في غير بلده، وبعض المفسرين يقول: إن خمس الغنيمة لا يخرج عن هذه الأصناف، ولا يلزم أن يكونوا فيه علىٰ السواء، بل ذلك تبعٌ للمصلحة، وهذا هو الأولىٰ. "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" (ص٣٢١-٣٢٢) لابن سعدي.

وَسَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ إِلَىٰ بَنِي سُلَيْمٍ (أ)، وَسَرِيَّتُهُ فِي جُمَادَىٰ الْأُوْلَىٰ إِلَىٰ بَنِي ثَعْلَبَةَ. (ب)

(أ) في شهر ربيع الآخر بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلىٰ بني سُليم، فسار حتىٰ ورد الجَمُوم ناحية بطن نخل عن يسارها -وبطن نخل من المدينة علىٰ أربعة بُرد- فأصابوا عليه امرأة من مزينة يقال لها: حليمة، فدلتهم علىٰ محلَّة من محالِّ بني سُليم، فأصابوا في تلك المحلة نعمًا وشاءً، وأسرىٰ، فكان فيهم زوج حليمة المزنية، فلما قفل زيد بن حارثة بما أصاب، وَهَبَ رسول الله ﷺ للمزنية نفسها وزوجها، فقال بلال ابن الحارث في ذلك شعرًا:

لَعَمْرُكَ مَا أَخْنَىٰ الْمَسْولُ وَلَا وَنَتْ ... حَلِيْمَــةُ حَتَّىٰ رَاحَ رَكْبُهُمَـا مَعـا[(١)]

(ب) الذي وقفت عليه من السرايا إلىٰ بني ثعلبة لزيد بن حارثة سرية ذي القصة المتقدم ذكرها، وكانت في شهر ربيع الآخر.

وسرية أخرىٰ إلىٰ الطرف خرج إلىٰ بني ثعلبة في خمسة عشر رجلًا، فأصاب نَعَمًا، وشاءً، وهربت الأعراب، وصبح زيد بالنعم المدينة وهي عشرون بعيرًا، ولم يلق كيدًا.[(٢)]

لكن كانت هذه السرية في جمادىٰ الآخرة، ولم تكن في الأُولىٰ.[(٣)]

---

(١) "الطبقات" (٢/ ٨٣) بدون سند.

(٢) "الطبقات" (٢/ ٨٤) بدون سند، "أنساب الأشراف" (١/ ٤٥٥)، "المواهب اللدنية" (١/ ٤٧٨).

(٣) ينظر المصادر السابقة.

وَسَرِيَّتُهُ أَيْضًا فِي هَذَا الشَّهْرِ لِعِيرِ أَبِي الْعَاصِ ⓘ، وَأَجَارَهُ النَّبِيُّ ﷺ لِزَوْجَتِهِ زَيْنَبَ بِنْتِ النَّبِيِّ ﷺ، وَرَدَّهُ مَعَ تِجَارَتِهِ. وَفِيْهَا سَرِيَّةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ لِدُوْمَةِ الْجَنْدَلِ[١] [وَأَسْلَمُوا، وَفِيْهَا حَدِيْثُ الْعُرَنِيِّينَ الَّذِيْنَ حَارَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَقَتَلُوا رَاعِيَ النَّبِيِّ ﷺ، وَاسْتَاقُوا الْإِبِلَ، فَأُدْرِكُوا فَصُلِبُوا وَقُتِلُوا، وَقُطِّعَتْ أَيْدِيْهِم وَأَرْجُلُهُم مِنْ خِلَافٍ، وسُمِلَتْ أَعْيُنُهُم].[٢]

ⓘ كانت هذه السرية إلىٰ العِيْص[٣]، وبينها وبين المدينة أربع ليال، بلغ النبي ﷺ أنَّ عِيرًا لقريش قد أقبلت من الشام، فبعث زيد بن حارثة في سبعين ومائة راكب يتعرَّض لها، فأخذوها وما فيها، وأخذوا يومئذٍ فضةً كثيرةً لصفوان بن أُميَّة، وأسروا ناسًا ممن كان في العِيْرِ منهم: أبو العاص بن الربيع، وقدم بهم المدينة، فاستجار أبو العاص بزينب بنت رسول الله ﷺ، فأجارته ونادت في الناس حين صلىٰ رسول الله ﷺ الفجر: إنِّي قد أجرت العاص. فقال رسول الله ﷺ: «**وما علمت بشيءٍ من هذا، وقد أجرنا من أجرتِ**»، وردَّ عليه ما أخذ منه.[٤]

---

(١) "السيرة" لابن إسحاق (ص٦٩٣)، و"الطبقات" (٢/ ٨٥).

(٢) انظر "صحيح البخاري" برقم (٢٣٣)، و"صحيح مسلم" برقم (١٦٧١).
وما بين المعقوفتين ليست في المخطوط المصور عن مخطوط مكتبة صامطة السلفية، وإنما هو موجود في نسخة شيخنا الفيفي، وكلاهما بخطه إلا أنه خطَّها مرة أخرىٰ، وترتيب التي عنده يختلف عن الأول من حيث الخط.

(٣) ينظر "معجم معالم الحجاز" (٦/ ١٢٢٤) للبلادي.

(٤) "الطبقات" (٢/ ٨٣) بدون سند، "أنساب الأشراف" (١/ ٤٥٥)، "البداية والنهاية" (٣/ ٣٣٣-٣٣٤)، "الروض الأُنف" (٣/ ٦٩).

س٥٧/ كَمْ كَتَبَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ إِلَى المُلُوكِ؟

ج/ بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ دِحْيَةَ بْنَ خَلِيْفَةَ إِلَىٰ قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ.(أ)

(أ) كَتَبَ النَّبِيُّ ﷺ كتابًا إِلَىٰ قَيْصَرَ يَدْعُوهُ إِلَىٰ الإِسْلاَمِ، وَبَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَيْهِ مَعَ دِحْيَةَ الكَلْبِيِّ، وَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَىٰ عَظِيمِ بُصْرَىٰ لِيَدْفَعَهُ إِلَىٰ قَيْصَرَ، وَكَانَ قَيْصَرُ لَمَّا كَشَفَ اللَّهُ عَنْهُ جُنُودَ فَارِسَ، مَشَىٰ مِنْ حِمْصَ إِلَىٰ إِيلِيَاءَ شُكْرًا لِمَا أَبْلاَهُ اللَّهُ، فَلَمَّا جَاءَ قَيْصَرَ كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ حِينَ قَرَأَهُ: التَمِسُوا لِي هَا هُنَا أَحَدًا مِنْ قَوْمِهِ؛ لِأَسْأَلَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وكان بالشام رجال من قريش قدموا تجارًا في المدة التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين كفار قريش.

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ –وهو الذي يروي هذه القصة–: فَوَجَدَنَا رَسُولُ قَيْصَرَ بِبَعْضِ الشَّأْمِ، فَانْطُلِقَ بِي وَبِأَصْحَابِي، حَتَّىٰ قَدِمْنَا إِيلِيَاءَ، فَأُدْخِلْنَا عَلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ فِي مَجْلِسِ مُلْكِهِ، وَعَلَيْهِ التَّاجُ، وَإِذَا حَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ، فَقَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: سَلْهُمْ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا إِلَىٰ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ: أَنَا أَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ نَسَبًا. قَالَ: مَا قَرَابَةُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ؟ فَقُلْتُ: هُوَ ابْنُ عَمِّي، وَلَيْسَ فِي الرَّكْبِ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ غَيْرِي. فَقَالَ قَيْصَرُ: أَدْنُوهُ. وَأَمَرَ بِأَصْحَابِي، فَجُعِلُوا خَلْفَ ظَهْرِي عِنْدَ كَتِفِي، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لِأَصْحَابِهِ: إِنِّي سَائِلٌ هَذَا الرَّجُلَ عَنِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؛ فَإِنْ كَذَبَ فَكَذِّبُوهُ. قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: وَاللَّهِ، لَوْلاَ الحَيَاءُ يَوْمَئِذٍ، مِنْ أَنْ يَأْثُرَ أَصْحَابِي عَنِّي الكَذِبَ،

لَكَذَبْتُهُ حِينَ سَأَلَنِي عَنْهُ، وَلَكِنِّي اسْتَحْيَيْتُ أَنْ يَأْثُرُوا الكَذِبَ عَنِّي، فَصَدَقْتُهُ.

ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُ كَيْفَ نَسَبُ هَذَا الرَّجُلِ فِيكُمْ؟ قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ. قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا القَوْلَ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَبْلَهُ؟ قُلْتُ: لَا. فَقَالَ: كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ عَلَىٰ الكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ قُلْتُ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ. قَالَ: فَيَزِيدُونَ أَوْ يَنْقُصُونَ؟ قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ. قَالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قُلْتُ: لَا.

قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ: لَا، وَنَحْنُ الآنَ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ، نَحْنُ نَخَافُ أَنْ يَغْدِرَ. قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: وَلَمْ يُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا أَنْتَقِصُهُ بِهِ، لَا أَخَافُ أَنْ تُؤْثَرَ عَنِّي غَيْرُهَا.

قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ أَوْ قَاتَلَكُمْ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَيْفَ كَانَتْ حَرْبُهُ وَحَرْبُكُمْ؟ قُلْتُ: كَانَتْ دُوَلًا وَسِجَالًا، يُدَالُ عَلَيْنَا المَرَّةَ، وَنُدَالُ عَلَيْهِ الأُخْرَىٰ. قَالَ: فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ؟ قَالَ: يَأْمُرُنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَانَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ، وَالصَّدَقَةِ، وَالعَفَافِ، وَالوَفَاءِ بِالعَهْدِ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ.

فَقَالَ لِتَرْجُمَانِهِ حِينَ قُلْتُ ذَلِكَ لَهُ: قُلْ لَهُ: إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فِيكُمْ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ ذُو نَسَبٍ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا القَوْلَ قَبْلَهُ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا. فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَالَ هَذَا

القَوْلَ قَبْلَهُ، قُلْتُ رَجُلٌ يَأْتَمُّ بِقَوْلٍ قَدْ قِيلَ قَبْلَهُ. وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا. فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ الكَذِبَ عَلَىٰ النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَىٰ اللَّهِ. وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا. فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مَلِكٌ، قُلْتُ: يَطْلُبُ مُلْكَ آبَائِهِ. وَسَأَلْتُكَ: أَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمُ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَزِيدُونَ أَوْ يَنْقُصُونَ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حَتَّىٰ يَتِمَّ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا، فَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حِينَ تَخْلِطُ بَشَاشَتُهُ القُلُوبَ، لاَ يَسْخَطُهُ أَحَدٌ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَغْدِرُ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا. وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لاَ يَغْدِرُونَ. وَسَأَلْتُكَ: هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ وَقَاتَلَكُمْ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ قَدْ فَعَلَ، وَأَنَّ حَرْبَكُمْ وَحَرْبَهُ تَكُونُ دُوَلًا، وَيُدَالُ عَلَيْكُمُ المَرَّةَ وَتُدَالُونَ عَلَيْهِ الأُخْرَىٰ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَىٰ وَتَكُونُ لَهَا العَاقِبَةُ، وَسَأَلْتُكَ: بِمَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَاكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلاَةِ، وَالصَّدَقَةِ، وَالعَفَافِ، وَالوَفَاءِ بِالعَهْدِ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ.

قَالَ: وَهَذِهِ صِفَةُ النَّبِيِّ، قَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، وَلَكِنْ لَمْ أَظُنَّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، وَإِنْ يَكُ مَا قُلْتَ حَقًّا، فَيُوشِكُ أَنْ يَمْلِكَ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَلَوْ أَرْجُو أَنْ أَخْلُصَ إِلَيْهِ، لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ قَدَمَيْهِ.

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُرِئَ، فَإِذَا فِيهِ: «**بِسْمِ اللَّهِ**

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، إِلَىٰ هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلاَمٌ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الهُدَىٰ، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ؛ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ، فَعَلَيْكَ إِثْمُ الأَرِيسِيِّينَ[(١)] وَ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران: ٦٤]».

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَلَمَّا أَنْ قَضَىٰ مَقَالَتَهُ، عَلَتْ أَصْوَاتُ الَّذِينَ حَوْلَهُ مِنْ عُظَمَاءِ الرُّومِ، وَكَثُرَ لَغَطُهُمْ، فَلاَ أَدْرِي مَاذَا قَالُوا، وَأُمِرَ بِنَا، فَأُخْرِجْنَا، فَلَمَّا أَنْ خَرَجْتُ مَعَ أَصْحَابِي، وَخَلَوْتُ بِهِمْ قُلْتُ لَهُمْ: لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ[(٢)] ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ، هَذَا مَلِكُ بَنِي الأَصْفَرِ[(٣)] يَخَافُهُ.

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: وَاللَّهِ مَا زِلْتُ ذَلِيلًا مُسْتَيْقِنًا بِأَنَّ أَمْرَهُ سَيَظْهَرُ، حَتَّىٰ أَدْخَلَ اللَّهُ قَلْبِي الإِسْلاَمَ وَأَنَا كَارِهٌ.[(٤)]

(١) هم الخدم والخَوَل، يعني لصدِّه إياهم عن الدِّين كما قال تعالىٰ: ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾، أي: عليك مثل إثمهم. "النهاية" (١/ ٥٢) مادة: أَرَس.

(٢) أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كبشة، أي: كَثُر وارتفع شأنه. يعني النبي ﷺ. "النهاية" (١/ ٧٥).

(٣) وبنو الأصفر هم الروم؛ لأن أباهم الأوَّل كان أصفر اللون. "النهاية" (٢/ ٣٧) مادة: صَفَرَ.

(٤) رواه البخاري برقم (٢٩٤١)، ومسلم برقم (١٧٧٣).

وَعَبْدَاللهِ بْنَ حُذَافَةَ السَّهْمِيّ إِلَىٰ كِسْرَىٰ مَلِكِ فَارِسٍ. (أ) ....

(أ) يَقُولُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: بَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَىٰ كِسْرَىٰ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَىٰ عَظِيمِ البَحْرَيْنِ[1]، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ البَحْرَيْنِ إِلَىٰ كِسْرَىٰ، فَلَمَّا قَرَأَهُ مَزَّقَهُ، قَالَ الزُّهْرِيُّ: فَحَسِبْتُ أَنَّ ابْنَ المُسَيِّبِ، قَالَ: فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ.[2]

وأما نصُّ رسالته ﷺ فرواها الطبري في "تاريخه" كما يلي: «**بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلىٰ كسرىٰ عظيم فارس، سلامٌ علىٰ من اتبع الهدىٰ، وآمن بالله ورسوله، وشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، وأدعوك بدعاء الله؛ فإني أنا رسول الله إلىٰ الناس كافة؛ لِأُنْذِر من كان حيًّا، ويحق القول علىٰ الكافرين، فأسلم تسلم؛ فإن أبيت فإنَّ إثم المجوس عليك**».[3]

وهو مرسل صحيح عن يزيد بن أبي حبيب، وورد عند أبي عبيد في "الأموال" (ص٢٣) مرسلًا عن سعيد بن المسيب كما ذكر العلامة الألباني رحمه الله في تعليقه علىٰ "فقه السيرة" (ص٣٥٨)، وبمجموع الطريقين حسنه.

(١) هو المنذر بن ساوىٰ، ذكر ذلك الزرقاني في "شرح المواهب" (٣/ ٣٤١)، والحافظ في "فتح الباري" (٨/ ١٦٠).

(٢) رواه البخاري برقم (٤٤٢٤).

(٣) "تاريخ الطبري" (٢/ ٦٥٤-٦٥٥).

وَعَمْرَو بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيّ إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ. (١) ....

(١) لقب النجاشي يطلق علىٰ كلِّ من ملك الحبشة كما قال النووي[١] رَحِمَهُ اللهُ، وإذا كان الأمر كذلك فهل النجاشي الذي أرسل إليه النبي ﷺ هو النجاشي الذي صلىٰ عليه؟

الأدلة تدل علىٰ أنه غيره؛ فقد جاء في "صحيح مسلم" برقم (١٧٧٤) عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن نبي الله ﷺ كتب إلىٰ كسرىٰ، وإلىٰ قيصر، وإلىٰ النجاشي، وإلىٰ كلِّ جبار، يدعوهم إلىٰ الله تعالىٰ، وليس بالنجاشي الذي صلىٰ عليه النبي ﷺ.

وإلىٰ هذا مال أبو محمد بن حزم رَحِمَهُ اللهُ في "جوامع السيرة" (ص٢٥)، قال: والنجاشي وهو غير الذي هاجر إليه أصحاب رسول الله ﷺ مات ذلك رضوان الله عليه مسلمًا.اهـ

ومال إليه ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في "زاد المعاد" (١/ ١٢٠)، فقال رَحِمَهُ اللهُ: والظاهر قول ابن حزم.اهـ

واستظهره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ في جوابه عن السؤال رقم (٧٠) كما سيأتي.

وممن رجح هذا من مشايخنا: العلامة ربيع المدخلي حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، فعندما مر بنا الحديث السابق أثناء قراءتنا عليه في "صحيح مسلم" قال: وهذا الكتاب بعد وفاة النجاشي.اهـ

---

(١) "شرح صحيح مسلم" (١٢/ ١٣).

وَحَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَىٰ الْمُقَوْقِسِ مَلِكِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، وَعَمْرَو بْنَ الْعَاصِ إِلَىٰ جَيْفَر وَعَبْدٍ[١] ابْنَي الْجُلَنْدِي الأَزْدِيَّيْنِ(٢) مَلِكَي[٣] عُمَانَ.........................

ولم تثبت، وفيها: أنَّ المقوقس لم يسلم، وأهدىٰ للنبي ﷺ ماريه وأختها سيرين، وقيسرىٰ، فتسرىٰ بمارية القبطية وهي أمُّ ولده إبراهيم، ووهب سيرين لحسان بن ثابت، وهي أم ولده عبد الرحمن، وأهداه ألف مثقال ذهب وبغلة اسمها دُلْدُل، وجارية سوداء اسمها بريرة، وغلامًا خصيًّا اسمه مأبور، وحمارًا أشهب يقال له: يعفور... إلىٰ آخر ما ذكر في القصة.(٤)

فائدة:

- كان قديمًا من ملك اليمن يقال له: تُبَّع.
- ومن ملك الفُرْس: كسرىٰ.
- ومن ملك مصر: فرعون.
- ومن ملك الحبشة: النجاشي.
- ومن ملك الروم: قيصر.

وغير ذلك من أعلام الأجناس، وانظر تفسير سورة الدخان من "تفسير ابن كثير".

---

[١] في المخطوط: [عباد]، والتصويب من كتب السِّير.

(٢) انظر "الطبقات" (١/ ٢٦٢-٢٦٣)، و"الروض الأُنُف" (٤/ ٢٥٠)، و"إعلام السائلين" لابن طولون (ص٩٢-٩٦).

[٣] في المخطوط: [ملك]، والتصويب من كتب السِّير، وقد جاء علىٰ الصواب في الجواب عن السؤال رقم (٧٠) كما سيأتي.

(٤) انظر "الطبقات" (١/ ١١١)، "سيرة ابن هشام" (١/ ٢٤٧)، "إعلام السائلين" (ص٧٧/ ٨١)، "الاكتفاء" (٢/ ٣٩٣).

وَسَلِيْطَ بْنَ عَمْرٍو إِلَىٰ ثُمَامَةَ بْنِ أُثَالٍ، وَهَوْذَةَ بْنَ عَلِيٍّ الْحَنَفِيَّيْنِ مَلِكَي الْيَمَامَةِ، وَالْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ إِلَىٰ الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَىٰ الْعَبْدِيِّ مَلِكِ الْبَحْرَيْنِ(١)، وَشُجَاعَ بْنَ وَهْبٍ الْأَسَدِيِّ إِلَىٰ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شِمْرٍ الْغَسَّانِيِّ مَلِكٌ نَحْوَ الشَّامِ، وَقِيْلَ: إِلَىٰ جَبَلَةَ بْنِ الأَبْهَمِ الْغَسَّانِيِّ(٢)، وَبَعَثَ الْمُهَاجِرَ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ الْمَخْزُومِيِّ إِلىٰ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ كِلَالٍ الْحِمْيَرِيِّ(٣)، وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ فِيْمَا ذُكِرَ، وَاللهُ أَعْلَمُ. (أ)

(أ) ولم يثبت من ذلك إلا بعثه ﷺ إلىٰ قيصر، وكسرىٰ، والنجاشي.

قال الشيخ حافظ رَحِمَهُ اللهُ عن أحداث السنة السادسة في منظومته:

فِيْهَا غَزَا إِلَىٰ بَنِي لِحْيَانَا ... وَمَالَ إِذْ فَرُّوْا إِلَىٰ عُسْفَانَا

وَهْيَ الَّتِي صَلَّىٰ بِهَا الخَوْفَ كَمَا ... ذَكَرْتُ فِي البَحْثِ الَّذِي تَقَدَّمَا(٤)

أُولَىٰ جُمَادَىٰ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرِ ... بَعْدَ بَنِي قُرَيْظَةَ فَلْتَحْصُرِ[٥]

وَكَانَ فِيهَا غَزْوَةٌ لِذِي قَرَدْ ... وَقِيْلَ صَدْرَ عَامِ سَابِعٍ وَرَدْ

وَهْيَ الَّتِي عُيَيْنَةُ أَغَارَا ... فِيهَا عَلَىٰ سَرْحِ النَّبِيْ فَسَارَا

(١) انظر "الطبقات" (١/ ٢٦٢)، و"تاريخ الطبري" (٣/ ٦٤٤-٦٤٥)، و"السيرة النبوية" لابن كثير (٣/ ٥١٥).

(٢) انظر "الطبقات" (١/ ٢٦١)، و"الروض الأنف" (٤/ ٢٥٠)، و"إعلام السائلين" لابن طولون (ص١٠٢).

(٣) انظر "عيون الأثر" (٢/ ٣٢١).

(٤) في البيت رقم (٢٨١)، و(٢٨٢).

[٥] في المخطوط: [فليحصري].

فِي أَثْرِهِمْ سَلَمَةُ بْنُ الأَكْوَعِ ... إِذْ لَيْسَ مِنْهُ فَارِسٌ بِأَسْرَعِ

فَاسْتَنْقَذَ السَّرْحَ وَفَرُّوْا هَرَبَا ... وَمِنْهُمُو بَعْضَ المَتَاعِ اسْتَلَبَا

مِنْ قَبْلِ أَنْ تُدْرِكْهُ الخُيُولُ ... وَبَعْدُ فِي الجَمْعِ أَتَىٰ الرَّسُولُ

وبَعْدَهَا غَزَا بَنِي المُصْطَلِقِ ... فِي شَهْرِ شَعْبَانَ لَدَىٰ المُحَقِّقِ

وَقُتِلَ المَقْتُولُ مِنْهُمْ وَسُبِي ... بَاقِيهِمُو[١] وَقُسِّمُوا فِي النُّصُبِ

وَمِنْهُمُو زَوْجُ النَّبِيْ جُوَيْرِيَهْ ... وَسَبَبُ العِتْقِ لَسَبْيِهِمْ هِيَهْ

وَقَالَ فِيهَا ابْنُ سَلُولٍ بِئْسَمَا ... قَالَ لأَصْحَابِ الرَّسُولِ الْكُرَمَا

وَسُورَةُ (المُنَافِقِينَ) أُنْزِلَتْ ... فِي شَأْنِهِ فَأَوْضَحَتْ وَفَصَّلَتْ

وَجَاءَ فِيهَا (عُصْبَةٌ بِالإِفْكِ) ... وَأُنْزِلَتْ فِيهِ بِدُونِ شَكِّ

خَمْسٌ تَلِي عَشْرًا مِنَ الآيَاتِ ... مِنْ سُورَةِ (النُّورِ) مُفَصَّلَاتِ

مِنْ قَوْلِهِ (إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُا) ... إِلَىٰ (كَرِيمٍ) سَاءَ الافْتِرَاءُ

وَبُرِّئَتْ مِنْ ذَلِكَ الصِّدِّيْقَهْ ... كَمَا هِيَ البَرَاءُ فِي الحَقِيقَهْ

وَضُرِبَ الحَدُّ الَّذِينَ أَفْصَحُوا ... فِي شَأْنِهَا بِإِفْكِهِمْ وَصَرَّحُوا

وَالرَّافِضِي يَكْفُرُ حَتَّىٰ الآنِ ... بِهَذِهِ الآيِ مِنَ القُرْآنِ(٢)

وَخَرَجَ الرَّسُولُ كَيْ يَعْتَمِرَا ... فِي شَهْرِ ذِي القَعْدَةِ مِنْ غَيْرِ مِرَا

وَصَدَّهُ قُرَيْشٌ بِالْعُدْوَانِ ... وَكَانَ فِيهَا بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ

---

[١] في المخطوط: [باقيهم].

(٢) انظر «الانتصار» لشيخنا ربيع بن هادي المدخلي وفقه المولىٰ.

وَكَانَ مِنْ أَسْبَابِهَا فِيْمَا أُثِرْ ... لَـمَّا النَّبِيْ أَرْسَلَ عُثْمَانَ ذُكِرْ

أَنَّ قُرَيْشًا قَتَلُوهُ فَنَدَبْ ... لِلبَيْعَةِ الصَّحْبَ[١] فَكُلٌّ انْتَدَبْ

لَهَا وَهُمْ مِنْ بَعْدِ أَلْفٍ أَرْبَعُ ... مِنَ المِئِينَ فَالجَمِيعُ بَايَعُوا

وَانْعَقَدَ الصُّلْحُ بِوَضْعِ الحَرْبِ فِي ... عَشْرِ سِنِينَ وَهْوَ فَتْحٌ مَا خَفِي

وَأَنْ يَعُودَ عَامَهُ وَيَعْتَمِرْ ... مِنْ قَابِلٍ وَأَنْ يَرُدَّ مَنْ يَفِرْ

مِنْهُمْ إِلَيْهِ وَالَّذِي إِلَيهِمُو[٢] ... يَفِرُّ لَا رَدَّ لَهُ عَلَيْهِمُو[٣]

وَمَنْ يَشَأْ فِي أَحَدِ العَقْدَيْنِ ... يَدْخُلْ لَا بَأْسَ بِأَيِّ ذَيْنِ

فَكَانَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ دَخَلَا ... بَكْرٌ وَلِلنَّبِيْ خُزَاعَةٌ تَلَا

وَخُتِمَ الكِتَابُ ثُمَّ نَحَرَا ... هَدْيًا مَعَ التَّحْلِيقِ حَيْثُ أُحْصِرَا

وَاشْتَدَّ ذَا عَلَى الَّذِينَ أَسْلَمُوا ... وَاللهُ وَالرَّسُولُ مِنْهُمْ أَعْلَمُ

وَسُورَةُ (الفَتْحِ) المُبِينِ كُلُّهَا ... قَدْ نَزَلَتْ فِي شَأْنِ ذَاكَ فَاتْلُهَا

وَحَرَّمَ اللهُ عَلَى النِّيرَانِ ... جَمِيعَ أَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ

وَمِنْهُمُ اسْتُثْنِيَ صَاحِبُ الجَمَلْ ... إِذْ لَمْ يُبَايِعْ مَعَهُمُ بَلِ اعْتَزَلْ

وَنَزَلَتْ آيَاتُ الامْتِحَانِ ... فِي هِجْرَةِ النِّسَاءِ بِالتِّبْيَانِ

وَلَا يَحِلُّ رَدُّهُنَّ أَبَدَا ... لِمُشْرِكٍ مَعْ صِدْقِ إِيمَانٍ بَدَا

---

[١] في المخطوط: [النبي] بدل: (الصحب).

[٢] في المخطوط: [إليهم].

[٣] في المخطوط: [عليهم].

فِيهَا سَرِيَّةُ أَبِي عُبَيْدَةِ ... فِي أَرْبَعِينَ قَاصِدًا ذَا القُصَّةِ

وَبَعْثُ زَيْدٍ وَهُوَ ابْنُ حَارِثَهْ ... ثَلَاثَ مَرَّاتِ النَّبِيُّ بَاعِثُهْ

أَوَّلُها إِلَىٰ بَنِي سُلَيمِ ... فَرَجَعُوا بِمَغْنَمٍ عَظِيمِ

وَثَانِيًا إِلَىٰ بَنِي ثَعْلَبَةِ ... أُولَىٰ جُمَادَىٰ كَانَ دُونَ مِرْيَةِ

وَغَنِمُوا فِيهَا وَثَالِثٌ إِلَىٰ ... عِيْرِ أَبِي العَاصِ بِذَا الشَّهْرِ انْجَلَىٰ

وَقَدْ أَجَارَهُ النَّبِيُّ لابْنَتِهْ ... زَيْنَبَ ثُمَّ رُدَّ مَعْ تِجَارَتِهْ

وَذَاكَ قَبْلَ الصُّلْحِ فَاعْلَمَنْهُ ... مِمَّا مَضَىٰ دُونَ ذُهُولٍ عَنهُ

كَذَا سَرِيَّةُ ابْنِ عَوْفٍ تُعْلَمُ ... لِدُومَةَ الجَنْدَلِ ثُمَّ أَسْلَمُوا

ثُمَّ حَدِيثُ العُرَنِيِّينَ الأُلَىٰ ... قَدْ حَارَبُوا اللهَ وَمَنْ قَدْ أُرْسِلَا

وَكَفَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ أَسْلَمُوا ... وَقَتَلُوا الرَّاعِيْ وَسِيقَ النَّعَمُ

فَأُدْرِكُوا فَصُلِبُوا وَقُتِلُوا ... وَقُطِّعَتْ أَيْدِيهِمُ وَالأَرْجُلُ

وَالحَجُّ فِيهَا عِنْدَ قَوْمٍ فُرِضَا ... كَمَا نَحَاهُ الشَّافِعِيُّ وَارْتَضَىٰ

وَأَرْسَلَ الرَّسُولُ فِي ذِي الحِجَّةِ ... إِلَىٰ المُلُوكِ فِي سَبِيلِ الدَّعْوَةِ

فَحَاطِبٌ مِنْهُمْ إِلَىٰ المُقَوْقَسِ ... وَابْنُ حُذَافَةٍ لِكِسْرَىٰ فَارِسِ

وَهْبٌ لِحَارِثٍ هُوَ الغَسَّانِي ... وَدِحْيَةٌ لِقَيْصَرِ النَّصْرَانِي

لَهَوْذَةَ سُلَيْطُ أَعْنِي العَامِرِي ... وَلِلنَّجَاشِي عَمْرُو وَهُوَ الضَّمْرِي

س٥٨/ مَاذَا وَقَعَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ مِنَ الْغَزَوَاتِ؟

ج/ كَانَ فِيْهَا غَزْوَةُ ذِي قَرَدٍ (أ) فِي قول «الْبُخَارِيِّ» (ب)، وَهُوَ الصَّحِيْحُ[1] فِي صَدْرِ هَذِهِ السَّنَةِ، ثُمَّ بَعْدَهَا غَزْوَةُ خَيْبَرَ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ كَمَا صَرَّحَ بِهَا سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ (ج)، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهَا مِنْ أَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ إِلَّا جَابِرُ بْنُ عَبْدِاللهِ..............................

(أ) تقدم ذكرها في أحداث السنة الثالثة في الجواب عن السؤال رقم (٥٣).

(ب) قال رَحِمَهُ اللهُ: باب غزوة ذات القرد وهي الغزوة التي أغاروا علىٰ لقاح النبي ﷺ قبل خيبر بثلاث.[2]

(ج) قال في آخر الحديث الطويل الذي رواه مسلم برقم (١٨٠٧) في غزوة قَرَد: فوالله، ما لبثنا إلا ثلاث ليالٍ حتىٰ خرجنا إلىٰ خيبر... .

وقد خرج النبي ﷺ إلىٰ خيبر وصحابته الكرام وهم بين يديه يرتجزون الأراجيز.

قَالَ سَلَمَةُ بنُ الأَكْوَعِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ خَيْبَرَ، فَسِرْنَا لَيْلًا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ لِعَامِرٍ: يَا عَامِرُ، أَلَا تُسْمِعُنَا مِنْ هُنَيْهَاتِكَ؟[3] وَكَانَ عَامِرٌ رَجُلًا

---

(١) انظر «فتح الباري» (٧/ ٥٨٥) تحت حديث رقم (٤١٩٤).

(٢) «البخاري» (٧/ ٥٨٤) مع «الفتح».

(٣) أي: من كلماتك، أو من أراجيزك. «النهاية» (٢/ ٩١٦) مادة: هَنَا.

شَاعِرًا، فَنَزَلَ يَحْدُو بِالقَوْمِ يَقُولُ:

اللَّهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا

فَاغْفِرْ فِدَاءً لَكَ مَا اقتفينا وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا

وَأَلْقِيَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا إِنَّا إِذَا صِيحَ بِنَا أَبَيْنَا

وَبِالصِّيَاحِ عَوَّلُوا عَلَيْنَا[(١)]

فلما وصلوا إلى خيبر حاصروها، قال سلمة ﵁: فَأَتَيْنَا خَيْبَرَ فَحَاصَرْنَاهُمْ حَتَّىٰ أَصَابَتْنَا مَخْمَصَةٌ[(٢)] شَدِيدَةٌ.[(٣)]

وَكَانَ حَامِلُ اللِّوَاءِ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ، فَانْصَرَفَ وَلَمْ يُفْتَحْ لَهُ، ثُمَّ أَخَذَهُ مِنَ الْغَدِ فَخَرَجَ فَرَجَعَ وَلَمْ يُفْتَحْ لَهُ، وَأَصَابَ النَّاسَ يَوْمَئِذٍ شِدَّةٌ وَجَهْدٌ[(٤)] فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنِّي دَافِعٌ اللِّوَاءَ غَدًا إِلَىٰ رَجُلٍ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَيُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَرْجِعُ حَتَّىٰ يُفْتَحَ لَهُ**»، قَالَ الرَّاوِي: فَبِتْنَا طَيِّبَةً أَنْفُسُنَا أَنَّ الْفَتْحَ غَدًا، فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَّىٰ الْغَدَاةَ ثُمَّ قَامَ قَائِمًا فَدَعَا بِاللِّوَاءِ وَالنَّاسُ عَلَىٰ مَصَافِّهِمْ، فَدَعَا

---

(١) رواه البخاري برقم (٤١٩٦)، ومسلم برقم (١٨٠٢).

(٢) المخمصة: الجوع والمجاعة. «النهاية» (١/ ٥٣٤) مادة: خَمَصَ.

(٣) رواه البخاري برقم (٤١٩٦)، ومسلم برقم (١٨٠٢).

(٤) الجَهد: المشقة، وبالضم (الجُهد): الوسع والطاقة، والمراد هنا هو الأول، وينظر «النهاية» (١/ ٣١٤)، مادة: جَهَدَ.

عَلِيًّا وَهُوَ أَرْمَدُ[١] فَتَفَلَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَفَعَ إِلَيْهِ اللِّوَاءَ، وَفُتِحَ لَهُ....[٢]

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ**»، قَالَ الرَّاوِي: فَخَرَجُوا يَسْعَوْنَ فِي السِّكَكِ، فَقَتَلَ النَّبِيُّ ﷺ المُقَاتِلَةَ، وَسَبَىٰ الذُّرِّيَّةَ.[٣]

(١) الرَّمد بفتح الراء والميم: ورم حار يعرض في الطبقة الملتحمة من العين، وهو بياضها الظاهر، وسببه انصباب أحد الأخلاط، أو أبخرة تصعد من المعدة إلىٰ الدماغ؛ فإن اندفع إلىٰ الخياشيم أحدث الزكام، أو إلىٰ العين أحدث الرمد، أو إلىٰ اللهاة والمنخرين أحدث الخَنان -بفتح الخاء المعجمة والنون- أو إلىٰ الصدر أحدث النزلة، أو إلىٰ القلب أحدث الشوصة، وإن لم ينحدر وطلب نفاذًا أحدث الصداع. "فتح الباري" (١٠/ ١٩٤).

(٢) رواه أحمد (٥/ ٣٥٣)، وهو حديث صحيح، وصححه شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الجامع الصحيح" (٣/ ٣١٠)، وأصله في "صحيح البخاري" برقم (٤٢١٠).

(٣) رواه البخاري برقم (٤٢٠٠)، و مسلم برقم (١٣٦٥).

وَضَرَبَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِأَجْرِهِ وَسَهْمِهِ، وَفُتِحَتْ حُصُونُهَا، وَغُنِمَتْ أَمْوَالُهُم، وقَسَم [نِصْفًا][١] لِلْمُقَاتِلَةِ وَأَعَدَّ النِّصْفَ الآخَرَ لِلنَّوَائِبِ (أ)، وَقَدْ أَسْهَمَ النَّبِيُّ ﷺ [لِبَعْضِ][٢] مَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا (ب) بِإِذْنِ مَنْ شَهِدَهَا..........................

(أ) قال سهل بن أبي حثمة رضي الله عنه: قَسَم رسول الله خيبر نصفين: نصفًا لنوائبه وحاجته، ونصفًا بين المسلمين، قَسَمَها بينهم علىٰ ثمانية عشر سهمًا.[٣]

(ب) وهم أهل السفينة ممن هاجروا إلىٰ الحبشة.

قال أبو موسىٰ الأشعري رضي الله عنه: بَلَغَنَا مَخْرَجُ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ بِاليَمَنِ، فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ، أَنَا وَأَخَوَانِ لِي أَنَا أَصْغَرُهُمْ، أَحَدُهُمَا أَبُو بُرْدَةَ، وَالآخَرُ أَبُو رُهْمٍ - إِمَّا قَالَ: فِي بِضْعٍ، وَإِمَّا قَالَ: فِي ثَلاثَةٍ وَخَمْسِينَ، أَوِ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي-، فَرَكِبْنَا سَفِينَةً، فَأَلْقَتْنَا سَفِينَتُنَا إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ بِالحَبَشَةِ، وَوَافَقْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابَهُ عِنْدَهُ، فَقَالَ جَعْفَرٌ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَنَا هَاهُنَا، وَأَمَرَنَا بِالإِقَامَةِ، فَأَقِيمُوا مَعَنَا، فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّىٰ قَدِمْنَا جَمِيعًا، فَوَافَقْنَا النَّبِيَّ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ

---

(١) كلمة لم تتضح، ولكن غلب علىٰ ظني بعد التأمل ما أثبت، كذلك السياق يدل عليه كقوله: وأعد النصف الآخر.

[٢] ليست واضحة في المخطوط، وبالرجوع إلىٰ المنظومة في "السيرة" للمؤلف ظهر لي ما أثبت حيث قال رحمه الله:

وَأَسْهَمَ النَّبِيْ لِبَعْضٍ مَا شَهِدْ   لَكِنْ بِإِذْنِ الشَّاهِدِينَ فَاعْتَمِدْ

(٣) رواه أبو داود برقم (٣٠١٠)، وإسناده حسن؛ رجاله كلهم ثقات سوىٰ أسد بن موسىٰ وهو حسن الحديث، وصححه شيخنا في "الجامع الصحيح" (٣/ ٣٠٨).

خَيْبَرَ، فَأَسْهَمَ لَنَا، أَوْ قَالَ: فَأَعْطَانَا مِنْهَا، وَمَا قَسَمَ لِأَحَدٍ غَابَ عَنْ فَتْحِ خَيْبَرَ مِنْهَا شَيْئًا، إِلَّا لِمَنْ شَهِدَ مَعَهُ، إِلَّا أَصْحَابَ سَفِينَتِنَا مَعَ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ، قَسَمَ لَهُمْ مَعَهُم.(١)

وتقدم قريبًا أنه غاب جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وهو ممن حضر بيعة الرضوان، وأعطاه النبي ﷺ سهمه، إلا أنني لم أقفْ عليه إلا معلقًا عند البخاري في [كتاب فرض الخمس] الباب الخامس عشر (٦/ ٢٩٠) مع «الفتح».

(١) رواه البخاري برقم (٣١٣٦)، ومسلم برقم (٢٥٠٢).

وَعَامَلَ النَّبِيُّ ﷺ أَهْلَ خَيْبَرَ عَلَىٰ شَطْرِ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا (أ) ، وَفِيْهَا حُرِّمَتْ لُحُومُ الْحُمُرِ الْإِنْسِيَّةِ (ب) ، وَفِيهَا حُرِّمَ نِكَاحُ الْمُتْعَةِ (ج) ، وَقِيلَ بَعْدَ ذَلِكَ (د) ....

(أ) لحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ عامل أهل خيبر بشطر ما خرج منها من زرع، أو ثمر.[1]

(ب) لحديث جابر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ نهىٰ يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية، وأذن في لحوم الخيل.[2]

(ج) لحديث علي رضي الله عنه: أن النبي ﷺ نهىٰ عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل لحوم الحمر الإنسية.[3]

(د) جاءت أحاديث تدل علىٰ أن المتعة حُرِّمت يوم خيبر، ثم أُبيحت في فتح مكة، ثم حُرِّمت مؤبدًا، فعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: رخص رسول الله ﷺ عام أوطاس في المتعة ثلاثًا، ثم نهىٰ عنها.[4]

وعن سبرة الجهني رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ بالمتعة عام الفتح حين دخلنا مكة، ثم لم نخرج منها حتىٰ نهانا عنها.[5]

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٢٤٨)، ومسلم برقم (١٥٥١)، واللفظ له.
(٢) رواه البخاري برقم (٥٥٢٠)، ومسلم برقم (١٩٤١).
(٣) رواه البخاري برقم (٤٢١٦)، ومسلم برقم (١٤٠٧).
(٤) رواه مسلم برقم (١٤٠٥).
(٥) رواه مسلم برقم (١٤٠٦).

فيقال: كانت المتعة قبل خيبر مباحة ثم حرمت في خيبر، ثم أُبيحت في أوطاس وهي فتح مكة، ثم حُرِّمت تحريمًا مؤبدًا؛ ولذا بوب النووي رَحِمَهُ اللهُ في «شرحه لصحيح مسلم»: باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نسخ، ثم أبيح ثم نسخ، واستقر تحريمه إلىٰ يوم القيامة.

وقال في شرح الأحاديث المتقدم ذكرها: الصواب المختار أن التحريم والإباحة كانا مرتين، فكانت حلالًا قبل خيبر، ثم حرمت يوم خيبر، ثم أُبيحت يوم فتح مكة، وهو يوم أوطاس؛ لاتصالهما، ثم حرمت يومئذٍ بعد ثلاثة أيام تحريمًا مُؤَبَّدًا إلىٰ يوم القيامة واستمر التحريم.اهـ

وَفِيْهَا قِصَّةُ الشَّاةِ الْمَسْمُومَةِ (أ)، وَكَلَامُ الذِّرَاعِ (ب)، وَفِيْهَا قَدِمَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي مُهَاجِرَةِ الْحَبَشَةِ وَمَعَهُم وَفْدُ الْأَشْعَرِيِّيْنَ (ج)، وَفِيْهَا إِسْلَامُ أَبِي هُرَيْرَةَ[1]، وَفِي رُجُوعِهِ ﷺ بَنَىٰ بِصَفِيَّةَ (د) ....

(أ) وقصة الشاة المسمومة في "صحيح البخاري" برقم (٣١٦٩)، ورقم (٢٤٧٤)، و"صحيح مسلم" برقم (٢١٩٠).

(ب) حديث تكلُّم الذراع رواه أبو داود برقم (٤٥١٢)، والدارمي برقم (٦٨)، وصححه الألباني في تعليقه علىٰ "مشكاة المصابيح" (٣/ ١٦٦٧-١٦٦٨).

(ج) تقدم قريبًا من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

(د) لما فتح الله علىٰ النبي ﷺ الحصن بخيبر سبىٰ الذرية، وكان في السبي صفية، فصارت إلىٰ دحية الكلبي، ثم صارت إلىٰ النبي ﷺ، فجعل عتقها صداقها.[2]

ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ خَيْبَرَ، حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهَا فِي ظَهْرِهِ نَزَلَ، ثُمَّ ضَرَبَ عَلَيْهَا الْقُبَّةَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلُ زَادٍ، فَلْيَأْتِنَا بِهِ»**، قَالَ: فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِفَضْلِ التَّمْرِ، وَفَضْلِ السَّوِيقِ، حَتَّىٰ جَعَلُوا مِنْ ذَلِكَ

---

(١) انظر "الاستيعاب" (١/ ٣٧٤).

(٢) رواه البخاري برقم (٤٢٠١)، ومسلم برقم (١٣٦٥).

سَوَادًا حَيْسًا، فَجَعَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ ذَلِكَ الْحَيْسِ[1]، وَيَشْرَبُونَ مِنْ حِيَاضٍ إِلَىٰ جَنْبِهِمْ مِنْ مَاءِ السَّمَاءِ، قَالَ: فَقَالَ أَنَسٌ: فَكَانَتْ تِلْكَ وَلِيمَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَيْهَا.[2]

(١) الحيس هو الطعام المتخذ من التمر والأقط والسمن، وقد يُجعل عِوض الأقطِ الدقيق أو الفتيت. «النهاية» (١/ ٤٥٨) مادة: حَيَسَ.

(٢) رواه البخاري برقم (٤٢١١)، ومسلم برقم (١٣٦٥)، واللفظ له.

وَحَاصَرَ وَادِيَ الْقُرَىٰ، فَفَتَحَهُ وَعَامَلَهُم مُعَامَلَةَ أَهْلِ خَيْبَرَ (أ)، وَأَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِ فَدَكَ (ب) لَمْ يُوجِفْ عَلَيْهِ بِخَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ.

(أ) قال أبو هريرة رضي الله عنه: افتتحنا خيبر ولم نغنم ذهبًا ولا فضةً إنما غنمنا البقر والإبل والمتاع والحوائط، ثم انصرفنا مع رسول الله ﷺ إلىٰ وادي القرىٰ.[١]

فدعا أهلها إلىٰ الإسلام فامتنعوا من ذلك وقاتلوا، ففتحها رسول الله ﷺ عنوةً، وغنَّمه اللهُ أموال أهلها، وأصاب المسلمون منها أثاثًا ومتاعًا، فخمَّس رسول الله ﷺ ذلك وترك الأرض والنخل في أيدي يهود وعاملهم علىٰ نحو ما عامل عليه أهل خيبر... .[٢]

(ب) لما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فَدَك[٣] حين بلغهم ما أوقع الله تعالىٰ بأهل خيبر؛ فبعثوا إلىٰ رسول الله ﷺ يصالحونه علىٰ النصف من فَدَك، فقدمت عليهم رسله بخيبر بالطريق أو بعدما قدم المدينة، فَقَبِلَ ذلك منهم، فكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ؛ لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب.[٤]

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٢٣٤).

(٢) "أنساب الأشراف" (١/ ٤٢١-٤٢٢)، "عيون الأثر" (٢/ ١٨٦-١٨٧)، "المواهب اللدنية" (١/ ٥٣٦).

(٣) فدك بلدة عامرة كثيرة النخل والزرع والسكان علىٰ ظهر الحرة شرق خيبر، ماؤها إلىٰ وادي الرمة، وتسمىٰ اليوم: الحائط، وهي من أكبر قرىٰ حرة خيبر، ويضاف إليه الجزء الشرقي من الحرة فتسمىٰ: حرة فدك. "معجم معالم الحجاز" (٢/ ٣٩٧-٣٩٨)، (٧/ ١٣٠٦).

(٤) ابن إسحاق "سيرة ابن هشام" (٢/ ٨٤٤)، "الاكتفاء" (٢/ ١٩٢)، "الفصول" (ص١٦٨).

س٥٩/ مَاذَا وَقَعَ فِيْهَا مِنَ السَّرَايَا؟

ج/ فِيْهَا سَـــرِيَّةُ أَبِي بَــكْرٍ الصِّدِّيْقِ إِلَىٰ فَــزَارَةَ.[أ] ....

[أ] قَالَ سَلَمَةُ بنُ الأَكْوَعِ رضي الله عنه: غَزَوْنَا فزَارَةَ وَعَلَيْنَا أَبُو بَكْرٍ، أَمَّرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْنَا، فَلَمَّا كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَاءِ سَاعَةٌ، أَمَرَنَا أَبُو بَكْرٍ فَعَرَّسْنَا، ثُمَّ شَنَّ الْغَارَةَ، فَوَرَدَ الْمَاءَ، فَقَتَلَ مَنْ قَتَلَ عَلَيْهِ، وَسَبَىٰ، وَأَنْظُرُ إِلَىٰ عُنُقٍ[١] مِنَ النَّاسِ فِيهِمُ الذَّرَارِيُّ، فَخَشِيتُ أَنْ يَسْبِقُونِي إِلَىٰ الْجَبَلِ، فَرَمَيْتُ بِسَهْمٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْجَبَلِ، فَلَمَّا رَأَوُا السَّهْمَ وَقَفُوا، فَجِئْتُ بِهِمْ أَسُوقُهُمْ وَفِيهِمِ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي فزَارَةَ عَلَيْهَا قَشْعٌ[٢] مِنْ أَدَمٍ مَعَهَا ابْنَةٌ لَهَا مِنْ أَحْسَنِ الْعَرَبِ، فَسُقْتُهُمْ حَتَّىٰ أَتَيْتُ بِهِمْ أَبَا بَكْرٍ، فَنَفَّلَنِي أَبُو بَكْرٍ ابْنَتَهَا، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَمَا كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا، فَلَقِيَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي السُّوقِ، فَقَالَ: «**يَا سَلَمَةُ، هَبْ لِي الْمَرْأَةَ**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَاللهِ لَقَدْ أَعْجَبَتْنِي وَمَا كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا، ثُمَّ لَقِيَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْغَدِ فِي السُّوقِ، فَقَالَ لِي: «**يَا سَلَمَةُ، هَبْ لِي الْمَرْأَةَ لِلَّهِ أَبُوكَ**»، فَقُلْتُ: هِيَ لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَوَاللهِ مَا كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا، فَبَعَثَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ أَهْلِ مَكَّةَ، فَفَدَىٰ[٣] بِهَا نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا أُسِرُوا بِمَكَّةَ.[٤]

---

(١) أي: جماعة من الناس. «النهاية» (٢/ ٢٦٤).

(٢) قيل: أراد بالقشع الفرو الخَلِق. «النهاية» (٢/ ٤٥٦).

(٣) الفِداء بالكسر والمد والفتح مع القصر: فكاك الأسير، يقال: فداه تفدية فِداءً وفِدًىٰ، وفاداه يفاديه مفاداةً إذا أعطىٰ فِداءه، وأنقذه، وفدَّاه بنفسه وفَدَاه إذا قال له: جُعِلتُ فِداك، والفِدْية: الفِداء. وقيل: المفاداة: أن تفكَّ الأسير بأسير مثله. «النهاية» (٢/ ٣٥٠) مادة: فدَا.

(٤) رواه مسلم برقم (١٧٥٥).

وَسَرِيَّةُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِلَـىٰ هَـوَازِنَ (أ) وَسَـرِيَّةُ ابْـنِ رَوَاحَـةَ إِلَـىٰ يُسَيْـرِ ابْـنِ رِزَامٍ (ب) وَمَنْ مَعَهُ، فَقَتَلَهُمْ..

(أ) بعث رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ثلاثين رجلًا إلىٰ عَجُز هوَازن بتربة، وهي بناحية العبلاء علىٰ أربع ليالٍ من مكة طريق صنعاء ونجران، فخرج وخرج معه دليل من بني هلال، فكان يسير الليل ويكمن النهار، فأتىٰ الخبر هوازن؛ فهربوا، وجاء عمر بن الخطاب محالهم، فلم يلق منهم أحدًا فانصرف راجعًا إلىٰ المدينة.(١)

(ب) لما قُتِلَ أبو رافع سلام بن أبي الحُقَيق أمَّرت يهود عليهم أسير[٢] بن زارم[٣]، فسار في غطفان وغيرهم يجمعهم لحرب رسول الله ﷺ، وبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فوجه عبد الله بن رواحة في ثلاثة نفر في شهر رمضان سِرًّا، فسأل عن خبره وَغِرَّته فأُخبر بذلك، فقدم علىٰ رسول الله ﷺ، فأخبره، فندب رسول الله ﷺ الناس، فانتدب له ثلاثون رجلًا، فبعث عليهم عبد الله بن رواحة، فقدموا علىٰ أُسير، فقالوا: نحن آمنون حتىٰ نعرض عليك ما جئنا له؟ قال: نعم، ولي منكم مثل

---

(١) "الطبقات" (٢/ ١١٠-١١١) بدون سند، "عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير" (٢/ ١٨٨).

[٢] وفي بعض المصادر من كتب السير: (يسير)، وأما المخطوط ففيها: (سيير)، وما أثبت هو مراده كما في المنظومة.

[٣] وفي بعض المصادر: (رزام) بتقديم الراء علىٰ الزاي.

ذلك؟ وقالوا: نعم. فقلنا: إن رسول الله ﷺ بعثنا إليك لتخرج إليه فيستعملك علىٰ خيبر ويحسن إليك. فطمع في ذلك فخرج، وخرج معه ثلاثون رجلًا من اليهود مع كلِّ رجل رديف من المسلمين، حتىٰ إذا كنا بقرقَرَة ثبار[١] ندم أسير، فقال عبدالله بن أُنيس -وكان في السرية- فأهوىٰ بيده إلىٰ سيفي، ففطنت له، ودفعت بعيري، وقلت: غدْرًا أي عدو الله، فعل ذلك مرتين، فنزلت فسقت بالقوم حتىٰ انفرد لي أُسير، فضربته بالسيف، فأندرت عامة فخذه وساقه، فسقط عن بعيره وبيده مِخْرَشٌ من شَوْحَط[٢]، فضربني فشجني مأمومة[٣]، ومِلْنَا علىٰ أصحابه فقتلناهم كلَّهم غير رجل واحد أعجزنا شدًّا، ولم يُصبْ من المسلمين أحدٌ، ثم أقبلنا إلىٰ رسول الله ﷺ، فحدثناه الحديث، فقال: «**قد نجاكم الله من القوم الظالمين**».[٤]

---

(١) قرقرة ثبار، ويقال: قرقرة الكدر: قاع قُبيل خيبر مما يلي المدينة علىٰ ستة أميال من خيبر يطؤه الطريق ويشرف عليه من الغرب جبل الصهباء، وهما في سواء الحرة حرة النار المعروفة اليوم: بحرة خيبر. "معجم معالم الحجاز" (٧/ ١٣٧١).

(٢) الشوحط: ضرب من شجر الجبال تُتخذ منه القسيُّ. "النهاية" (٢/ ٨٩٦).

(٣) المأمومة هي: الشجة التي بلغت أُمَّ الرأس، وهي الجلدة التي تجمع الدماغ. "النهاية" (١/ ٧٧) مادة: أَمَمَ.

(٤) "الطبقات" (٢/ ٨٨-٨٩) بدون سند، "أنساب الأشراف" (١/ ٤٥٧).

وَبَعَثَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ عَلَىٰ الحُرُقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ، وَعَاتَبَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي قَتْلِهِ [الَّذِي][١] نَطَقَ بِالشَّهَادَةِ. (١) ....

(١) قال أسامة رضي الله عنه: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ، فَصَبَّحْنَا الْحُرُقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ، فَأَدْرَكْتُ رَجُلًا فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. فَطَعَنْتُهُ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَقَتَلْتَهُ؟**» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ. قَالَ: «**أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّىٰ تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟**»، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّىٰ تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ.(٢)

لكن هل كان أسامة رضي الله عنه أميرًا لهذه السرية؟ الذي في كتب السِّيَر أنه كان في سرية غالب بن عبد الله الليثي، أي: إنه لم يكن أميرًا، وذكروا أنَّ قتل الرجل الذي نطق بـلا إله إلا الله كان فيها.

أما الإمام البخاري رحمه الله فإنه يميل إلىٰ أن أمير السرية هو أسامة؛ لذا بوَّب: باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلىٰ الحرقات من جهينة.

وهذا ما اختاره المؤلف؛ حيث نسب السرية إلىٰ زيد رضي الله عنه.

وعلق الحافظ رحمه الله في "فتح الباري" (٧/ ٦٥٩) تحت حديث رقم (٤٢٦٩)

---

[١] غير واضح في المخطوط، وأثبته من النظم حيث قال رحمه الله:

بَعْثٌ إلىٰ جُهينةَ وقتلا ... فيها أسامةُ (الذي) قد هللا

وانظر "صحيح البخاري" برقم (٤٢٦٩)، و"صحيح مسلم" برقم (٩٦).

(٢) رواه البخاري برقم (٤٢٦٩)، ومسلم برقم (٩٦)، واللفظ له.

علىٰ قول أسامة رضي الله عنه: «بعثنا رسول الله ﷺ إلىٰ الحرقة»، فقال: ليس في هذا ما يدل علىٰ أنه كان أمير الجيش كما هو ظاهر الترجمة، وقد ذكر أهل المغازي سرية غالب ابن عبد الله الليثي إلىٰ الميفعة بتحتانية ساكنة وفاء مفتوحة، وهي وراء بطن نخل، وذلك في رمضان سنة سبع، وقالوا: إن أسامة قتل الرجل في هذه السرية؛ فإنْ ثبت أن أسامة كان أمير الجيش فالذي صنعه البخاري هو الصواب؛ لأنه ما أُمِّرَ إلا بعد قتل أبيه بغزوة موتة وذلك في رجب سنة ثمان، وإن لم يثبت أنه كان أميرها رجح ما قال أهل المغازي.اهـ

قلت: فإن رُجِّح قول الإمام البخاري فيكون اختيار المؤلف صحيحًا، لكن ليس في السنة السابعة كما أراد، وإنما هو في السنة الثامنة.(١)

---

(١) وانظر «الطبقات» (٢/ ١١٢)، «أنساب الأشراف» (١/ ٤٥٨)، «الاكتفاء» (٢/ ٣٠٣)، «عيون الأثر» (٢/ ١٩٠).

وَسَرِيَّـــةُ أَبِي الْحَدْرَدِ إِلَىٰ الْغَابَةِ. ① ....

① بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّ قَيْسَ بْنَ رِفَاعَةَ يُرِيدُ أَنْ يَجْمَعَ قَيْسًا عَلَىٰ حَرْبِهِ، وَكَانَ ذَا اسْمٍ فِي جُشَمَ وَشَرَفٍ. قَالَ ابْنُ أَبِي حَدْرَد: فَدَعَانِي النَّبِيُّ ﷺ وَرَجُلَيْنِ مَعِي مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: «**اُخْرُجُوا إِلَىٰ هَذَا الرَّجُلِ حَتَّىٰ تَأْتُوا مِنْهُ بِخَبَرٍ وَعِلْمٍ**»...، فَخَرَجْنَا وَمَعَنَا سِلَاحُنَا مِنْ النَّبْلِ[(١)] وَالسُّيُوفِ حَتَّىٰ إِذَا جِئْنَا قَرِيبًا مِنْ الْحَاضِرِ عُشَيْشِيَّةً[(٢)] مَعَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، كَمَنْتُ فِي نَاحِيَةٍ وَأَمَرْت صَاحِبِيّ فَكَمَنَا فِي نَاحِيَةٍ أُخْرَىٰ مِنْ حَاضِرِ الْقَوْمِ وَقُلْت لَهُمَا: إذَا سَمِعْتُمَانِي قَدْ كَبّرْت وَشَدَدْتُ فِي نَاحِيَةِ الْعَسْكَرِ فَكَبّرَا وَشُدّا مَعِي. قَالَ: فَوَاَللّهِ، إنّا لِكَذَلِكَ نَنْتَظِرُ غِرّةَ[(٣)] الْقَوْمِ أَوْ أَنْ نُصِيبَ مِنْهُمْ شَيْئًا، وَقَدْ غَشِيَنَا اللّيْلُ حَتّىٰ ذَهَبَتْ فَحْمَةُ الْعِشَاءِ وَقَدْ كَانَ لَهُمْ رَاعٍ قَدْ سَرَحَ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ فَأَبْطَأَ عَلَيْهِمْ حَتّىٰ تُخَوّفُوا عَلَيْهِ. فَقَامَ صَاحِبُهُمْ ذَلِكَ رِفَاعَةُ بْنُ قَيْسٍ، فَأَخَذَ سَيْفَهُ فَجَعَلَهُ فِي عُنُقِهِ، ثُمّ قَالَ: وَاَللّهِ لَأَتْبَعَنّ أَثَرَ رَاعِينَا هَذَا، وَلَقَدْ أَصَابَهُ شَرّ. فَقَالَ لَهُ نَفَرٌ مِمّنْ مَعَهُ: وَاَللّهِ لَا تَذْهَبْ نَحْنُ نَكْفِيك. قَالَ: وَاَللّهِ لَا يَذْهَبُ إلّا أَنَا. قَالُوا : فَنَحْنُ مَعَك. قَالَ: وَاَللّهِ لَا يَتْبَعُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ. وَخَرَجَ حَتّىٰ مَرَّ بِي، فَلَمّا أَمْكَنَنِي نَفَحْتُهُ بِسَهْمِي، فَوَضَعْته فِي فُؤَادِهِ. قَالَ: فَوَاَللّهِ، مَا تَكَلّمَ، فَوَثَبْتُ إلَيْهِ فَـاحْتَزَزْتُ رَأْسَـهُ، وَشَدَدْت فِي نَاحِيَـةِ الْعَسْكَـرِ وَكَبّرْت، وَشَدّ صَاحِبَـايَ وَكَـبّرَا،

(١) النبل: السهام العربية ولا واحد لها من لفظها، فلا يقال: نَبْلة، وإنما يقال: سَهْمٌ ونُشَابَة. "النهاية" (٢/ ٧٠٥) مادة: نبـل.

(٢) عشيشية: تصغير عَشِيَّة. "النهاية" (٢/ ٢١٢).

(٣) الغرة: الغفلة. "النهاية" (٢/ ٢٩٧).

فَوَاللَّهِ، مَا كَانَ إِلَّا النَّجَاءُ مِمَّنْ فِيهِ عِنْدَك، عِنْدَك[١]، بِكُلِّ مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْ نِسَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ، وَمَا خَفَّ مَعَهُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَاسْتَقْنَا إِبِلًا عَظِيمَةً وَغَنَمًا كَثِيرَةً، فَجِئْنَا بِهَا إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَجِئْت بِرَأْسِهِ أَحْمِلُهُ، فَأَعَانَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ تِلْكَ الْإِبِلِ بِثَلَاثَةَ عَشَرَ بَعِيرًا.[٢]

---

(١) عندك عندك: كلمتان بمعنىٰ الإغراء. "سبل الهدىٰ والرشاد" (٦/ ١٨٩).

(٢) ابن إسحاق كما في "سيرة ابن هشام" (٤/ ٣٦٧-٣٦٩) بإسناد ضعيف، و"عيون الأثر" (٢/ ٢٠٩-٢١١).

وَسَرِيَّــةُ الرَّجُـلِ الَّذِي أَمَــرَ أَصْحَابَــهُ بِدُخُولِ النَّارِ؛ لِيَخْتَبِرَ طَاعَتَهُم، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ**»[1]، وَفِيْهَا سَرِيَّةٌ إِلَىٰ بَنِي سُلَيْمٍ. (أ) ....

(أ) وهذه هي سرية ابن أبي العوجاء السُّلَمي، بعثه النبي ﷺ في خمسين رجلًا إلىٰ بني سُليم، فخرج إليهم وتقدمه عينٌ لهم كان معه، فحذرهم، فجمَّعوا، فأتاهم ابن أبي العوجاء وهم معدون له، فدعاهم إلىٰ الإسلام، فقالوا: لا حاجة لنا إلىٰ ما دعوتنا. فتراموا بالنبل ساعة، وجَعَلت الأمداد تأتي حتىٰ أحدقوا بهم من كل ناحية، فقاتل القوم قتالًا شديدًا حتىٰ قتل عامتهم، وأُصيب ابن أبي العوجاء جريحًا مع القتلىٰ، ثم تحامل حتىٰ بلغ رسول الله ﷺ، فَقَدموا المدينة في أول يوم من صفر سنة ثمانٍ[2] [3].

---

(١) رواه البخاري برقم (٧٢٥٧)، ومسلم برقم (١٨٤٠).

(٢) هذا بالنسبة لرجوعهم، أما ذهابهم فكان في ذي الحجة سنة سبع من مهاجر رسول الله ﷺ. انظر "الطبقات" (٢/ ١١٥).

(٣) "مغازي الواقدي" (١٦/ ٧٤٢) بسنده إلىٰ الزهري، وانظر "الطبقات" (٢/ ١١٥-١١٦).

وَفِيْهَا اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ عُمْرَةَ الْقَضَاءِ (أ) فِي ذِي الْقَعْدَةِ كَمَا تَقَدَّمَ (ب) الْعَقْدُ، وَفِي رُجُوعِهِ بَنَىٰ بِمَيْمُونَةَ وَهُمَا حَلَالَانِ (ج)، وَفِيْهَا رَدَّ النَّبِيُّ ﷺ ابْنَتَهُ زَيْنَبَ إِلَىٰ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيْعِ وَقَدْ أَسْلَمَ، رَدَّهَا عَلَيْهِ بِالْعَقْدِ الْأَوَّلِ عَلَىٰ الصَّحِيْحِ (د).

(أ) التي قاضىٰ قريشًا عليها، ومنهم من يجعلها قضاء الحديبية؛ حيث صُدَّ ومنهم من يقول: عمرة القصاص. والكل صحيح. قاله ابن كثير رحمه الله.[1]

(ب) في الجواب عن السؤال رقم (٥٢)، وانظر التعليق عليه.

(ج) وهو الصواب كما ثبت في "صحيح مسلم" برقم (١٤١١) من حديث ميمونة رضي الله عنها، قال يزيد بن الأصم: حَدَّثَتْنِي مَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَزَوَّجَهَا وَهُوَ حَلَالٌ. قَالَ: وَكَانَتْ خَالَتِي، وَخَالَةَ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وأما ما جاء في "الصحيحين" عن ابن عباس رضي الله عنهما من أن النبي ﷺ تزوجها وهو محرم فقد عدَّه النقاد من الوهم.[2]

(د) انظر مبحثًا في الزوجين يسلم أحدهما قبل الآخر في "زاد المعاد" (٥/ ١٣٣).

قال الشيخ حافظ رحمه الله عن وقائع السنة السابعة:

(١) "الفصول" (ص١٦٩)، وانظر "فتح الباري" (٧/ ٥٠٠).

(٢) وانظر لذلك "تنقيح التحقيق" (٢/ ٤٣٧-٤٤٠)، و"زاد المعاد" (٣/ ٣٧٢-٣٧٤)، و"نصب الراية" للزيلعي (٣/ ١٧٤).

فِـي صَـدْرِهَا غَزْوَتُـهُ لِـذِي قَـرَدْ   عِنْـدَ البُخَـارِيِّ وَلِـلأَوَّلِ رَدّ(١)
وَبَعْـدَهَا غَزْوَتُـهُ لِخَيْبَـرَا   كَـمَا بِـهِ فَتْحًـا قَرِيبًـا فُسِّـرَا
وَمَـا تَخَلَّـفْ عَنْـهُ مِـنْ إِنْسَـانِ   مِـنَ المُبَـايِعِينَ فِـي الرِّضْـوَانِ
إِلَّا ابْـنَ عَبْـدِ الله جَـابِرًا وَقَـدْ   أُعْطِـيَ سَـهْمَهُ وَفِـي الأَجْـرِ يُعَـدْ
وَفُتِحَـتْ حُصُـونُهَا وَغُنِمَـتْ   أَمْـوَالُهُمْ بِـالْقَهْرِ ثُـمَّ قُسِـمَتْ
عَلَـىٰ ثَلَاثِـينَ وَسِـتَّةٍ اسْـهُمِ   وَكُـلُّ سَـهْمٍ مِائَـةٌ فَلْـيُفْهَمِ
فَقُسِـمَ النِّصْـفُ لِفَـارِسٍ عَلَـىٰ   ثَلَاثَـةٍ وَالرَّاجِـلُ السَّـهْمُ انْجِـلَا[٢]
وَذَاكَ بَعْـدَ الخُمْـسِ ثُـمَّ فَصَّـلَا   فِيهَـا ابْـنُ إِسْحَاقَ الَّـذِي قَـدْ أَجْمَـلَا
وَأَسْـهَمَ النَّبِـيْ لِـبَعْضٍ مَـا شَـهِدْ   لَكِـنْ بِـإِذْنِ الشَّـاهِدِينَ فَاعْتَمِـدْ
وَالنِّصْـفُ قَـدْ أُعِـدَّ لِلنَّوَائِـبِ   كَالْوَفْـدِ وَالعُـدَّةِ فَـافْهَمْ تُصِـبِ
وَعَامَـلَ النَّبِـيُّ أَهْلَهَـا عَلَـىٰ   شَـطْرٍ وَإِنْ شَـا فَعَلَـيْهِمُ الجَـلَا
وَحُرِّمَـتْ فِيهَـا لُحُـومُ الحُمُـرِ   أَعْنِـي بِـهِ الإِنْسِـيَّةَ افْهَـمْ وَأْثُـرِ
وَأُطْعِـمَ السُّـمَّ رَسُـولَ الله فِـي   شَـاةٍ بِـإِذْنِ الله مِنْـهُ قَـدْ كُفِـي
وَكَـانَ بَعْـدَهَا قُـدُومُ جَعْفَـرِ   [وَصَحْبِهِ وَمَعْهُ][٣] وَفْـدُ الأَشْـعَرِي
وَفِـي الرُّجُـوعِ بِصَـفِيَّةٍ بَنَـا   وَهِـيَ أُمُّ كُـلِّ مَـنْ قَـدْ آمَنَـا

(١) أي: القول المتقدم أنها وقعت في سنة ست، وقد تقدم الكلام في التعليق علىٰ الجواب عن سؤال رقم (٥٣)، والجواب عن سؤال رقم (٥٨).
[٢] في المخطوط: [انجلا].
[٣] في المخطوط: [ومن معه منهم].

وَفِيهِ أَيْضًا حَصْرُهُ وَادِي القُرَىٰ وَفَتْحُهُ وَقَسْمُ مَغْنَمٍ جَرَىٰ

وَعَامَلَ اليَهُودَ فِيهِ مِثْلَمَا عَامَلَ أَهْلَ خَيْبَرٍ وَحِينَمَا

جَاءَ النَّبَا يَهُودَ تَيْمًا بَذَلُوا صُلْحًا بِجِزْيَةٍ كَذَا قَدْ نَقَلُوا

وَفِيهِ إِشْكَالٌ إِذِ الجِزْيَةُ فِي تَاسِعِ عَامٍ شُرِعَتْ فَلْيُعْرَفِ[١]

وَفَدَكٌ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَىٰ رُسُولِهِ وَمُصْطَفَاهُ

[كَذَا بِهَا][٢] سَرِيَّةُ الصِّدِّيقِ إِلَىٰ فَزَارَةَ وَلِلفَارُوقِ

سَرِيَّةٌ إِلَىٰ هَوَازِنٍ كَذَا سَرِيَّةٌ لابْنِ رَوَاحَةٍ خُذَا

إِلَىٰ يُسَيْرِ بْنِ رِزَامِ الغَادِرِ وَأُخِذُوا أَخْذَ العَزِيزِ القَادِرِ

بَعْثُ إِلَىٰ جُهَيْنَةٍ وَقَتَلَا فِيهَا أُسَامَةُ الَّذِي قَدْ هَلَّلَا

كَذَا أَبُو حَدْرَدٍ نَحْوَ الغَابَهْ فَعَادَ غَانِمًا بِلَا كَآبَهْ

كَذَا سَرِيَّةُ الَّذِي قَدْ أَمَرَا مَنْ مَعَهُ دُخُولَ نَارٍ سَجَّرَا

قَالَ النَّبِيْ فِي ذَاكَ لَيْسَ لأَحَدْ طَاعَةُ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ الصَّمَدْ

وَكَانَ فِيهَا عُمْرَةُ القَضَاءِ كَمَا مَضَىٰ العَقْدُ بِلَا مِرَاءِ(٣)

وَفِي رُجُوعِهِ الرَّسُولُ قَدْ نَكَحْ مَيْمُونَةً وَهْوَ حَلَالٌ فِي الأَصَحْ

وَبَعَثَ النَّبِيْ سَرِيَّةً إِلَىٰ بَنِي سُلَيمٍ وَبِهَا رَدَّ عَلَىٰ

ابْنِ الرَّبِيعِ زَيْنَبًا بِالْعَقْدِ الاوَّلِ عِنْدَ عُلَمَاءِ النَّقْدِ

---

[١] في المطبوع: (فلتعرف)، وانظر أحداث السنة التاسعة للهجرة.

[٢] في المخطوط: [فيها روىٰ] بدل: (كذابها).

(٣) انظر الأبيات السابقة من البيت رقم (٣٤٦) إلىٰ (٣٦٨).

س٦٠/ مَاذَا وَقَعَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ مِنَ الْهِجْرَةِ مِنَ الْغَزَوَاتِ؟

ج/ فِي شَهْرِ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ مِنْهَا كَانَتْ غَزْوَةُ مُؤْتَةَ(١) الَّتِي اسْتُشْهِدَ فِيهَا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ رضي الله عنهم.......

(١) بوب الإمام البخاري رحمه الله في "صحيحه" (٧/ ٦٥٠) مع "الفتح": [بَابُ غَزْوَةِ مُوتَةَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ].

فذكر مؤتة بغير همزة، فقال الحافظ رحمه الله: موتة بضم الميم وسكون الواو بغير همز لأكثر الرواة، وبه جزم المبرد، ومنهم من همزها وبه جزم ثعلب والجوهري، وابن فارس، وحكىٰ صاحب "الواعي" الوجهين، قال ابن إسحاق: هي بالقرب من البلقاء. وقال غيره: هي علىٰ مرحلتين من بيت المقدس...اهـ

وأَمَّر رسول الله ﷺ في هذه الغزوة زيد بن حارثة، فقال: «**إِنْ قُتِل زيدٌ، فجعفر، وإن قُتل جعفر فعبد الله بن رواحة**».[١]

فَانْطَلَقَ الْجَيْشُ، فَلَبِثُوا مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَعِدَ الْمِنْبَرَ وَأَمَرَ أَنْ يُنَادَىٰ: الصَّلَاةَ جَامِعَةً.[٢] فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**نَابَ خَيْرٌ أَوْ ثَابَ خَيْرٌ** -شَكَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ[٣]- **أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ جَيْشِكُمْ هَذَا الْغَازِي؟ إِنَّهُمُ انْطَلَقُوا حَتَّىٰ**

(١) رواه البخاري برقم (٤٢٦١).
(٢) قوله: الصلاةَ جامعةً، تنصب (الصلاةَ) بتقدير: احضروا الصلاة، و(جامعةً) علىٰ الحال، ولو صرح بالعامل وهو: احضروا. لجاز. انظر "أوضح المسالك إلىٰ ألفية ابن مالك" (٤/ ٨٠).
(٣) هو الإمام عبد الرحمن بن مهدي، أحد رجال السند.

لَقُوا الْعَدُوَّ فَأُصِيبَ زَيْدٌ شَهِيدًا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ -فَاسْتَغْفَرَ لَهُ النَّاسُ- ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَشَدَّ عَلَىٰ الْقَوْمِ حَتَّىٰ قُتِلَ شَهِيدًا أَشْهَدُ لَهُ بِالشَّهَادَةِ فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ، ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَأَثْبَتَ قَدَمَيْهِ حَتَّىٰ أُصِيبَ شَهِيدًا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ، ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ الْأُمَرَاءِ هُوَ أَمَّرَ نَفْسَهُ» فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُصْبُعَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ هُوَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِكَ فَانْصُرْهُ»، وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مَرَّةً: «فَانْتَصِرْ بِهِ»؛ فَيَوْمَئِذٍ سُمِّيَ خَالِدٌ: سَيْفَ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «انْفِرُوا فَأَمِدُّوا إِخْوَانَكُمْ وَلَا يَتَخَلَّفَنَّ أَحَدٌ»، فَنَفَرَ النَّاسُ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ مُشَاةً وَرُكْبَانًا.(١)

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٩٩)، وهو حديث صحيح، رجاله كلهم ثقات، أما قول الحافظ في أحد رجاله وهو خالد بن سمير: إنه صدوق يهم قليلًا. فلا يوافق عليه؛ فقد وثقه النسائي، وذكره ابن حبان في "الثقات"، ووثقه العجلي كما في "تهذيب التهذيب"، ولا نعلم أحدًا جرحه إلا أن ابن جرير وابن عبد البر، والبيهقي ذكروا له حديثًا أخطأ في لفظة منه، وهذا لا يكفي في تنزيل حديثه إلىٰ مرتبة صدوق، فكيف بصدوق يهم قليلًا، وقد أصاب أصحاب "التحرير" في تعقبهم علىٰ الحافظ.

وصحح شيخنا الوادعي ﵀ حديثه في "الجامع الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" (٣/ ٣١٥-٣١٦) برقم (٢٠٩٦).

وانظر "السيرة" لابن إسحاق (ص٥٠٤-٥١٢)، وابن هشام (٢/ ٨٥٨-٨٧٠)، و"الاكتفاء" (٢/ ٢٠٥-٢١٤)، و"عيون الأثر" (٢/ ١٩٦-٢٠٠)، و"الفصول" (ص١٢٣-١٢٥).

وَفِيْهَا فِي رَمَضَانَ غَزْوَةُ الْفَتْحِ الْأَعْظَمِ، وَسَبَبُهُ نَكْثُ قُرَيْشٍ الْعَهْدَ بِمُسَاعَدَتِهِم [بَنِي][1] بَكْرٍ عَلَىٰ قَتْلِ خُزَاعَةَ فِي الْحَرَمِ. ⦗ش⦘ ....

⦗ش⦘ كان في صلح الحديبية أنه من شاء أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل، فتواثبت خزاعة وقالوا: نحن ندخل في عقد محمد وعهده. وتواثبت بنو بكر وقالوا: نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم. فمكثوا في تلك الهدنة نحو السبعة أو الثمانية عشر شهرا.

ثم إن بني بكر وثبوا علىٰ خزاعة ليلا بماء يقال له: الوتير. وهو قريب من مكة(٢)، وقالت قريش: ما يعلم بنا محمد وهذا الليل وما يرانا من أحد، فأعانوهم عليهم بالكُرَاع(٣) والسلاح وقاتلوهم معهم للضِّغن(٤) علىٰ رسول الله ﷺ، وأن عمرو بن سالم ركب عندما كان من أمر خزاعة وبني بكر بالوتير حتىٰ قدم علىٰ رسول الله ﷺ يخبر الخبر وقد قال أبيات شعر، فلما قدم علىٰ رسول الله ﷺ أنشدها إياه:

---

[١] ما بين المعقوفتين لا يوجد في المخطوط، وتم تصويبه من كتب السِّير.

(٢) وهو ماء بأسفل مكة لِخُزاعة، ويُعرف اليوم بالوتائر، كجمع وتير، وقد يقال: الوتران، وهما: شعبان جنوب غربي مكة، بطرف حدود الحرم تصب في العُكَيشة من الغرب تأتي من سود حُمّي، ثم يذهب ماؤها إلىٰ عُرَنة وهي في ديار خزاعة، وتبعد عن مكة ستة عشر كيلًا، وكانت قديمًا من ديار خزاعة أيضًا. "معجم معالم الحجاز" (٩/ ١٧٩٢).

(٣) الكُرَاع: اسم لجميع الخيل كما تقدم.

(٤) الضغن: الحقد، والعداوة، والبغضاء، وكذلك الضغينة، وجمعها: الضغائن. "النهاية" (٢/ ٨٥) مادة: ضَغَنَ.



لاهُمَّ إني ناشدٌ محمدا ... حلف أبيه وأبينا الاتلدا

قد كنتمُ وُلْدًا وكنَّا والِدَا ... ثَمَّتَ أسلمنا فلم ننزع يدا

فانصر رسول الله نصرا أَعتدا[١] ... وادع عباد الله يأتوا مددا

فيهم رسول الله قد تجردا ... إنْ سِيم[٢] خسفًا[٣] وجهُهُ تربَّدا

في فيلق كالبحر يجري مُزبدا ... إن قريشا أخلفوك الموعدا

ونقضوا ميثاقك المؤكدا ... وجعلوا لي في كَدَاءٍ رُصَّدا

وزعموا أن لست أدعو أحدا ... فهم أذل وأقل عددا

هم بيَّتونا بالوتير هُجَّدا ... وقَتلونا ركعا وسجَّدا

فقال رسول الله ﷺ: «**نصرت يا عمرو بن سالم**»، فما برح حتىٰ مرت بنا عنانة[٤] في السماء، فقال رسول الله ﷺ: «**إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب**»، وأمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز وكتمهم مخرجه، وسأل الله أن يعمي علىٰ قريش خبره حتىٰ يبغتهم في بلادهم.[٥]

واستخلف ﷺ علىٰ المدينة أبا رهم كلثوم بن حُصين.[٦]

---

(١) أي: حاضرًا. "شرح غريب السيرة" (٣/ ٧٥).

(٢) سيم، أي: طُلِبَ منه وكُلِّف. "شرح غريب السيرة" (٣/ ٧٥).

(٣) الخسف: الذل، وتربد، أي: تغير إلىٰ السواد. "شرح غريب السيرة" (٣/ ٧٥).

(٤) العنان: السحاب، والواحدة: عنانة. "النهاية" (٢/ ٢٦٦).

(٥) رواه ابن إسحاق بإسناد حسن كما في "البداية والنهاية" (٦/ ٥٠٩-٥١٠)، وصرح ابن إسحاق فيه التحديث.

(٦) رواه ابن إسحاق في "السيرة" (ص٥٢١) بإسناد حسن، وصرح فيه بالتحديث.

وخرج في رمضان من المدينة ومعه عشرة آلاف، وذلك علىٰ رأس ثمان سنين ونصف من مقدمه المدينة، فسار هو ومن معه من المسلمين إلىٰ مكة يصوم ويصومون حتىٰ بلغ الكَديد[1]، -وهو ماء بين عُسفان وقُدَيد- أفطروا.[2]

فلما نزل رسول الله ﷺ مر الظهران قال العباس بن عبد ا لمطلب: واصباح قريش، والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة[3] قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لهلاك قريش إلىٰ آخر الدهر.

قال: فجلست علىٰ بغلة رسول الله ﷺ البيضاء فخرجت عليها حتىٰ جئت الأَراك، فقلت: لعلِّي أجد بعض الحَطَّابة، أو صاحب لَبَنٍ[4] أو ذا حاجة يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة.

قال: فوالله، إني لأسير عليها وألتمس ما خرجت له إذ سمعت كلام أبي سفيـان وبُـديل بن ورقاء وهما يتراجعان، وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيرانًا

---

(١) ويُعرف الكَديد اليوم بالحَمْض؛ لكثرة نبات العَصْلاء فيه، وهو مكان من أسفل غُران قبل مصبه في وادي أَمَج كثير الرمال يزرع فيه الدُّخن عثريًّا، ومياهه مالحة لا تصلح للزرع، والطريق بين الدف وعُسفان يطأ طرف الكَديد الغربي علىٰ (٩٢) كيلًا من مكة، و(١٧) كيلًا من عُسفان. "معجم معالم الحجاز" (٧/ ١٤٣٤).

(٢) رواه البخاري برقم (٤٢٧٦)، ومسلم برقم (١١١٣).

(٣) أي: قهرًا وغلبةً، وهو مِنْ: عَنَا يعنو، إذا ذَلَّ وخضع. "النهاية" (٢/ ٢٦٨) مادة: عَنَا.

(٤) وصاحب اللبن هو الذي يطلب اللبن في المراعي، والبوادي. ينظر "النهاية" (٢/ ٥٨٤) مادة: لَبَنَ.

قط ولا عسكرًا. قال: يقول بُديل: هذه والله خزاعة حمشتها[(١)] الحرب.

قال: يقول أبو سفيان: خزاعة أذلّ وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها.

قال: فعرفت صوته فقلت: يا أبا حنظلة؟ فعرف صوتي.

فقال: أبو الفضل؟ قال: قلت: نعم.

قال: مالك فداك أبي وأمي! قال: قلت: ويحك يا أبا سفيان، هذا رسول الله ﷺ في الناس.

واصباح قريش والله، قال: فما الحيلة فداك أبي وأمي؟ قال: قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة حتىٰ آتيٰ بك رسول الله ﷺ فأستأمنه لك.

قال: فركب خلفي ورجع صاحباه.

قال: فجئت به، كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها قالوا: عم رسول الله ﷺ علىٰ بغلته. حتىٰ مررت بنار عمر بن الخطاب فقال: من هذا؟ وقام إلي، فلما رأىٰ أبا سفيان علىٰ عجز الدابة قال: أبو سفيان عدو الله! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد.

ثـم خرج يشتدُّ نحو رسول الله ﷺ، وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابـة

---

(١) أي: أحرقتها وألهبتها. انظر «النهاية» (٢/ ٤٣٢).

البطيئة الرجل البطيء، فاقتحمت عن البغلة، فدخلت علىٰ رسول الله ﷺ ودخل عليه عمر، فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعني فلأضرب عنقه. قال: قلت: يا رسول، إني قد أجرته.

ثم جلست إلىٰ رسول الله ﷺ فأخذت برأسه فقلت: والله لا يناجيه الليلة دوني رجل.

فلما أكثر عمر في شأنه قال قلت: مهلا يا عمر، فوالله أن لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلت هذا، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف.

فقال: مهلا يا عباس، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلىٰ رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم.

فقال رسول الله ﷺ: «**اذهب به يا عباس إلىٰ رحلك فإذا أصبحت فأتني به**».

قال: فذهبت به إلىٰ رحلي فبات عندي، فلما أصبح غدوت به إلىٰ رسول الله، فلما رآه رسول الله قال: «**ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟**» فقال: بأبي أنت وأمي! ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنىٰ عني شيئا بعد. قال: «**ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟**» قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أما هذه والله فإن في النفس منها حتىٰ الآن شيئا! فقال له العباس: ويحك أسلم

واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك؟ قال: فشهد شهادة الحق فأسلم.

قال العباس: فقلت يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئا. قال: «**نعم، من دخل دار أبىٰ سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن**».(١)

وَرَتَّبَ النَّبِيُّ ﷺ الجَيْشَ لِدُخُولِ مَكَّةَ، وَوَجَّهَهُم بِبَعْضِ التَّوْجِيهَاتِ، فَجَعَلَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ عَلَىٰ الْمُجَنِّبَةِ الْيُمْنَىٰ، وَجَعَلَ الزُّبَيْرَ عَلَىٰ الْمُجَنِّبَةِ الْيُسْرَىٰ، وَجَعَلَ أَبَا عُبَيْدَةَ عَلَىٰ الْبَيَاذِقَةِ(٢)، وَبَطْنِ الْوَادِي، فَقَالَ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، ادْعُ لِي الْأَنْصَارَ**»، فَدَعَوْتُهُمْ، فَجَاءُوا يُهَرْوِلُونَ، فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، هَلْ تَرَوْنَ أَوْبَاشَ قُرَيْشٍ؟**» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**انْظُرُوا، إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ غَدًا أَنْ تَحْصُدُوهُمْ حَصْدًا**»، وَأَحْفَىٰ(٣) بِيَدِهِ وَوَضَعَ يَمِينَهُ عَلَىٰ شِمَالِهِ، وَقَالَ: «**مَوْعِدُكُمُ الصَّفَا**(٤)» الحديث.(٥)

(١) رواه ابن إسحاق في "السيرة" (ص٥٢١) قال: حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عن عبيدالله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عبد الله بن عباس... .
وهذا إسناد حسن، وصرح فيه ابن إسحاق بالتحديث، وأما قوله: «**من دخل دار أبي سفيان فهو آمن**» إلىٰ قوله: «**من دخل المسجد فهو آمن**» فهي عند مسلم برقم (١٧٨٠) من حديث طويل كما سيأتي قريبًا.

(٢) البياذقة: هم الرجالة، وهو فارسيٌّ معربٌ، وأصله بالفارسية: أصحاب ركاب الملك، ومن يتصرف في أموره، قيل: سموا بذلك؛ لخفتهم وسرعة حركتهم. نووي.

(٣) أحفىٰ بيده، أي: أمالها وصْفًا للحصد والمبالغة في القتل، ومنه: أمره ﷺ أن تحفىٰ الشوارب، أي: يبالغ في قصها، وكل شيء استؤصل فقد احتُفي. وينظر "النهاية" (١/ ٤٠٠-٤٠١)، مادة: حفا.

(٤) الصفا: هو أحد جَبَلَي المسعىٰ. "النهاية" (٢/ ٤٠) مادة: صفا.

(٥) رواه مسلم برقم (١٧٨٠).

وَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ كَدَاءٍ[1] الَّتِي بِأَعْلَىٰ مَكَّةَ.[2]

فَمَا أَشْرَفَ يَوْمَئِذٍ لَهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَنَامُوهُ، وَصَعِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الصَّفَا، وَجَاءَتِ الْأَنْصَارُ فَأَطَافُوا بِالصَّفَا، فَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُبِيدَتْ خَضْرَاءُ قُرَيْشٍ لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَىٰ السِّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ**...» الحديث.[3]

وأهدر النبي ﷺ دمَ جماعة ممن أَلْحَقَ الأذىٰ الشديد بالمسلمين، وعددهم: سبعة عشر، بلغ عدد الرجال تسعة، والنساء ثمان، جمع الحافظ أسماءهم من روايات متفرقة في "فتح الباري" (٨/ ١٣).

ودخل النبي ﷺ مكة، وحَوْل الكعبة ثلثمائة وستون نصبًا، فجعل يطعنها بعودٍ كان بيده ويقول: «**جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ، إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا، جَاءَ**

(١) كَداء بالفتح والمد: الثنية العُليا بمكة مما يلي المقابر وهو المعلا، وكُدَىٰ بالضم والقصر: الثنية السفلىٰ مما يلي باب العمرة.

وأما كُدَيٌّ بالضم وتشديد الياء فهو موضع بأسفل مكة. "النهاية" (٢/ ٥٢٨).

وكداء اليوم يقال لها: الحَجون، وكُدَىٰ تعرف اليوم بريع الرسام؛ لأنه جعل فيها زمن الأشراف مركز لرسم البضائع الآتية من جُدَّة؛ فسميت بذلك، وهي ثنية يخرج منها الطريق من الحرم إلىٰ جَرْوَل تفصل بين نهاية قعيقعان في الجنوب الغربي وجبل الكعبة، وأما كُدَيّ فهي ثنية معروفة إلىٰ الآن بهذا الاسم يخرج فيها الطريق من مسفلة مكة إلىٰ جبل ثور، والخارج منها يدع جبل المثيب يمينه ثم يهبط علىٰ بطحاء قريش. ينظر "معجم معالم الحجاز" (٧/ ١٤٢٨-١٤٣٢).

(٢) رواه البخاري برقم (٤٢٩٠).

(٣) رواه مسلم برقم (١٧٨٠).

الحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ البَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ». [(١)]

ولم يدخل ﷺ البيت حتىٰ مُحِيَت الصور التي كانت فيه، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ، أَبَىٰ أَنْ يَدْخُلَ البَيْتَ وَفِيهِ الآلِهَةُ، فَأَمَرَ بِهَا فَأُخْرِجَتْ، فَأُخْرِجَ صُورَةُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ فِي أَيْدِيهِمَا مِنَ الأَزْلَامِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**قَاتَلَهُمُ اللَّهُ، لَقَدْ عَلِمُوا: مَا اسْتَقْسَمَا بِهَا قَطُّ**»، ثُمَّ دَخَلَ البَيْتَ، فَكَبَّرَ مِنْ نَوَاحِي البَيْتِ، وَخَرَجَ وَلَمْ يُصَلِّ [(٢)] [(٣)].

وهكذا تم تطهير البيت العتيق من مظاهر الوثنية، وأوضار [(٤)] الجاهلية؛ ليعود كما أراد الله تعالىٰ، وكما قصد ببنائه إبراهيم، وإسماعيل مكانًا لعبادة الله وتوحيده، ولاشك أن تطهير البيت من الأصنام كان أكبر ضربة للوثنية في أرجاء الجزيرة العربية حيث كانت الكعبة أعظم مراكزها، وكانت العرب تنتظر نهاية الصراع بين المسلمين وقريش، فلما كان الفتح أقبلت بجموعها وبادرت لإعلان إسلامها. [(٥)]

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٤٧٩)، ومسلم برقم (١٧٨١).
(٢) من الصحابة من نفىٰ أنه ﷺ صلىٰ في الكعبة عام الفتح، ومنهم من أثبت ذلك، وهناك كلام طيب جدًّا للحافظ في "فتح الباري" (٣/ ٥٩١) تحت حديث رقم (١٦٠١) فراجعه إن شئت.
(٣) رواه البخاري برقم (٤٢٨٨).
(٤) أي: آثار. وانظر "النهاية" (٢/ ٨٥٧) مادة: وَضَرَ.
(٥) "السيرة" للعمري (٢/ ٤٨٣-٤٨٤).

قال عمر بن أبي سلمة: كَانَتِ العَرَبُ تَلَوَّمُ(١) بِإِسْلاَمِهِمُ الفَتْحَ، فَيَقُولُونَ: اتْرُكُوهُ وَقَوْمَهُ؛ فَإِنَّهُ إِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فَهُوَ نَبِيٌّ صَادِقٌ. فَلَمَّا كَانَتْ وَقْعَةُ أَهْلِ الفَتْحِ، بَادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْلاَمِهِمْ.(٢)

وبعد أن أظهر الله الإسلام، ونصر أهله، وخذل المشركين، بدأت الدعوة الإسلامية تنتشر، فأرسل النبي ﷺ رُسُلَه لهدم مظاهر الشرك والوثنية كما سيأتي.

(١) أي: تنتظر.

(٢) رواه البخاري برقم (٤٢٨٨).

وَهُوَ الْفَتْحُ الَّذِي أَعَزَّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَكُسِرَتِ الْأَصْنَامُ، ثُمَّ بَعْدَهُ غَزْوَةُ هَوَازِنَ ..

لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان بذراريهم ونعمهم ومع النبي ﷺ عشرة آلاف ومعه الطلقاء[١]... [٢].

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: فجاء المشركون بأحسنِ صفوفٍ رأيتُ، فَصُفَّتِ الخيلُ، ثم صُفَّتِ المقاتلة، ثم صُفَّتِ النساء من وراء ذلك، ثم صُفَّتِ الغنم... [٣].

قال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَلَمْ نُفَارِقْهُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ أَهْدَاهَا لَهُ فَرْوَةُ بْنُ نُفَاثَةَ الْجُذَامِيُّ، فَلَمَّا الْتَقَىٰ الْمُسْلِمُونَ وَالْكُفَّارُ وَلَّىٰ الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الْكُفَّارِ، وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لَا تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيْ عَبَّاسُ، نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ**»، فَقَالَ عَبَّاسٌ: وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا، فَقُلْتُ بِأَعْلَىٰ صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟ قَالَ: فَوَاللهِ، لَكَأَنَّ

---

(١) الطلقاء هم الذين خَلَّىٰ عنهم يوم فتح مكة، وأطلقهم ولم يسترقهم. "النهاية" (٢/ ١٢٠-١٢١) مادة: طَلَقَ.

(٢) رواه البخاري برقم (٤٣٣٧)، ومسلم برقم (١٠٥٩).

(٣) رواه مسلم برقم (١٠٥٩).

عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَىٰ أَوْلَادِهَا، فَقَالُوا: يَا لَبَّيْكَ، يَا لَبَّيْكَ. فَاقْتَتَلُوا وَالْكُفَّارَ[(١)]، وَالدَّعْوَةُ فِي الْأَنْصَارِ[(٢)] يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ. ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَىٰ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَقَالُوا: يَا بَنِي الْحَارِثِ ابْنِ الْخَزْرَجِ، يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ. فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَىٰ بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَىٰ قِتَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوَطِيسُ**» قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَصَيَاتٍ فَرَمَىٰ بِهِنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: «**انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ**» قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَىٰ هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَىٰ، قَالَ: فَوَاللهِ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ فَمَا زِلْتُ أَرَىٰ حَدَّهُمْ كَلِيلًا[(٣)]، وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا.[(٤)]

فهزمهم الله عزوجل، وقَسَمَ رسولُ الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين.[(٥)]

ونبه الله الصحابة علىٰ أن النصر من عنده، سواء قَلَّ الجمع أو كثر، فقال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾[التوبة:٢٥].

(١) وهو بنصب (الكفار)، أي: مع الكفار. نووي.

(٢) أي: الاستغاثة والمناداة إليهم.

(٣) أي: ما زلت أرىٰ قوتهم. نووي.

(٤) رواه مسلم برقم (١٧٧٥).

(٥) رواه مسلم برقم (١٧٧٧).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» (٨/ ١٦٦): يذكر تعالىٰ للمؤمنين فضله عليهم وإحسانه لديهم في نصره إياهم في مواطن كثيرة من غزواتهم مع رسوله، وأن ذلك من عنده تعالىٰ، وبتأييده وتقديره، لا بعَددهم ولا بعُدتهم ونبههم علىٰ أن النصر من عنده، سواء قل الجمع أو كثر؛ فإنَّ يوم حُنين أعجبتهم كثرتهم، ومع هذا ما أجدىٰ ذلك عنهم شيئًا فولوا مدبرين إلا القليل منهم مع رسول الله ﷺ، ثم أنزل الله نصرَه وتأييده علىٰ رسوله وعلىٰ المؤمنين الذين معه... .اهـ

وَفِيْهَا وَقْعَةُ حُنَيْنٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ الطَّائِفِ وَحِصَارُهُ (أ)، وَلَمْ يَكُنْ فَتْحٌ حَتَّىٰ جَاءُوا مِنْ عَامٍ قَابِلٍ مُسْلِمِيْنَ[١]، وَفِي رُجُوعِهِ أَهَلَّ بِعُمْرَةٍ مِنَ الْجِعِرَّانَةِ بَعْدَ قَسِيْمَةِ الْغَنَائِمِ (ب) فِي ذِي الْقَعْدَةِ.

(أ) بعد أن هزم المسلمون هوازن وكان النصر حليفهم يوم حنين اتجهوا إلىٰ الطائف لغزو ثقيف، وكان ملك هوازن مالك بن عوف النصري دخل حصن ثقيف ليتحصن هنالك معهم، فَحَاصَرَهُم النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمْ يَنَلْ مِنْهُمْ شَيْئًا، قَالَ: «**إِنَّا قَافِلُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ**»، فَثَقُلَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: نَذْهَبُ وَلاَ نَفْتَحُهُ، وَقَالَ مَرَّةً: «**نَقْفُلُ**». فَقَالَ: «**اغْدُوا عَلَىٰ القِتَالِ**». فَغَدَوْا فَأَصَابَهُمْ جِرَاحٌ، فَقَالَ: «**إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ**»، فَأَعْجَبَهُمْ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ.(٢)

(ب) رجع النبي ﷺ من غزوة الطائف إلىٰ حنين؛ لأنه ترك هنالك الغنائم إلا أنه لم يقسمها إلا بعد بضع عشرة ليلة كان يأمل في إسلام هوازن.(٣)

فلما لم يحصل شيء من ذلك قام ﷺ بتوزيعها، فقسم في المهاجرين والطلقاء

---

[١] في المخطوط: [المسلمين] بالألف واللام، والصواب ما أثبت، وهو موافق لما في المنظومة، فقد قال رحمه الله:

وَهْوَ قُدُومُهُمْ بِثَانِي العَامِ ... جَمِيعُهُمْ سَعْيًا إِلَىٰ الإِسْلَامِ

أي: إنهم جاءوا مسلمين.

(٢) رواه البخاري برقم (٤٣٢٥)، ومسلم برقم (١٧٧٨).

(٣) كما في "صحيح البخاري" برقم (٤٣٣٨).

ولم يعط الأنصار شيئًا، فقالت الأنصار: إذا كانت شديدة نُدعىٰ، ويعطىٰ الغنيمة غيرنا. فبلغه ذلك، فجمعهم في قبة، فقال: «**مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ**»، فَقَالَ فُقَهَاءُ الأَنْصَارِ: أَمَّا رُؤَسَاؤُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئًا، وَأَمَّا نَاسٌ مِنَّا حَدِيثَةٌ أَسْنَانُهُمْ فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرُكُنَا، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَإِنِّي أُعْطِي رِجَالًا حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ أَتَأَلَّفُهُمْ، أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالأَمْوَالِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ رِحَالِكُمْ، فَوَاللَّهِ، لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ رَضِينَا. فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «**سَتَجِدُونَ أُثْرَةً شَدِيدَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ تَلْقَوُا اللَّهَ وَرَسُولَهُ؛ فَإِنِّي عَلَىٰ الحَوْضِ**».[1]

وبعدما قام النبي ﷺ بقسمة الغنائم جَاءَهُ وَفْدُ هَوَازِنَ مُسْلِمِينَ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَسَبْيَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَحَبُّ الحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ، فَاخْتَارُوا إِحْدَىٰ الطَّائِفَتَيْنِ: إِمَّا السَّبْيَ، وَإِمَّا المَالَ، وَقَدْ كُنْتُ اسْتَأْنَيْتُ بِهِمْ**».

قال الراوي: وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ انْتَظَرَهُمْ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حِينَ قَفَلَ مِنَ الطَّائِفِ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَيْرُ رَادٍّ إِلَيْهِمْ إِلَّا إِحْدَىٰ الطَّائِفَتَيْنِ، قَالُوا: فَإِنَّا نَخْتَارُ سَبْيَنَا. فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي المُسْلِمِينَ، فَأَثْنَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ هَؤُلَاءِ قَدْ جَاءُونَا تَائِبِينَ، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَرُدَّ إِلَيْهِمْ سَبْيَهُمْ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُطَيِّبَ بِذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَلَىٰ حَظِّهِ حَتَّىٰ نُعْطِيَهُ إِيَّاهُ مِنْ أَوَّلِ مَا يُفِيءُ اللَّهُ عَلَيْنَا فَلْيَفْعَلْ**» فَقَالَ النَّاسُ:

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٣٣٧)، ومسلم برقم (١٠٥٩).

قَدْ طَيَّبْنَا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّا لاَ نَدْرِي مَنْ أَذِنَ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ مِمَّنْ لَمْ يَأْذَنْ، فَارْجِعُوا حَتَّىٰ يَرْفَعَ إِلَيْنَا عُرَفَاؤُكُمْ أَمْرَكُمْ**» فَرَجَعَ النَّاسُ، فَكَلَّمَهُمْ عُرَفَاؤُهُمْ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ: أَنَّهُمْ قَدْ طَيَّبُوا وَأَذِنُوا.(١)

ثم خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة معتمرًا.(٢)

فلما فرغ من عمرته انصرف راجعًا إلىٰ المدينة، واستخلف عتاب بن أسيد علىٰ مكة، وخلف معه معاذ بن جبل يُفَقِّه الناس في الدين.(٣)

(١) رواه البخاري برقم (٢٣٠٧)، و(٢٣٠٨).

(٢) رواه البخاري برقم (١٧٧٨)، ومسلم برقم (١٢٥٣).

(٣) ابن إسحاق (ص٥٨٨) بدون سند، بتصرف يسير جدًّا.

س٦١/ مَاذَا وَقَعَ فِيْهَا مِنَ السَّرَايَا؟

ج/ فِيْهَا سَرِيَّةُ شُجَاعِ بْنِ وَهْبٍ إِلَىٰ هَوَازِنَ (أ) وَبَعْثُ كَعْبِ بْنِ عُمَيْرٍ [١] إِلَىٰ قُضَاعَةَ (ب)

(أ) بعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب في أربعة وعشرين رجلًا إلىٰ جَمْع من هوازن بالسِّي ناحية رُكبة(٢) من وراء المعدن، وهي من المدينة علىٰ خمس ليالٍ، وأمره أن يغير عليهم، وكان يسير الليل ويكمن النهار حتىٰ صبحهم وهم غارُّون، فأصابوا نَعَمًا كثيرًا وشاءً، واستاقوا ذلك حتىٰ قدموا المدينة، واقتسموا الغنيمة، وكانت سهامهم خمسة عشر بعيرًا، وعدلوا البعير بعشر من الغنم، وغابت السرية خمس عشرة ليلة.(٣)

(ب) بعث رسول الله ﷺ كعب بن عمير الغفاري في خمسة عشر رجلًا حتىٰ انتهوا إلىٰ أطلاح(٤) من أرض الشام فوجدوا جمعًا من جمعهم كثيرًا، فدعوهم إلىٰ الإسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل، فلما رأوا ذلك أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوهم أشد القتال حتىٰ قُتلوا وأفلت منهم رجل جريح في القتلىٰ، فلما برد عليه الليل تحامل حتىٰ أتىٰ رسول الله ﷺ، فأخبره الخبر، فشق ذلك عليه، وهمَّ بالبعث إليهم، فبلغهم أنهم قد ساروا إلىٰ موضع آخر فتركهم.(٥)

---

[١] في المخطوط: [عمر]، والتصويب من كتب السِّير.

(٢) أما اليوم فقد يطلق علىٰ كل ذلك السهل الذي كان بعضه ركبة وبعض السِّي اسم: ركبة. ولم يَعُد السِّي معروفًا. "معجم معالم الحجاز" (٤/ ٨٦٦).

(٣) "الطبقات" (٢/ ١١٨) بإسناد مرسل فيه الواقدي.

(٤) أطلاح بالحاء المهملة: موضع من وراء ذات القرىٰ إلىٰ المدينة. "معجم البلدان" لياقوت الحموي (١/ ٢٥٩).

(٥) "الطبقات" (٢/ ١١٩) بإسناد مرسل فيه الواقدي.

وَاسْتُشْهِدَ وَمَنْ مَعَهُ (أ)، وَقِيْلَ: عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِلَىٰ ذَاتِ السَّلَاسِلِ (ب)، ثُمَّ أَمَدَّهُ النَّبِيُّ ﷺ بِعِصَابَةِ الْمُهَاجِرِيْنَ، فِيْهِم: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَأَمَّر عَلَيْهِم أَبَا عُبَيْدَةَ، فَلَمَّا الْتَحَقُوا بِهِم سُلِّمَتِ الْإِمْرَةُ لِعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ.................................

(أ) إلا الذي أفلت منهم جريحًا.

(ب) وهي وراء وادي القرىٰ، وبينها وبين المدينة عشرة أيام، وكانت في جمادىٰ الآخرة سنة ثمان من مهاجر رسول الله ﷺ.

قالوا: بلغ رسول الله ﷺ أن جمعًا من قضاعة قد تجمعوا يريدون أن يدنوا إلىٰ أطراف رسول الله[1] ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ عمرو بن العاص، فعقد له لواءً أبيضَ، وجعل معه رايةً سوداء، وبعثه في ثلثمائة من سراة المهاجرين والأنصار، ومعهم ثلاثون فرسًا، وأمَرَه أن يستعين بمن يمر به من بَلي وعُذرة وبَلْقَين، فسار الليل، وكمن النهار، فلما قرب من القوم بلغه أن لهم جمعًا كثيرًا، فبعث رافع بن مكيث الجهني إلىٰ رسول الله ﷺ يستمده، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في مائتين، وعقد له لواءً، وبعث معه سراة المهاجرين والأنصار، وفيهم أبو بكر وعمر، وأمره أن يلحق بعمرو، وأن يكونا جميعًا ولا يختلف، فلحق بعمرو، فأراد أبو عبيدة أن يؤم الناس، فقال عمرو: إنما قدمت عليَّ مَدَدًا، وأنا الأمير. فأطاع له بذلك أبو عبيدة، وكان عمرو يـصلي بالناس حتىٰ وطئ بلاد بَليّ ودوَّخها حتىٰ أتىٰ

(١) هو كذا في "الطبقات" (٢/ ١٢١-١٢٢)، وفي "عيون الأثر" (٢/ ٢٠٢): إلىٰ أطراف.

إلىٰ أقصىٰ بلادهم وبلاد عُذرة وبَلقَين، ولقي في آخر ذلك جمعًا، فحمل عليهم المسلمون فهربوا في البلاد، وتفرقوا، ثم قفل وبعث عوف بن مالك الأشجعي بريدًا إلىٰ رسول الله ﷺ، فأخبره بقفولهم وسلامتهم وما كان في غزاتهم.[(١)]

(١) "الطبقات" (٢/ ١٢١-١٢٢) بدون سند، "عيون الأثر" (٢/ ٢٠٢).

وَفِيْهَا تيَمَّمَ عَنِ الْجَنَابَةِ لِشِدَّةِ الْبَرْدِ، وَصَلَّىٰ بِهِم، فَأَقَرَّهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ ذَلِكَ (أ) ثُمَّ سَرِيَّةُ أَبِي عُبَيْـدَةَ إِلَىٰ سِيفِ[1] الْبَحْرِ، وَفِيْهَا قِصَّةُ حُوتِ الْعَنْبَرِ (ب)، وَكُلُّهَا قَبْلَ الْفَتْحِ...

(أ) قصة تَيَمُّمِهِ رضي الله عنه، وهو جُنُب رواها أبو داود برقم (٣٣٤)، وصححها الألباني رحمه الله في "صحيح سنن أبي داود" (٢/ ١٥٤-١٥٦).

(ب) وكانت في رجب سنة ثمانٍ من مهاجر رسول الله ﷺ.[2]

قال جابر رضي الله عنه: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَمَّرَ عَلَيْنَا أَبَا عُبَيْدَةَ، نَتَلَقَّىٰ عِيرًا لِقُرَيْشٍ، وَزَوَّدَنَا جِرَابًا مِنْ تَمْرٍ لَمْ يَجِدْ لَنَا غَيْرَهُ، فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يُعْطِينَا تَمْرَةً تَمْرَةً، قَالَ[3]: فَقُلْتُ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ بِهَا؟ قَالَ: نَمَصُّهَا كَمَا يَمَصُّ الصَّبِيُّ، ثُمَّ نَشْرَبُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ، فَتَكْفِينَا يَوْمَنَا إِلَىٰ اللَّيْلِ، وَكُنَّا نَضْرِبُ بِعِصِيِّنَا الْخَبَطَ[4]، ثُمَّ نَبُلُّهُ بِالْمَاءِ فَنَأْكُلُهُ، قَالَ: وَانْطَلَقْنَا عَلَىٰ سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَرُفِعَ لَنَا عَلَىٰ سَاحِلِ الْبَحْرِ كَهَيْئَةِ الْكَثِيبِ الضَّخْمِ، فَأَتَيْنَاهُ فَإِذَا هِيَ دَابَّةٌ تُـدْعَىٰ الْعَنْبَرَ، قَـالَ: قَـالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: مَيْتَةٌ. ثُمَّ قَـالَ: لَا، بَلْ نَحْنُ رُسُلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَفِي سَبِيلِ اللهِ، وَقَـدِ اضْطُرِرْتُمْ فَكُلُوا. قَـالَ: فَأَقَمْنَا عَلَيْهِ شَهْرًا وَنَحْنُ ثَلَاثُ مِائَةٍ حَتَّىٰ سَمِنَّا، قَـالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا نَغْتَرِفُ مِنْ

(١) سِيفُ البَحْرِ، أي: سَاحِلُهُ. "النهاية" (١/ ٨٣٥) مادة: (سَيَفَ).

(٢) "الطبقات" (٢/ ١٢٢).

(٣) أي: الراوي عن جابر.

(٤) الخَبَط: ورق الشجر. وانظر "غريب الحديث" (١/ ٣٩٤) لابن قتيبة، و"النهاية" (١/ ٤٦٩) مادة: خَبَطَ.

وَقْبِ[١] عَيْنِهِ بِالْقِلَالِ الدُّهْنَ، وَنَقْتَطِعُ مِنْهُ الْفِدَرَ[٢] كَالثَّوْرِ، أَوْ كَقَدْرِ[٣] الثَّوْرِ، فَلَقَدْ أَخَذَ مِنَّا أَبُو عُبَيْدَةَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَأَقْعَدَهُمْ فِي وَقْبِ عَيْنِهِ، وَأَخَذَ ضِلَعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ فَأَقَامَهَا ثُمَّ رَحَلَ أَعْظَمَ بَعِيرٍ مَعَنَا، فَمَرَّ مِنْ تَحْتِهَا وَتَزَوَّدْنَا مِنْ لَحْمِهِ وَشَائِقَ[٤]، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «**هُوَ رِزْقٌ أَخْرَجَهُ اللهُ لَكُمْ، فَهَلْ مَعَكُمْ مِنْ لَحْمِهِ شَيْءٌ فَتُطْعِمُونَا؟**»، قَالَ: فَأَرْسَلْنَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْهُ فَأَكَلَهُ.[٥]

---

(١) الوقْب: هو النُّقرة التي تكون فيها العين. "النهاية" (٢/ ٨٦٩).

(٢) الفدرة: القطعة من كل شيء، وجمعها: فِدَر. "النهاية" (٢/ ٣٤٩).

(٣) قال النووي رحمه الله: (كَقَدْرِ الثور) رويناه بوجهين مشهورين في نسخ بلادنا، أحدهما: بقاف مفتوحة، ودال ساكنة، أي: مثل الثور. والثاني: كفِدَرِ الثور، جمع فدرة، والأول أصح.

(٤) جمع وشيقة، والوشيقة أن يؤخذ اللحم فيغلىٰ قليلًا ولا يُنضج، ويحمل في الأسفار. وقيل: هي القديد. "النهاية" (٢/ ٨٥١).

(٥) رواه البخاري برقم (٤٣٦٠) و(٤٣٦١)، ومسلم برقم (١٩٣٥)، واللفظ له.

وَفِيْهَا سَرِيَّةُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيْدِ إِلَىٰ بَنِي جُذَيْمَةَ[1] (أ)، فَقَالُوا: صَبَأْنَا. وَلَمْ يُحْسِنُوا: أَسْلَمْنَا؛ فَوَقَعَ بِهِم قَتْلًا وَأَسْرًا. (ب) ....

(أ) وبنو جذيمة كانوا بأسفل مكة علىٰ ليلةٍ، ناحية يلملم.(٢)

وقيل: إنَّ يلملم جبل من الطائف علىٰ ليلتين أو ثلاث(٣)، وقيل: هو واد.(٤)

(ب) وكان مع الذين ذهبوا مع خالد عبد الله بن عمر، وقد قصَّ ﵁ هذه الحادثة، فَقَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ إِلَىٰ بَنِي جَذِيمَةَ، فَدَعَاهُمْ إِلَىٰ الإِسْلاَمِ، فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا: أَسْلَمْنَا، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: صَبَأْنَا صَبَأْنَا. فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ مِنْهُمْ وَيَأْسِرُ، وَدَفَعَ إِلَىٰ كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ يَوْمٌ أَمَرَ خَالِدٌ أَنْ يَقْتُلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ، لاَ أَقْتُلُ أَسِيرِي، وَلَا يَقْتُلُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي أَسِيرَهُ، حَتَّىٰ قَدِمْنَا عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرْنَاهُ، فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ**» مَرَّتَيْنِ.(٥)

---

[١] في المخطوط: [خزيمة]، والتصويب من كتب السير والمغازي.

(٢) "الطبقات" (٢/ ١٣٦).

(٣) "معجم البلدان" (٨/ ٥١٤).

(٤) انظر "معجم معالم الحجاز" (١٠/ ١٨٦٢).

(٥) رواه البخاري برقم (٤٣٣٩).

فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَوَدَىٰ قَتْلَاهُم، وَرَدَّ أَمْوَالَهُم (أ)، وَبَعْدَهَا أَرْسَلَهُ لِهَدْمِ الْعُزَّىٰ (ب) وَكِلَاهُمَا فِي مُدَّةٍ مَا بَيْنَ الْفَتْحِ وَهَوَازِنَ.

(أ) قصة إرسال النبي ﷺ علي بن أبي طالب رواها ابن إسحاق[(١)]، بإسناد مرسل حسن، صرح فيه ابن إسحاق بالتحديث.

فائدة:

قال الحافظ رحمه الله في "فتح الباري" (٨/ ٧١): قوله (فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا) هذا من ابن عمر راوي الحديث يدل علىٰ أنه فهم أنهم أرادوا الإسلام حقيقة، ويؤيده فهمه أن قريشًا كانوا يقولون لكل من أسلم: صبأ. حتىٰ اشتهرت هذه اللفظة وصاروا يطلقونها في مقام الذم، ومن ثم لما أسلم ثمامة بن أثال وقدم مكة معتمرا قالوا له: صبأت. قال: لا، بل أسلمت. فلما اشتهرت هذه اللفظة بينهم في موضع أسلمت استعملها هؤلاء، وأما خالد فحمل هذه اللفظة علىٰ ظاهرها؛ لأن قولهم صبأنا، أي: خرجنا من دين إلىٰ دين، ولم يكتف خالد بذلك حتىٰ يصرحوا بالإسلام. وقال الخطابي: يحتمل أن يكون خالد نقم عليهم العدول عن لفظ الإسلام؛ لأنه فهم عنهم أن ذلك وقع منهم علىٰ سبيل الأنفة ولم ينقادوا إلىٰ الدين فقتلهم متأولا قولهم.اهـ

(ب) لمَّا فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالدَ بنَ الوليد إلىٰ نَخْلَةَ وكانت بها

---

(١) كما في "السيرة" لابن هشام (٢/ ٤٠٩).

العُزَّىٰ، فأتاها خالد بن الوليد وكانت علىٰ تلالِ السَّمُرَاتِ، فقطع السَّمُرات وهَدَم البيت الذي كان عليها، ثم أتىٰ النبي ﷺ فأخبره، فقال: «**ارجع؛ فإنك لم تصنع شيئًا**»، فرجع خالد، فلما نظرتْ إليه السَّدَنة -وهم حُجَّابها- أمعنوا في الجبل وهم يقولون: يا عُزَّىٰ خَبِّليه، يا عزَّىٰ عوِّريه، وإلا فموتي برغمٍ. فأتاها خالدٌ فإذا امرأة عُريانة ناشرةٌ شعرَها تحثو التراب علىٰ رأسها، فعممها بالسيف حتىٰ قتلها، ثم رجع إلىٰ النبي ﷺ فأخبره، قال: «**تلك العُزَّىٰ**».[(١)]

قال شيخ مشايخنا حافظ الحكمي رحمه الله في منظومته عن أحداث السنة الثامنة للهجرة النبوية علىٰ صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم:

أَسْلَمَ فِيهَا عَمْرُو بْنُ العَاصِ مَعْ ... خَالِدِ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَهْ وَوَقَعْ
بَعْثُ شُجَاعٍ بْنِ وَهْبِ الأَسَدِيْ ... إِلَىٰ هَوَازِنٍ فَفَا بِالرَّشَدِ
وَبَعْثُ كَعْبِ بْنِ عُمَيْرٍ لِبَنِي ... قُضَاعَةٍ وَاسْتَشْهَدُوا فَاسْتَبِنِ
وَكَانَ فِي أُولَىٰ جُمَادَىٰ مِنْهَا ... غَزْوَةُ مُؤْتَةٍ فَحَقِّقَنْهَا
وَزَيْدُ مَعْ جَعْفَرِ فِيهَا اسْتُشْهِدَا ... وَابْنُ رَوَاحَةٍ فَنِعْمَ الشُّهَدَا
وَأَخْبَرَ الرَّسُولُ بِاسْتِشْهَادِهِمْ ... مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجِيءَ مُخْبِرٌ بِهِمْ
وَفَتَحَ اللهُ لَهُمْ عَلَىٰ يَدِ ... خَالِدِ سَيْفِ اللهِ غَيْرِ مُغْمَدِ

(١) رواه أبو يعلىٰ (٢/ ١٩٦) برقم (٩٠٢) بإسناد حسن، وحسنه شيخنا رحمه الله في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" (١/ ٤٥٧) برقم (٥٣٥)، وانظر "السيرة" لابن هشام (٢/ ٩١٠)، و"الطبقات" (٢/ ١٣٥).

وَبَعْـثُ عَمْـرِو وَلَـدِ العَـاصِ إِلَـىٰ ... ذَاتِ السَّلَاسِـلِ هُنَـا قَـدْ نُقِـلَا

وَقَـدْ أَمَـدَّهُ الرَّسُـولُ آخِـرَا ... بِعُصْـبَةِ المُهَـاجِرِينَ أُمِّـرَا

عَلَيْهِمُـو أَمِـينُ هَـذِي الأُمَّـةِ ... أَبُـو عُبَيْـدَةَ بِـنَصِّ السُّـنَّةِ

وَفِـيهِمُ الصِّـدِّيقُ وَالفَـارُوقُ ثَـمْ ... إِذْ لحِقُـوا عَمْـرًا غَـدَا أَمِيـرُهُمْ

وَجُنُـبًا صَـلَّىٰ بِهِـمُ عَمـرٌو لِـمَا ... كَـانَ مِـنَ البَـرْدِ شَـدِيدًا مُؤْلِـمَا

وَقَـدْ أَقَـرَّهُ الرَّسُـولُ حِيـنَمَا ... أَخْبَـرَهُ بِعُـذْرِهِ فَلْيُفْـهَما

ثُـمَّ سَـرِيَّةٌ لِسِـيفِ البَحْـرِ ... عَلَيْهِمُـو عُبَيْـدَةُ فِـي الأَمْـرِ

وَكَـانَ فِيهَـا قِصَّـةُ الحُـوتِ كَـمَا ... جَـا فِـي الصَّـحِيحَيْنِ بِإِسْـنَادٍ سَـمَا

هَـذَا وَلَـمَّا أَنْ أَرَادَ اللهُ ... إِنْجَـازَ وَعْـدِهِ لمُصْـطَفَاهُ

بِفَـتْحِ مَكَّـةَ كَـمَا قَـدْ أَنْزَلَـهْ ... فِـي سُـورَةِ (الفَـتْحِ) بِـلَا مُجَادَلَـهْ[1]

عَـدَا بَنُـو بَكْـرٍ عَلَـىٰ خُزَاعَـةِ ... وَنَكَثُـو المِيثَـاقَ تِلْـكَ السَّـاعَةِ

وَسَـاعَدُوهُمْ مِـنْ قُـرَيْشٍ السُّـفَهَا ... بَغْيًـا وَعَـدْوًا لَـيْسَ فِـيهِمْ مَـنْ نَهَـىٰ

فَـأُخْبِرَ الرَّسُـولُ عَـنْ ذَا الأَمْـرِ ... ثُـمَّ غَزَاهُمُـو جَـزَاءَ الْغَـدْرِ

فِـي عَشْـرَةِ الآلَافِ فِـيمَا أُثِـرَا ... وَقِيلَ: بَلْ قَـدْ سَـارَ فِـي اثْنَـيْ عَشَـرا

مَخْرَجُـهُ لِلَيْلَتَـيْنِ خَلَتَـا ... مِـنْ رَمَضَـانَ هَكَـذَا قَـدْ ثَبَتَـا

وَثَبَـتَ الفِطْـرُ بِأَثْنَـاءِ السَّـفَرْ ... مِـنْ فِعْلِـهِ ثُـمَّ بِـهِ الجَـيْشَ أَمَـرْ

وَاللهُ أَخْفَـىٰ عَـنْ قُـرَيْشٍ الخَبَـرْ ... حَتَّـىٰ أَتَـاهُمُ النَّبِـي عَلَـىٰ قَـدَرْ

---

(١) كما في الآية رقم [٢٧] من سورة الفتح.

وَدَخَــلَ الرَّسُــولُ فِيهَــا سَــاجِدَا ... شُــكْرًا لِـذِي العَـرْشِ عَلَىٰ فَـتْحٍ بَـدَا

وَرَكَــزَ الرَّايَــةَ بِــالحَجُونِ ... وَكَــانَ فَتْحًــا قُــرَّةَ العُيُــونِ

فَتْحًــا بِــهِ كُسِّــرَتِ الأَصْــنَامُ ... وَالشِّــرْكُ ذَلَّ وَعَــلَا الإِسْــلَامُ

فَتْحًـا بِـهِ اسْتَبْشَـرَ أَجْمَـعُ الأَنَـامْ ... وَطَهَّـرَ اللهُ بِـهِ البَيْـتَ الحَـرَامْ

وخَطَـبَ النَّبِـيُّ ثُـمَّ أَطْلَقَـا ... قُرَيْشًـا اذْ ذَاكَ وَسُـمُّوا الطُّلَقَـا

وَدَخَلُـوا فِـي السِّـلْمِ مُنْقَادِينَـا ... لِكُـلِّ حُكْمِـهِ وَمُـذْعِنِينَا

وَكُـلُّ أَمْـرٍ جَـاهِلِيٍّ وَضَـعَهْ ... وَرَدَّ حُكْمَـهُ إِلَـىٰ مَـا شَـرَعَهْ

وَأَخْبَـرَ الأُمَّـةَ أَنَّ الحَرَمَـا ... حُرْمَتُـهُ عَـادَتْ كَـمَا تَقَـدَّمَا

وَللنَّبِـيْ مَـا حَـلَّ إِلَّا سَـاعَهْ ... وَهْـوَ حَـرَامٌ لِقِيَـامِ السَّـاعَهْ

وَأَرْسَـلَ الرَّسُـولُ خَالِـدًا إِلَـىٰ ... جَذِيمَـةٍ لَـيْسَ لَهُـمْ مُقَـاتِلَا

بَـلْ دَاعِيًـا فَلَـمْ يَعُـوا الإِسْـلَامَا ... قَـالُوا صَـبَأْنَا فَاسْـتَبَاحَ الهَامَـا

ضَـرْبًا وَأَسْـرًا فَـانْتَهَىٰ الأَمْـرُ إِلَـىٰ ... مُحَمَّـدِ الرَّسُـولِ ثُـمَّ أَرْسَـلَا

لَهُـمْ عَلِيًّـا فَـوَدَىٰ مَـنْ قُـتِلَا ... مِـنْهُمْ وَرَدَّ مَـا لَهُـمْ وَأَكْمَـلَا

وَقَـدْ تَبَـرَّأَ الرَّسُـولُ مُعْلِنَـا ... مِـنْ صُـنْعِ خَالِـدٍ بِهِـمْ وَمَـا جَنَـىٰ

وَبَعْـدَ ذَا أَرْسَـلَهُ لِيَهْـدِمَا ... لِصَـنَمِ العُـزَّىٰ فَلَـمَّا هُـدِمَا

وَعُقِـرَتْ شَـيْطَانُهُ ثُـمَّ[١] غَـنِمْ ... مَـا كَـانَ مِـنْ مَـالٍ بِبَيْتِـهِ عُلِـمْ

وَمَكَـثَ الرَّسُـولُ بَـاقِي الشَّـهْرِ ... بِمَكَّـةَ مَـعْ قَصْـرِهِ وَالفِطْـرِ

---

[١] في المخطوط: [فيهم] بدل: (ثم).

وَأَمَرَ الْمُقِيمَ بِالإِتْمَامِ ... كَذَاكَ لَا عُذْرَ مِنَ الصِّيَامِ

وَلِلفِرَاشِ قَدْ قَضَىٰ بِالْوَلَدِ ... كَمَا اسْتَبَانَ فِي الحَدِيثِ الْمُسْنَدِ

وَحُرِّمَتْ شَفَاعَةُ الحُدُودِ مِنْ ... بَعْدِ بُلُوغِهَا الإِمَامَ فَاسْتَبِنْ

وَبَعْدَهَا غَزَا هَوَازِنًا وَفِي ... ذَاكَ حُنَيْنًا يَوْمَهُ غَيْرُ خَفِي

وَكَانَ فِيهَا بَعْضُ مَنْ تُؤَلِّفَا ... فَانْجَفَلُوا عَنِ الرَّسُولِ الْمُصْطَفَىٰ

وَقَوْلُهُ: أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ ... مُنْتَسِبًا أَنَا ابْنُ عَبْدِ المَطَّلِبْ

وَمَعَهُ أَكَابِرُ الأَخْيَارِ ... مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ

نَادَاهُمُ العَبَّاسُ حِينَ أَمَرَهْ ... يَا آخِذِي البَيْعَةِ تَحْتَ الشَّجَرَهْ

فَانْحَدَرُوا كُلٌّ يَؤُمُّ الصَّوْتَا ... وَآثَرُوا عَلَىٰ الحَيَاةِ المَوْتَا

فَعِنْدَ ذَلِكَ الوَطِيسُ قَدْ حَمِي ... وَاشْتَدَّ فِي مَعْرَكِهِ الْمُزْدَحَمِ

ثُمَّ رَمَىٰ الرَّسُولُ بِالحَصْبَاءِ ... وُجُوهَهُمْ أَيْ أَوْجُهَ الأَعْدَاءِ

فَانْهَزَموا إِذْ ذَاكَ مُدْبِرِينَا ... وَتَرَكُوا الأَمْوَالَ وَالأَهْلِينَا

وَأَصْبَحَتْ لِلْمُسْلِمِينَ مَغْنَمَا ... وَلِلخُيُولِ وَالرِّجَالِ أَسْهُمَا

وَبَعْدَهَا الطَّائِفُ شَهْرًا حُوصِرَا ... وَلَمْ يَكُنْ فَتْحٌ لِأَمْرٍ قُدِرَا

وَهْوَ قُدُومُهُمْ بِثَانِي العَامِ ... جَمِيعُهُمْ سَعْيًا إِلَىٰ الإِسْلَامِ

وَفِي رُجُوعِهِ الرَّسُولُ أَطْلَقَا ... سَبْيَ هَوَازِنَ كَمَا قَدْ حُقِّقَا

وَقَسَمَ الأَمْوَالَ ثُمَّ آثَرَا ... قَوْمًا تَأَلُّفًا لَهُمْ بِمَا يَرَىٰ

لَمْ يَنَلِ الأَنْصَارُ شَيْئًا مِنْهَا ... بِحَيْثُ كَانُوا أَغْنِيَاءَ عَنْهَا

فَالنَّـــاسُ يَرْجِعُـــونَ بِالحُطَـــامِ ... وَهُـــمْ بِحَـــوْزِ سَـــيِّدِ الأَنَـــامِ

وَاعْتَـــرَضَ المُنَـــافِقُونَ وَالجُفَـــاهْ ... عَلَيْـــهِ فِي قِسْـــمَتِهِ بِـــمَا رَآهْ

لَكِـــنْ عَلَـــىٰ أَذَاهُمُـــو قَـــدْ صَـــبَرَا ... وَمَـــا إِلَيْـــهِ نَسَـــبُوا مِنْـــهُ بَـــرَا

وَبَعْـــدَهَا أَهَـــلَّ بِـــالعُمْرَةِ مِـــنْ ... جِعْرَانَـــةٍ وُسُـــمِّيَتْ بِهَـــا فَـــدِنْ

فِـي شَـهْرِ ذِي القَعْـدَةِ مِـنْ غَيـرِ مِـرَا ... وَلَمْ يُحَلِّـــقِ النَّبِـــيْ بَـــلْ قَصَّـــرَا

ثُـــمَّ انْثَنَـــىٰ مِنْهَـــا إِلَـــىٰ المَدِينَـــةِ ... فِـيمَا بَقِـي مِـنْ بَعْـضِ شَـهْرِ الحِجَّـةِ

س٦٢/ مَا الَّذِي وَقَعَ مِنَ الغزوات فِي سَنَةِ تِسْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ؟

ج/ وَقَـــعَ فِي رَجَبٍ مِنْهَا غَزْوَةُ تَبُــوكَ، وَهِيَ غَـــزْوَةُ الْعُسْرَةِ. (أ) ......

(أ) لذا بوَّبَ الإمام البخاري في "صحيحه" (٨/ ١٣٨) مع "الفتح"، فقال: بـاب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة.

قال الحافظ رحمه الله: مأخوذ من قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [التوبة:١١٧]، وهي تبوك.اهـ

لما أنزل الله عزوجل علىٰ رسوله: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩] ندب رسول الله ﷺ أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب إلىٰ الجهاد، وأعلمهم بغزو الروم، وذلك في رجب من سنة تسع.[1]

(١) "الفصول" (ص١٩٠).

وَحَمَلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ عَلَىٰ ثَلَاثِ مِائَةِ بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا (أ) ، وَأَقْتَابِهَا (ب) ، وَاسْتَخْلَفَ ﷺ عَلَىٰ الْمَدِينَةِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ (ج) ....

(أ) الأحلاس: جمع حِلْس، وهو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب.[1]

(ب) جمع قَتَب، وهو: الرَّحْل.[2]، والحديث بهذا التفصيل رواه أحمد (٤/ ٧٥)، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (٤/ ٢١٢)، وهو حديث ضعيف؛ في سنده: الوليد بن أبي هشام وشيخه فرقد بن أبي طلحة، وهما مجهولا حال.

لكن لا يشك مسلمٌ في أن عثمان رضي الله عنه هو الذي قام بتجهيز هذا الجيش كما جاء ذلك في "صحيح البخاري" برقم (٢٧٧٨): أَنَّ عُثْمَانَ رضي الله عنه حَيْثُ حُوصِرَ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: أَنْشُدُكُمُ اللَّهَ، وَلاَ أَنْشُدُ إِلَّا أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ حَفَرَ رُومَةَ فَلَهُ الجَنَّةُ**»؟؛ فَحَفَرْتُهَا، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ**»؟ فَجَهَّزْتُهُ، قَالَ[3]: فَصَدَّقُوهُ.

(ج) ثبت أنَّ النبي ﷺ استخلف عليًّا رضي الله عنه فقَالَ: أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ؟ قَالَ: «**أَلاَ تَرْضَىٰ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ، مِنْ مُوسَىٰ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي**».[4]

(١) "النهاية" (١/ ٤١٤).

(٢) انظر "الفائق في غريب الحديث" (٣/ ٦٦).

(٣) القائل: هو الراوي.

(٤) رواه البخاري برقم (٤٤١٦)، ومسلم برقم (٢٤٠٤).



وَكَانَ ﷺ قَلَّمَا يُرِيدُ غَزْوَةً يَغْزُوهَا إِلَّا وَرَّىٰ بِغَيْرِهَا، حَتَّىٰ كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ، فَغَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا، وَاسْتَقْبَلَ غَزْوَ عَدُوٍّ كَثِيرٍ، فَجَلَّىٰ لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ، لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ عَدُوِّهِمْ، وَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ.(١)

وفي طريقه ﷺ مرَّ بِالحِجْرِ وَقَالَ: «**لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ؛ أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ**».(٢)

وكان الصحابة رضوان الله عليهم اسْتَقَوْا مِنْ بِئْرِ ثَمُودَ، وَاعْتَجَنُوا بِهِ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُهَرِيقُوا مَا اسْتَقَوْا مِنْ بِئْرِهَا، وَأَنْ يَعْلِفُوا الإِبِلَ العَجِينَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ البِئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرِدُهَا النَّاقَةُ.(٣)

وأصاب الصحابة رضي الله عنهم في هذه الغزوة مجاعة، يقول شاهد عيان: لَمَّا كَانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَنَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا، فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**افْعَلُوا**»،فَجَاءَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ(٤)، وَلَكِنْ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، ثُمَّ ادْعُ اللهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَةِ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: فَدَعَا

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٩٤٨)، ومسلم برقم (٢٧٦٩)، واللفظ للبخاري.

(٢) رواه البخاري برقم (٤٤١٩)، ومسلم برقم (٢٩٨٠) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) رواه البخاري برقم (٣٣٧٩)، ومسلم برقم (٢٩٨١) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٤) الظهر: الإبل التي يَحمِل عليها، وتُركَب، يقال: عند فلان ظهر. أي: إبل. «النهاية» (٢/ ١٤٧).

بِنِطَعٍ[١]، فَبَسَطَهُ، ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، قَالَ: فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَةٍ، قَالَ: وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَفِّ تَمْرٍ، وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَسْرَةٍ[٢] حَتَّىٰ اجْتَمَعَ عَلَىٰ النِّطَعِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ يَسِيرٌ، قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْهِ بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ قَالَ: «**خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ**»، قَالَ: فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ، حَتَّىٰ مَا تَرَكُوا فِي الْعَسْكَرِ وِعَاءً إِلَّا مَلَئُوهُ، قَالَ: فَأَكَلُوا حَتَّىٰ شَبِعُوا، وَفَضَلَتْ فَضْلَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلْقَىٰ اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ، فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ**».[٣]

---

(١) النِّطَعُ: هي السفرة. «مشارق الأنوار» (٢/ ١١).

(٢) الكِسْرَة: هي القطعة من الشيء. «مختار الصحاح» مادة: كسر.

(٣) رواه مسلم برقم (٢٧)، وانظر «صحيح البخاري برقم (٢٩٨٢)، ومسلم برقم (٧٠٦).

وَصَالَحَ ﷺ فِيْهَا أَهْلَ أَيْلَةَ (أ)، وَأَذْرُحَ[١]، وَأُكَيْدِرَ (ب) دُوْمَةَ......................

(أ) قال أبو حميد الساعدي رضي الله عنه: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ تَبُوكَ، وَأَهْدَىٰ مَلِكُ أَيْلَةَ(٢) لِلنَّبِيِّ ﷺ بَغْلَةً بَيْضَاءَ، وَكَسَاهُ بُرْدًا، وَكَتَبَ لَهُ بِبَحْرِهِمْ.(٣)

قال ابن إسحاق في "السيرة" (ص٦٠٤): ولما انتهىٰ رسول الله ﷺ إلىٰ تبوك أتاه يُحَنَّة بن رؤبة صاحب أيلة، فصالح رسول الله ﷺ وأعطاه الجزية، وأتاه أهل جرباء وأذرح(٤) فأعطوه الجزية، فكتب رسول الله ﷺ لهم كتابًا فهو عندهم... إلخ.اهـ(٥)

(ب) قال قيس بن النعمان رضي الله عنه: خَرَجَتْ خيلٌ لرسول الله ﷺ، فسمع بها أُكَيْدر دومة الجندل، فانطلق إلىٰ رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، بلغني أن خيلك انطلقت، وإني خفت علىٰ أرضي ومالي، فاكتب لي كتابًا لا يُتعرض لشيء هو لي؛ فإني مُقِرٌّ بالذي عليَّ من الحق. فكتب له رسول الله ﷺ.(٦)

---

[١] في المخطوط: [أذرحا]، وهو خطأ؛ فإنه معطوف علىٰ ما قبله، وهو: أيلة، وأيلة مضاف إلىٰ أهل؛ فيكون أيلة مجرور بالإضافة، أو بالمضاف، علىٰ خلاف بين النحاة.

(٢) أيلة: بلد فيما بين مصر والشام. "النهاية" (١/ ٩٣) مادة: أَيَلَ.

(٣) رواه البخاري برقم (٣١٦١)، ومسلم برقم (١٣٩٢).

(٤) جرباء وأذرح هما قريتان بالشام بينهما ثلاث ليالٍ، أما جَرْبَة بالهاء فقرية بالمغرب. "النهاية" (١/ ٢٤٩) مادة: جَرَبَ.

(٥) وانظر "فتح الباري" (٦/ ٣٢٨).

(٦) رواه أبو يعلىٰ كما في "المطالب العالية" (١٧/ ٥٠٤)، وابن قانع في "معجم الصحابة" (٢/ ٣٥١) بإسناد صحيح رجاله ثقات كلهم، وقواه الحافظ في "فتح الباري" (٥/ ٢٧٤).

وَقَفَــلَ مِــنْ تَبُوكَ بَعْدَ عِشْرِيْنَ يَوْمًا أَقَامَهَا (أ) ، وَفِي رُجُوعِــهِ مِنْهَا كَانَتْ فَضِيْحَــةُ الْمُنَافِقِيْنَ (ب) ....

(أ) جاء ذلك من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: أقام رسول الله ﷺ بتبوك عشرين يومًا يقصر الصلاة.(١)

(ب) لأنهم أهل خسَّة، وإرجاف، ومكر، وخديعة؛ ففضحهم الله، طعنوا في حملة كتاب الله العظيم من أصحاب محمد ﷺ الأجلاء النبلاء رضي الله عنهم.

يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يومًا: ما رأيت مثل قُرَّائنا هؤلاء، لا أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنة، ولا أجبن عند اللقاء. فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنَّك منافق، لأُخبِرنَّ رسول الله ﷺ. فبلغ ذلك النبي ﷺ، ونزل القرآن، قال عبد الله: فأنا رأيته متعلقًا بِحَقَبِ(٢) ناقة رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة وهو يقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب. ورسول الله ﷺ يقول: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة:٦٥].(٣)

بل إنَّ أهل النفاق والشقاق أرادوا أن يطرحوا رسول الله ﷺ أرضًا.

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٢٩٥) وغيره، وصححه الألباني في "الإرواء" (٣/ ٢٢) برقم (٥٧٤)، ولكنه أُعِلَّ بالإرسال كما في "التلخيص الحبير" (٢/ ٥٣٢)، وانظر "العلل" للدارقطني (١٢/ ٢٢٥-٢٢٦).

(٢) الحَقَبُ: هو الحبل الذي يشد على حَقْو البعير. "النهاية" (١/ ٤٠٢) مادة: حَقَبَ.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في "التفسير" (٦/ ١٨٣٠) برقم (١٠٤٠١) بسند حسن، وانظر "الصحيح المسند من أسباب النزول" (ص١٢٣) لشيخنا الوادعي رحمه الله.

يقول أبو الطفيل رضي الله عنه: لَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَىٰ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ الْعَقَبَةَ فَلَا يَأْخُذْهَا أَحَدٌ، فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُودُهُ حُذَيْفَةُ وَيَسُوقُ بِهِ عَمَّارٌ إِذْ أَقْبَلَ رَهْطٌ مُتَلَثِّمُونَ عَلَىٰ الرَّوَاحِلِ غَشَوْا عَمَّارًا وَهُوَ يَسُوقُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَقْبَلَ عَمَّارٌ يَضْرِبُ وُجُوهَ الرَّوَاحِلِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحُذَيْفَةَ: «**قَدْ قَدْ**»[١] حَتَّىٰ هَبَطَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا هَبَطَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَزَلَ وَرَجَعَ عَمَّارٌ فَقَالَ: «**يَا عَمَّارُ، هَلْ عَرَفْتَ الْقَوْمَ؟**»، فَقَالَ: قَدْ عَرَفْتُ عَامَّةَ الرَّوَاحِلِ وَالْقَوْمُ مُتَلَثِّمُونَ. قَالَ: «**هَلْ تَدْرِي مَا أَرَادُوا؟**» قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**أَرَادُوا أَنْ يَنْفِرُوا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَطْرَحُوهُ**»، قَالَ: فَسَأَلَ عَمَّارٌ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: فَقَالَ نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ، كَمْ تَعْلَمُ كَانَ أَصْحَابُ الْعَقَبَةِ؟ فَقَالَ: أَرْبَعَةَ عَشَرَ. فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ فِيهِمْ، فَقَدْ كَانُوا خَمْسَةَ عَشَرَ. فَعَدَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ ثَلَاثَةً قَالُوا: وَاللَّهِ، مَا سَمِعْنَا مُنَادِيَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَا عَلِمْنَا مَا أَرَادَ الْقَوْمُ. فَقَالَ عَمَّارٌ: أَشْهَدُ أَنَّ الِاثْنَيْ عَشَرَ الْبَاقِينَ حَرْبٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ.[٢]

---

(١) قَدْ قَدْ: بمعنىٰ حَسْب، وتكرارها للتأكيد. "النهاية" (٢/ ٤٢٠).

(٢) رواه أحمد (٥/ ٤٥٣) بإسناد حسنٍ عالٍ، وانظر الحديث رقم (٢٧٧٩) من "صحيح مسلم".

الَّذِيْنَ أَنْزَلَ اللهُ فِيْهِم: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟﴾ [التوبة:٧٤] الآيَات (أ)، وَفِيْهَا هَدْمُ مَسْجِدِ الضِّرَارِ (ب) .....

(أ) انظر تفسيرها عند ابن كثير.

(ب) أقبل النبي ﷺ حتىٰ نزل بذي أوان بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار، وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلىٰ تبوك، فقالوا: يا رسول الله، إنَّا قد بنينا مسجدًا لذي العِلَّة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية، وإنَّا نحب أنْ تأتينا فتصلي لنا فيه. فقال: «**إني علىٰ جناح سفر وحال شغل** -أو كما قال- **ولو قد قدمنا إن شاء الله تعالىٰ لأتيناكم فصلينا فيه**»، فلما نزل بذي أوان أتاه خبر المسجد فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف، ومعن ابن عدي أو أخاه: عاصم بن عدي أخا بني العجلان، فقال: «**انطلقا إلىٰ هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه**»، فخرجا سريعين حتىٰ أتيا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم، فقال مالك: لمعن: أنظرني حتىٰ أخرج إليك بنارٍ من أهلي. فدخل إلىٰ أهله فأخذ سعفًا من النخل فأشعل فيه نارًا، ثم خرجا يشدان حتىٰ دخلاه وفيه أهله، فحرَّقاه وهدماه، وتفرقوا عنه، ونزل فيهم من القرآن ما نزل: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:١٠٧]، إلىٰ أخر القصة.[١]

---

(١) "السيرة" لابن إسحاق (٦٠٨) بدون سند.

فائدة:

ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "زاد المعاد" (٣/ ٥٧١) فوائد تضمنتها غزوة تبوك، فقال: ومنها: تحريقُ أمكنة المعصية التي يُعصىٰ اللهُ ورسولُه فيها وهدمُها، كما حرقَ رسول الله ﷺ مسجد الضِّرار، وأمر بهدمه، وهو مسجدٌ يُصلَّىٰ فيه، ويُذكر اسمُ الله فيه؛ لَمَّا كان بناؤه ضِرارًا وتفريقًا بين المؤمنينَ، ومأوًىٰ للمنافقين، وكُلُّ مكان هذا شأنه، فواجب علىٰ الإمام تعطيلُه، إما بهدم وتحريق، وإما بتغيير صورته وإخراجه عما وُضِعَ له، وإذا كان هذا شأنَ مسجد الضِّرارِ، فمشاهِدُ الشِّرْكِ التي تدعو سدنتُها إلِىٰ اتخاذ مَنْ فيها أندادًا من دون الله أحقُّ بالهدمِ وأوجب.

وكذلك محالُّ المعاصي والفسوق، كالحانات، وبُيوت الخمَّارين، وأرباب المنكرات.

وقد حرق عمرُ بن الخطاب قريةً بكمالها يُباع فيها الخمر، وحرق حانوت رُويشد الثقفي وسماه فويسقًا، وحرق قصرَ سعد عليه لما احتجب فيه عن الرعية، وهمَّ رسول الله ﷺ بتحريق بيوت تَاركي حضور الجماعة والجُمُعة، وإنما منعه مَن فيها من النساء والذُرِّية الذين لا تجبُ عليهم كما أخبر هو عن ذلك.اهـ

وَتَابَ اللهُ عَلَىٰ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا (أ)، وَهُم: كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، وَمُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيْعِ، وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ غَيْرُهُم مِنْ أَهْلِ الاِسْتِطَاعَةِ [إِلَّا مِنْ عُذْرٍ].[١]

(أ) أي: أُرجِئ أمرهم؛ لذا قال كعب رضي الله عنه -في قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾[التوبة:١١٨]-: وليس الذي ذكر الله مما خلِّفنا تَخَلُّفَنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرَنا عَمَّن حلَف له واعتذر إليه فقبل منه.(٢)

وقصة الذين خُلِّفوا جاء فيها حديث طويل رواه لنا أحدُهم وهو كعب بن مالك رضي الله عنه، وَلِمَا فيه من فوائد أسوقه بطوله:

قال كعب رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين: لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، حَتَّىٰ جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَىٰ غَيْرِ مِيعَادٍ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَيْلَةَ العَقَبَةِ(٣)، حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَىٰ الإِسْلَامِ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ، أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا، كَانَ مِنْ خَبَرِي: أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَىٰ وَلاَ أَيْسَرَ حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ، فِي تِلْكَ الغَزَاةِ، وَاللَّهِ مَا اجْتَمَعَتْ عِنْدِي قَبْلَهُ رَاحِلَتَانِ قَطُّ، حَتَّىٰ

[١] ما بين المعقوفتين كلمة غير واضحة في المخطوط، واجتهدت فيما أثبتُ بعد التأمل والنظر في حديث كعب بن مالك رضي الله عنه عندما تخلف في هذه الغزوة؛ فإنه قال رضي الله عنه: يحزنني أن لا أرىٰ لي أسوةً إلا رجلًا مغموصًا عليه في النفاق، أو رجلًا ممن عذر الله من الضعفاء... .

(٢) رواه البخاري برقم (٤٤١٨)، ومسلم برقم (٢٧٦٩)، وسيأتي قريبًا بطوله.

(٣) انظر ذلك في التعليق علىٰ جواب السؤال رقم (٣١).

جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الغَزْوَةِ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَّىٰ بِغَيْرِهَا، حَتَّىٰ كَانَتْ تِلْكَ الغَزْوَةُ، غَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا، وَمَفَازًا وَعَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَّىٰ لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ، وَالمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَثِيرٌ، وَلاَ يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ، يُرِيدُ الدِّيوَانَ.

قَالَ كَعْبٌ: فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنْ سَيَخْفَىٰ لَهُ، مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيُ اللَّهِ، وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ الغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلاَلُ، وَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالمُسْلِمُونَ مَعَهُ، فَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَىٰ بِي حَتَّىٰ اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الجِدُّ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا، فَقُلْتُ أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، ثُمَّ أَلْحَقُهُمْ، فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا لِأَتَجَهَّزَ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ، ثُمَّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّىٰ أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الغَزْوُ، وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ، فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي ذَلِكَ، فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَطُفْتُ فِيهِمْ، أَحْزَنَنِي أَنِّي لاَ أَرَىٰ إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ النِّفَاقُ، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّىٰ بَلَغَ تَبُوكَ.

فَقَالَ: وَهُوَ جَالِسٌ فِي القَوْمِ بِتَبُوكَ: «**مَا فَعَلَ كَعْبٌ؟**» فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ، وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا

قُلْتَ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّهُ تَوَجَّهَ قَافِلًا حَضَرَنِي هَمِّي، وَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الكَذِبَ، وَأَقُولُ: بِمَاذَا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا، وَاسْتَعَنْتُ عَلَىٰ ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا زَاحَ عَنِّي البَاطِلُ، وَعَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَخْرُجَ مِنْهُ أَبَدًا بِشَيْءٍ فِيهِ كَذِبٌ، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ، وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ، فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ المُخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلانِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَىٰ اللَّهِ، فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ المُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: «**تَعَالَ**»، فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّىٰ جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: «**مَا خَلَّفَكَ، أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ**»، فَقُلْتُ: بَلَىٰ، إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ، لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ اليَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَىٰ بِهِ عَنِّي، لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ، تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ، لاَ وَاللَّهِ، مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَىٰ، وَلاَ أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّىٰ يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ**»، فَقُمْتُ، وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي، فَقَالُوا لِي: وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ لاَ تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَا

اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْمُتَخَلِّفُونَ، قَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَكَ، فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونِي حَتَّىٰ أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي أَحَدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ، رَجُلاَنِ، قَالاَ مِثْلَ مَا قُلْتَ، فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ، فَقُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ العَمْرِيُّ، وَهِلاَلُ بْنُ أُمَيَّةَ الوَاقِفِيُّ، فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ، قَدْ شَهِدَا بَدْرًا، فِيهِمَا أُسْوَةٌ، فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي، وَنَهَىٰ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلاَمِنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ.

فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ، وَتَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّىٰ تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَىٰ ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا، فَكُنْتُ أَشَبَّ القَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلاَةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَطُوفُ فِي الأَسْوَاقِ وَلاَ يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلاَمِ عَلَيَّ أَمْ لاَ؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ، فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَىٰ صَلاَتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا التَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي.

حَتَّىٰ إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ، مَشَيْتُ حَتَّىٰ تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلاَمَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ، فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّىٰ تَسَوَّرْتُ الجِدَارَ.

قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ المَدِينَةِ، إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّأْمِ[1]، مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ، يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَىٰ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بِدَارِ هَوَانٍ، وَلاَ مَضْيَعَةٍ، فَالحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ. فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا: وَهَذَا أَيْضًا مِنَ البَلاَءِ، فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا.

حَتَّىٰ إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الخَمْسِينَ، إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ، فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا؟ أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: لاَ، بَلِ اعْتَزِلْهَا وَلاَ تَقْرَبْهَا.

وَأَرْسَلَ إِلَىٰ صَاحِبَيَّ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: الحَقِي بِأَهْلِكِ، فَتَكُونِي عِنْدَهُمْ، حَتَّىٰ يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الأَمْرِ، قَالَ كَعْبٌ: فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هِلاَلِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ هِلاَلَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ، لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ: «**لاَ، وَلَكِنْ لاَ يَقْرَبْكِ**». قَالَتْ: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَىٰ شَيْءٍ، وَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، مَا كَانَ إِلَىٰ يَوْمِهِ هَذَا، فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوِ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي امْرَأَتِكَ كَمَا أَذِنَ لِامْرَأَةِ هِلاَلِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ؟ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لاَ أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ؟

(١) من أنباط أهل الشام، نسبة إلىٰ استنباط الماء واستخراجه وهؤلاء كانوا في ذلك الوقت أهل الفلاحة، وهذا النبطي الشامي كان نصرانيًّا. "فتح الباري" (٨/ ١٥٢).

فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ، حَتَّىٰ كَمَلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَىٰ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كَلاَمِنَا، فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلاَةَ الفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، وَأَنَا عَلَىٰ ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَىٰ الحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ، أَوْفَىٰ عَلَىٰ جَبَلِ سَلْعٍ[١] بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ، قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، وَآذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّىٰ صَلاَةَ الفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا، وَسَعَىٰ سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ، فَأَوْفَىٰ عَلَىٰ الجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي، نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ، فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا، بِبُشْرَاهُ وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وَانْطَلَقْتُ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ.

قَالَ كَعْبٌ: حَتَّىٰ دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يُهَرْوِلُ حَتَّىٰ صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللَّهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ غَيْرَهُ، وَلاَ أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ، قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: «**أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ**»، قَالَ: قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟

---

(١) هو جبل متصل بالمدينة، وشهرته فيها كشهرة أُحد، يحيط به عمرانها اليوم. ينظر "معجم معالم الحجاز" (٤/ ٨٢٨).

قَالَ: «**لاَ، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**»، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّىٰ كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَىٰ اللَّهِ وَإِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**»، قُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لاَ أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا، مَا بَقِيتُ.

فَوَاللَّهِ، مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ المُسْلِمِينَ أَبْلاَهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلاَنِي، مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَىٰ يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيتُ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١١٧] إِلَىٰ قَوْلِهِ ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] فَوَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلاَمِ، أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنْ لاَ أَكُونَ كَذَبْتُهُ، فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ﴾ [التوبة: ٩٥] إِلَىٰ قَوْلِهِ ﴿فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦].

قَالَ كَعْبٌ: وَكُنَّا تَخَلَّفْنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ، فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّىٰ قَضَىٰ

اللَّهُ فِيهِ، فَبِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ [التوبة: ١١٨]، وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ مِمَّا خُلِّفْنَا عَنِ الغَزْوِ، إِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا، وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا، عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ.(١)

(١) رواه البخاري برقم (٤٤١٨)، ومسلم برقم (٢٧٦٩)، واللفظ للبخاري، وانظر فوائده في شرح الحديث نفسه للحافظين ابن حجر والنووي رحمهما الله، وكتاب "إتحاف السالك بفوائد حديث المخلفين من رواية كعب بن مالك" للشيخ سليم الهلالي.

س٦٣/ مَنْ أَمَّرَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْحَجِّ هَذِهِ السَّنَةِ؟

ج/ أَمَّرَ عَلَىٰ الْحَجِّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيْقَ، وَأَرْدَفَهُ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مُؤَذِّنًا بِصَدْرِ (براءة) فِي الْمَوْسِمِ، وَأَلَّا يَحُجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوف بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ [ت]، وَسُمِّيَتْ هَذِهِ السَّنَةُ: سَنَةُ الوُفُودِ؛ لِكَثْرَتِهِم فِيْهَا.

[ت] روىٰ البخاري، ومسلم من طريق حميد بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ فِي تِلْكَ الحَجَّةِ فِي مُؤَذِّنِينَ بَعَثَهُمْ يَوْمَ النَّحْرِ يُؤَذِّنُونَ بِمِنًىٰ: أَنْ لَا يَحُجَّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ.

قَالَ حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: ثُمَّ أَرْدَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَذِّنَ[١] بِبَرَاءَةَ.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَأَذَّنَ مَعَنَا عَلِيٌّ يَوْمَ النَّحْرِ فِي أَهْلِ مِنًىٰ بِبَرَاءَةَ، «وَأَنْ لَا يَحُجَّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ».[٢]

---

(١) المراد بالتأذين هنا: الإعلام، وهو اقتباسٌ من قوله تعالىٰ: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٣]، أي: إعلام. قاله الحافظ رحمه الله في "فتح الباري" (٨/ ٤٠٥).

قال في "النهاية" (١/ ٤٦): يقال: آذنَ يؤذِن إيذانًا. وأذَّنَ يؤذِّن تأذينًا، والمشدد مخصوص في الاستعمال بإعلام وقت الصلاة.اهـ

(٢) البخاري برقم (٤٦٥٥)، ومسلم برقم (١٣٤٧)، وهذا لفظ البخاري.

س٦٤/ اذْكُرْ جُمْلَةَ الْوُفُودِ (أ) فِيهَا مَعَ بَيَانِ الْمُتَقَدِّمِ عَنْهَا وَالْمُتَأَخِّرِ؟

ج/ وَفْدُ تَمِيمٍ، وَفِيهَا نَزَلَتْ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ [الحجرات:٤][1]، وَفْدُ عَبْدِ الْقَيْسِ[2] وَهُم قَبْلَ الْفَتْحِ. وَفْدُ بَنِي حَنِيْفَةَ[3]، وَفِيهِم مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ. وَفْدُ نَجْرَانَ[4]، وَفِيهِم نَزَلَ ثَلَاثٌ وَثَمَانُونَ آيَةً مِنْ صَدْرِ آلِ عِمْرَانَ. وَفْدُ بَنِي عَامِرٍ.[5] وَفْدُ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ (ب) أَخِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ. وَفْدُ طَيِّءٍ[6] مَعَ زَيْدِ الْخَيْلِ........................

(أ) تواترت الوفود هذه السَّنَة وما بعدها علىٰ رسول الله ﷺ مُذْعِنَةً بالإسلام داخِلِينَ في دين الله أفواجًا كما قال تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ١ - ٣].[7]

(ب) قصة وفد ضمام بن ثعلبة رواها ابن إسحاق كما في "السيرة" لابن هشام

---

(١) انظر "صحيح البخاري" برقم (٤٣٦٧).

(٢) "صحيح البخاري" برقم (٤٣٦٨)، و"صحيح مسلم" برقم (١٧)، و(١٨).

(٣) "صحيح البخاري" برقم (٤٣٧٢)، و(٤٣٧٣).

(٤) "صحيح البخاري" برقم (٤٣٨٠)، و"صحيح مسلم" برقم (٢٤٢٠).

(٥) "صحيح البخاري" برقم (٤٠٩٢).

(٦) "السيرة" لابن هشام (٢/ ١٠٢٣) بدون سند.

(٧) "النهاية" (ص١٩٦).

(٢/ ١٠٢١)، وأحمد (١/ ٢٦٥)، وفي السند عندهما: محمد بن الوليد بن نويفع، مجهول حال، لكنه توبع عند أبي داود برقم (٤٨٧)، تابعه سلمة بن كهيل؛ فيكون الإسناد حسنًا، وابن إسحاق صرح بالتحديث.

وَفْدُ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ.(١) وَفْدُ دَوْسٍ(٢) بِخَيْبَرَ، وَكَانَ سَيِّدُهُم الطُّفَيْلُ وَفَدَ قَبْلَ وَأَسْلَمَ. وَفْدُ الْأَشْعَرِيِّينَ(٣) فِي أَهْلِ الْهِجْرَتَيْنِ. وُفُودُ فَرْوَةَ بْنِ مُسَيْكٍ(٤) الْمُرَادِيِّ عَنْ قَوْمِهِ. وَفْدُ الْأَزْدِ.(٥) وَفْدُ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ الْكِنْدِيِّ.(٦) رُسُلُ مُلُوكِ حِمْيَرَ بِإِسْلَامِ قَوْمِهِم مَعَ كِتَابِ ذِي يَزَنٍ(٧)، وَكَتَبَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ كِتَابَ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ الْمُسْتَفِيْض.(٨) وُفُودُ جَرِيْرٍ الْبَجَلِيِّ.(٩) وُفُودُ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ.(١٠) وَفْدُ أَبِي رَزِيْنٍ الْعُقَيْلِي.(١١) وَفْدُ صُدَاءَ.[١٢] ....

---

(١) رواه ابن إسحاق كما في "السيرة" لابن هشام (٢/ ١٠٢٤-١٠٢٦) بدون سند، وانظر "السيرة" لابن كثير (٤/ ١٢٦-١٣٠).

(٢) رواه ابن إسحاق كما في "السيرة" لابن هشام (٢/ ١٠٢٥-١٠٢٩) بدون سند، وانظر "صحيح البخاري" برقم (٤٣٩٢)، و"صحيح مسلم" برقم (٢٥٢٤).

(٣) "صحيح البخاري" برقم (٣١٣٦)، و"صحيح مسلم" برقم (٢٥٠٢).

(٤) رواه ابن إسحاق في "السيرة" (ص٦٥٣-٦٥٤) بدون سند.

(٥) "الطبقات" (١/ ٢٨٣) من طريق: الواقدي، والطبري في"التاريخ" (٣/ ٨-٩) بإسناد مرسل، وفيه: محمد بن إسحاق لم يصرح بالتحديث.

(٦) رواه ابن إسحاق في "السيرة" (ص٦٥٥-٦٥٦) عن الزهري مرسلًا، وهو كذلك عند ابن سعد في "الطبقات" (١/ ٢٨٣-٢٨٤)، لكنه من طريق الواقدي.

(٧) "السيرة" لابن إسحاق (ص٦٥٨-٦٥٩) بدون سند، و"الطبقات" (١/ ٣٠٦) من طريق الواقدي.

(٨) انظر "التلخيص الحبير" (٤/ ١٧).

(٩) انظر "صحيح البخاري" برقم (٢٧١٤)، و"صحيح مسلم" برقم (٥٦).

(١٠) انظر "الطبقات" (٧/ ٣٠٠) بدون سند، و"الإصابة" (٣/ ٦٢٨-٦٢٩).

(١١) انظر وفد عقيل بن كعب من "الطبقات" (١/ ٢٦١) بإسناد ضعيف.

[١٢] في المخطوط: [صدئ]، والتصويب من كتب المغازي والسير، ووفد صداء في "الطبقات" (١/ ٢٨٢) بإسنادين الأول منهما فيه الواقدي وإبهام، والثاني فيه الواقدي وعبد الرحمن بن زياد الإفريقي.

وَفْدُ الْحَارِثِ الْبَكْرِيّ.[(١)] وَفْدُ ابْنِ أَبِي عَقَيْلٍ.[(٢)] وَفْدُ أَشْجَعَ.[(٣)] وَفْدُ فَرْوَةَ الْجُذَامِيِّ[(٤)] الَّذِي قَتَلَتْهُ الرُّومُ. وَفْدُ تَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيّ.[(٥)] وَفْدُ فَزَارَةَ.[(٦)] وَفْدُ أَسَدٍ.[(٧)] وَفْدُ بَنِي عَبْسٍ[(٨)]، وَكَانَ قَبْلَ الْفَتْحِ، بَلْ قَبْلَ الْحُدَيْبِيَةِ. وَفْدُ بَنِي مُرَّةَ.[(٩)] وَفْدُ بَنِي ثَعْلَبَةَ[(١٠)] بِالْجِعرَّانَة. وَفْدُ بَنِي الْحَارِثِ[(١١)] سَنَةَ عَشْرٍ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ. وَفْدُ بَنِي كِلَابٍ.[(١٢)] وَفْدُ بَنِي رُؤَاسٍ[(١٣)] مِنْهُم أَيْضًا. وَفْدُ بَنِي الْبُكَائِي.[(١٤)] وَفْدُ بَنِي عُقَيْلِ بْنِ كَعْبٍ.[(١٥)] وَفْدُ بْنِ قُشَيْرِ بْنِ كَعْبٍ.[(١٦)] ....

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٤٨٢) بإسناد حسن.

(٢) رواه ابن أبي عاصم في "السنة" برقم (٨٢٤)، وصححه الألباني رحمه الله.

(٣) "الطبقات" (١/ ٢٦٤) بدون سند.

(٤) "السيرة" لابن إسحاق (ص٦٦٠) بدون سند.

(٥) انظر "صحيح مسلم" برقم (٢٩٤٢)، و"السيرة" لابن كثير (٤/ ١٤٥).

(٦) "الطبقات" (١/ ٢٥٧).

(٧) "الطبقات" (١/ ٢٥٣-٢٥٤) من طريق الواقدي، وانظر "تفسير ابن كثير" (١٣/ ١٧٦) فقد ذكر أثرًا بإسناد صحيح إلىٰ ابن عباس يتعلق بوفد بني أسد، وعزاه للبزار.

(٨) "الطبقات" (١/ ٢٥٦)، من طريق: هشام بن محمد الكلبي، ومن طريق الواقدي.

(٩) "الطبقات" (١/ ٢٥٧-٢٥٨) من طريق الواقدي.

(١٠) "الطبقات" (١/ ٢٥٨) من طريق الواقدي.

(١١) "السيرة" لابن إسحاق (ص٦٦١) بدون سند، و"الطبقات" (١/ ٢٥٨).

(١٢) "الطبقات" (١/ ٢٥٩) من طريق الواقدي.

(١٣) "الطبقات" (١/ ٢٥٩-٢٦٠) بإسناد ضعيف.

(١٤) "الطبقات" (١/ ٢٦٢-٢٦٣) من طريق الواقدي.

(١٥) "الطبقات" (١/ ٢٦٠-٢٦١) بإسناد ضعيف.

(١٦) "الطبقات" (١/ ٢٦٢) وفيه انقطاع.

وَفْدُ كِنَانَةَ.[١] وَفْدُ بَاهِلَةَ.[٢] وَفْدُ بَنِي سُلَيْمٍ[٣] قَبْلَ الْفَتْحِ، وَشَهِدُوهُ. وَفْدُ بَنِي هِلَالِ ابْنِ عَامِرٍ.[٤] وَفْدُ بَنِي بَكْرٍ[٥]، وَفْدُ تَغْلِب.[٦] وَفْدُ تُجِيْبٍ[٧] مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ[٨]. وَفْدُ خَوْلَانَ[٩] فِي الْعَاشِرَةِ. وَفْدُ جُعْفِي.[١٠] وَفْدُ الْأَزْدِ.[١١] وَفْدُ بَنِي سَعْدِ هُذَيْمٍ.[١٢] وَفْدُ بَهْرَاء.[١٣] وَفْدُ عُذْرَة.[١٤] وَفْدُ بَلِي[١٥]، وَفِيْهِمُ السَّائِلُ عَنْ حُكْمِ اللُّقَطَةِ. وَفْدُ غَسَّانَ[١٦] فِي الْعَاشِرَةِ. وَفْدُ غَامِدٍ[١٧] فِي الْعَاشِرَةِ أَيْضًا. وَفْدُ النَّخعِ[١٨]، وَهُوَ آخِرُ الْوُفُودِ فِي شَهْرِ مُحَرَّمٍ سَنَةَ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ.

---

(١) "الطبقات" (١/ ٢٦٣-٢٦٤) بسند ضعيف.

(٢) "الطبقات" (١/ ٢٦٥) بسند ضعيف.

(٣) "الطبقات" (١/ ٢٦٥) بسند ضعيف.

(٤) "الطبقات" (١/ ٢٦٧) بسند ضعيف.

(٥) "الطبقات" (١/ ٢٧٢) بدون سند.

(٦) "الطبقات" (١/ ٢٧٣) من طريق الواقدي.

(٧) "الطبقات" (١/ ٢٧٩) من طريق الواقدي، و"عيون الأثر" (٢/ ٢٠٨).

(٨) انظر "عيون الأثر" (٢/ ٢٠٨).

(٩) "الطبقات" (١/ ٢٨٠) بإسناد ضعيف جدًّا.

(١٠) "الطبقات" (١/ ٢٨٠) بإسناد ضعيف جدًّا.

(١١) "الطبقات" (١/ ٢٩١)، من طريق الواقدي.

(١٢) "الطبقات" (١/ ٢٨٤) من طريق الواقدي.

(١٣) "الطبقات" (١/ ٢٨٥) من طريق الواقدي.

(١٤) "الطبقات" (١/ ٢٨٦) من طريق الواقدي.

(١٥) "الطبقات" (١/ ٢٨٥) من طريق الواقدي.

(١٦) "الطبقات" (١/ ٢٩٢) من طريق الواقدي.

(١٧) "الطبقات" (١/ ٢٩٨) من طريق الواقدي.

(١٨) "الطبقات" (١/ ٢٩٨) من طريق الواقدي.

قال الشيخ حافظ رَحِمَهُ اللهُ في منظومته عن أحداث السنة التاسعة:

كَانَ بِهَا غَزْوُ تَبُوكٍ فِي رَجَبْ ... وَقَصْدُهُ الرُّومَ فَإِذْ ذَاكَ انْتَدَبْ

مَعْهُ ثَلَاثُونَ مِنَ الآلَافِ ... مُقَاتِلُونَ كُلِّ ذِي خِلَافِ

وَابْنُ سَلُولٍ عَنْهُ قَدْ تَخَلَّفَا ... فِي حِزْبِهِ وَبَعْضُ مَنْ قَدْ خُلِّفَا

عُذْرُهُمُ الحَاجَةُ إِذْ لَمْ يَجِدُوا ... نَفَقَةً وَآخَرُونَ وَجَدُوا

لَكِنْ لِبُطْءِ نِيَّةٍ تَأَخَّرُوا ... مِثْلُ الثَلَاثَةِ الَّذِينَ ذُكِرُوا

وَآخَرُونَ أَغْنِيَا فَاخْتَارُوا ... تَخَلُّفًا مَا لَهُمُ اعْتِذَارُ

وَرَغَّبَ النَّبِيْ ذَوِي اليَسَارِ ... فِي أَنْ يُجَهِّزُوا ذَوِي الإِقْتَارِ

وَقَدْ أَتَى أَنَّ ابْنَ عَفَّانَ عَلَى ... ثَلَاثِمَائَةِ بِعِيْرٍ حَمَّلَا

كُلًّا مَعَ الأَحْلَاسِ وَالأَقْتَابِ ... وَكُلِّ لَازِمٍ بِلَا ارْتِيَابِ

وَلِعَلِيٍّ الرَّسُولُ اسْتَخْلَفَا ... فِي أَهْلِهِ مِنْ أَجْلِ ذَا تَخَلَّفَا

أَنْزَلَهُ الرَّسُولُ ذُو التَّكْرِيمِ ... مَنْزِلَ هَارُونَ مِنَ الكَلِيمِ

لَا فِي النُّبُوَّةِ الَّتِي قَدْ خُتِمَا ... بِنَاؤُهَا بِأَحْمَدٍ وَتُمِّمَا

فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ وَمُدَّعِي ... ذَا كَافِرٌ مَعْ مُؤْمِنٍ بِهِ فَعِ

وَأَهْلَ أَيْلَةَ الرَّسُولُ صَالَحَا ... وَأَهْلَ جَرْبَاءَ وَأَهْلَ أَذْرُحَا

وَلِأُكَيْدِرِ النَّبِيْ قَدْ أَرْسَلَا ... خَالِدَ ثُمَّ صُلْحُهُ قَدْ نُقِلَا

أَقَامَ عِشْرِينَ وَبَعْدَهَا قَفَلْ ... لِلدَّارِ هِجْرَةٍ وَبَأْسًا لَمْ يَنَلْ

وَكَـــانَ فِـــي طَرِيقِـــهِ قَـــدْ رَامُـــوا غَـــدْرًا[١] بِـــهِ الأَخَابِـــثُ اللِّئَـــامُ

مِـــنَ الْمُنَـــافِقِينَ لَكِـــنْ قَـــدْ كُفِـــي مِـــنْهُمْ بِـــإِذْنِ اللهِ ذِي الوَعْـــدِ الـــوَفِي

وَافْتُضِـــــحُوا فَضِـــــيحَةً لَا تُسْـــــتَرُ وَلَعَـــذَابٌ فِـــي الجَحِـــيمِ أَكْبَـــرُ

وَمَسْـــجِدُ الضِّـــرَارِ أَيْضًـــا هُـــدِمَا لأَمْـــرِهِ بِـــذَاكَ حِـــينَ قَـــدِمَا

وَتَـــابَ ذُوالعَـــرْشِ عَلَـــىٰ مَـــنْ صَـــدَقَا مِـــنَ الْمُخَلَّفِـــينَ لَا مَـــنْ نَافَقَـــا

وَللثَّلَاثَـــــةِ الَّـــــذِينَ خُلِّفُـــــوا طُـولُ حَـدِيثٍ فِـي الصَّـحِيحِ يُعْـرَفُ

وبَعْـــدَهَا فِـــي رَمَضَـــانَ قَـــدِمُوا وَفْـــدُ ثَقِيـــفٍ للنَّبِـــيْ فَأَسْـــلَمُوا

وَبَعَـــثَ الرَّسُـــولُ مَعْهُـــمْ مَـــنْ هَـــدَمَ طَـــاغُوتَهُمْ وَبَيْـــتَ مَالِـــهِ قَسَـــمَ

وَأَمَّـــرَ النَّبِـــيْ عَلَـــىٰ الحَـــجِّ أَبَـــا بَكْـــرٍ وَبَعْـــدَهُ عَلِـــيٌّ صَـــحِبَا

مُبَلِّغًـــــا عَـــــنِ الرَّسُـــــولِ أَوَّلَا سُـــورَةَ (تَوْبَـــةٍ) لِيَتْلُوهَـــا عَلَـــىٰ

مَجَـــامِعِ النَّـــاسِ لَـــدَىٰ المَوَاسِـــمِ وَلَا يَحُـــجَّ بَعْـــدُ غَيْـــرُ مُسْـــلِمِ

وَلَا يَحِـــلُّ أَنْ يَطُـــوفَ أَبَـــدَا بِالْبَيْـــتِ عُرْيَـــانٌ كَـــذَاكَ أُسْـــنِدَا

وَكَثُـــرَ الوُفُـــودُ فِـــي ذَا العَـــامِ لِرَغْبَـــةِ الـــدُّخُولِ فِـــي الإِسْـــلَامِ

فَلْنَسْـــرِدِ الآنَ الَّـــذِي تَيَسَّـــرَا مُبِـــينُ سَـــابِقٍ وَمَـــا تَـــأَخَّرَا

وَفْـــدُ تَمِـــيمٍ ثُـــمَّ فِـــيهِمْ نَزَلَـــتْ فِـــي (الحُجُـــرَاتِ) آيَتَـــانِ إِذْ عَلَـــتْ

أَصْـــوَاتُهُمْ عَلَـــىٰ النَّبِـــيِّ بِالنِّـــدَا وَوَفْـدُ عَبْـدِ القَـيْسِ لَكِـنْ قَـدْ بَـدَا

أَنَّ قُـــدُومَهُمْ عَلَـــىٰ الأَصَـــحِّ عَلَـــىٰ النَّبِـــيِّ كَـــانَ قَبْـــلَ الفَـــتْحِ

[١] في المخطوط: [فتكًا] بدل: (غدرًا)، والغدر أبلغ في الذم من الفتك، وهو كذا في المطبوع.

ثُــــمَّ بَنُــــو حَنِيفَـــــةَ وَفِيهِمُــــو ... كَـــــذَّابُهُمْ وَأُمِـــــرُوا أَنْ يَهْـــــدِمُوا

بِيْعَـــتَهُمْ مَـــعَ اتِّخَـــاذِ المَسْــجِدِ ... مَكَانَهَـــا للصَّـــلَوَاتِ فَاقْتَـــدِ

وَوَفْـــدُ نَجْـــرَانَ وَفِـــيهِمْ نَـــزَلَا ... مِـــنَ ابْتِـــدَاءِ (آلِ عِمْـــرَانَ) إِلَـــىٰ

رَأْسِ ثَـــلَاثٍ وَثَمَانِــــينَ وَقَـــدْ ... صَـــالَحَهُمْ نَبِيُّنَــــا كَـــمَا وَرَدْ

وَفْـــدُ بَنِـــي عَـــامِرٍ فَـــيهِمْ عَـــامِرُ ... أَصَـــابَهُ الطَّـــاعُونُ وَهْـــوَ غَـــادِرُ

وَمَعْـــهُ أَرْبَـــدَ فِـــي المُشَـــاقَقَه ... فَأَرْسَـــلَ اللهُ عَلَيْـــهِ الصَّـــاعِقَهْ

فَأَهْلِكَـــا جَـــزَاءَ مَـــا قَـــدْ أَجْرَمَـــا ... وَأَسْـــلَمَ البَـــاقُونَ مِـــنْ قَـــوْمِهِمَا

وَأُنْزِلَـــتْ فِـــي ذَلِـــكَ الآيَـــاتُ ... مِـــنْ سُـــورَةِ (الرَّعْـــدِ) مُبَيِّنَـــاتُ

ثُـــمَّ ضِـــمَامُ ذُو الفَـــلَاحِ وَافِـــدَا ... عَـــنْ قَوْمِـــهِ سَـــعْدِ بْـــنِ بَكْـــرٍ فَغَـــدَا

أَبْـــرَكَ وَافِـــدٍ بِحَيْـــثُ أَسْـــلَمُوا ... مِـــنْ يَـــوْمِهِمْ كُـــلًّا وَمَـــا تَلَعْثَمُـــوا

وَوَفْـــدُ طَـــيِّءٍ مَـــعَ زَيْـــدِ الخَيْـــلِ ... وَأَسْـــــــلَمُوا للهِ دُونَ مَيْـــــــلِ

قُـــدُومُ نَجْـــلِ حَـــاتِمٍ وَهْـــوَ عَـــدِيْ ... بَعْـــدَ فِـــرَارِهِ إِلَـــىٰ الحَـــقِّ هُـــدِي

وَوَفْـــدُ دَوْسٍ وَهْـــوَ فِـــيمَا ثَبَتَـــا ... بِخَيْبَـــرٍ حَيْـــثُ الطُّفَيْـــلُ قَـــدْ أَتَـــىٰ

إِلَـــىٰ النَّبِـــيْ بِمَكَّـــةٍ وَأَسْـــلَمَا ... ثُـــمَّ دَعَـــا دَوْسًـــا إِلَـــىٰ أَنْ تُسْـــلِمَا

كَـــذَا قُـــدُومُ الأَشْـــعَرِيِّينَ الغُـــرَرْ ... وَهُـــمْ أُهَيْـــلُ الهِجْـــرَتَيْنِ بِـــالأَثَرْ

إِذْ هَـــاجَرُوا إِلَـــىٰ النَّجَاشِـــي أَوَّلَا ... ثُـــمَّ لِيَثْـــرِبَ بِخَيْبَـــرٍ تَـــلَا

وَابْـــنِ مُسَـــيْكٍ فَـــرْوَةَ المُـــرَادِي ... أَيْ وَافِـــدًا عَـــنْ قَوْمِـــهِ مُـــرَادِ

وَوَفْـــدُ عَمْـــرِو بْـــنِ مَعْـــدِ يَكْرِبَـــا ... خُلْفًـــا لَنَـــا فِـــي كَوْنِـــهِ قَـــدْ صَـــحِبَا

كَذَا قُدُومُ صُرَدٍ فِي الأَزْدِ ... وَوَفْدُ الاشْعَثِ بْنِ قَيْسِ الكِنْدِي

رُسْلُ مُلُوكِ حِمْيَرٍ بِأَنَّهُمْ ... قَدْ أَسْلَمُوا بِلَا امْتِرَاءٍ كُلُّهُمْ

وَذَاكَ حِينَ قَدِمَ الرَّسُولُ مِنْ ... تَبُوكَ وَالْكَاتِبُ عَنْهُمْ ذُو يَزَنْ

وَكَتَبَ النَّبِيْ لَهُمْ كِتَابَا ... وَبَيَّنَ الأَحْكَامَ وَالنِّصَابَا

وَهْوَ كِتَابُ عَمْرِو بْنِ حَزْمِ ... وَذَاكَ أَصْلٌ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ

وَجَاءَ مُسْلِمًا جَرِيرُ البَجَلِي[١] ... كَذَاكَ مَقْدَمُ ابْنِ حُجْرٍ وَائِلِ

وَفْدُ أَبِي رَزِيْنِ العُقَيْلِي ... وَهُوَ رَاوِي النَّبَإِ الطَّوِيلِ

وَهْوَ حَدِيثٌ وَاضِحُ التَّبْيِينِ ... فِيهِ كَثِيرٌ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ

زِيَادُ ابْنُ الحَارِثِ الصُّدَائِي ... وَفْدًا أَتَىٰ عَنْ قَوْمِهِ صُدَاءِ

وَالحَارِثُ البَكْرِيُّ إِذْ يَشْكُو العَلَا ... وَابْنُ أَبِي عَقِيلِ جَاءَ فِي المَلَا

قُدُومُ طَارِقِ ابْنِ عَبْدِ اللهِ ... مَعْ قَوْمِهِ فَأَسْلَمُوا للهِ

قُدُومُ فَرْوَةَ الجُذَامِي مُسْلِمَا ... وَقَتَلَتْهُ الرُّومُ لَمَّا أَسْلَمَا

كَذَا تَمِيمُ ابْنُ أَوْسِ الدَّارِي ... إِذْ جَاءَ مُسْلِمًا بِلَا إِنْكَارِ

وَفْدُ فَزَارَةَ وَوَفْدُ أَسَدِ ... وَمِنْهُمُو وَابِصَةُ بْنُ مَعْبَدِ

وَفْدُ بَنِي عَبْسٍ قُبَيْلَ الفَتْحِ ... بَلْ إِنَّهُمْ لَا شَكَّ قَبْلَ الصُّلْحِ

وَفْدُ بَنِي مُرَّةَ وَاسْتَسْقَىٰ النَّبِيْ ... لَهُمْ لِكَوْنِهِمْ بِأَرْضٍ جَدْبِ

[١] في المخطوط: [البجيل]، وهو خطأ.

وَفْـــدُ بَنِـــي ثَعْلَبَـــةَ فِـــي سَـــنَةِ ثَـــمَانٍ وَالرَّسُـــولُ بِالجِعْرَانَـــةِ[١]

وَفْـــدُ بَنِـــي مُحَـــارِبٍ فِـــي عَشْـــرِ فِـــي حَجَّـــةِ الـــوَدَاعِ دُونَ نُكْـــرِ

وَفْـــدُ بَنِـــي كِـــلَابٍ ثُـــمَّ سَـــلَّمُوا عَلَـــىٰ النَّبِـــيْ تَحِيَّـــةً وَأَسْـــلَمُوا

وَفْـــدُ بَنِـــي رُؤاسٍ مِـــنْ كِـــلَابِ ثُـــمَّ بَنِـــي البَكْـــا بِـــلَا ارْتِيَـــابِ

وَفْـــدُ بَنِـــي عَقِيـــلٍ ابْـــنِ كَعْـــبِ كَـــذَا بَنُـــو قُشَـــيْرٍ بْـــنِ كَعْـــبِ

وَفْـــدُ كِنَانَـــةٍ وَوَفْـــدُ أَشْـــجَعِ بِاهِلَـــةٌ هُـــمْ عَقِـــبَ الفَـــتْحِ فَـــعِ

وَفْـــدُ بَنِـــي سُـــلَيمٍ قَبْـــلَ الفَـــتْحِ ثُـــمْ قَـــدْ شَـــهِدُوهُ وَحُنَيْنًـــا كُلُّهُـــمْ

وَفْـــدُ بَنِـــي هِـــلَالٍ بْـــنِ عَـــامِرِ وَفْـــدُ بَنِـــي بَكْـــرٍ وَتَغْلَـــبٍ دُرِىٰ

وَفْـــدُ تُجِيـــبٍ مِـــنْ أَهَيْـــلِ الـــيَمَنِ وَوَفْـــدُ خَـــوْلَانَ بِعَشْـــرٍ فَـــافْطِنِ

وَوَفْـــدُ جُعْفِـــيٍّ وَوَفْـــدُ الأَزْدِ وَكَـــانَ فِـــيهِمْ مِـــنْ خِصَـــالِ الرُّشْـــدِ

وَفْـــدُ بَنِـــي سَـــعْدِ هُـــذَيْمٍ وَفْـــدُ بَهْـــرًا وَوَفْـــدُ عُـــذْرَةٍ وَبَعْـــدُ

وَفْـــدُ بَلِـــي وَفِـــيهِمُ السَّـــائِلُ عَـــنْ مُلْـــتَقَطٍ مَـــا حُكْمُـــهُ وَمَـــا يُسَـــنْ

وَوَفْـــدُ غَسَّـــانَ بِعَـــامِ العَاشِـــرِ وَكَتَمُـــوا إِيمَانَهُـــمْ فِـــي الأَثَـــرِ

وَوَفْـــدُ غَامِـــدٍ بِعَشْـــرٍ قَـــدِمُوا وَالنَّخْـــعُ آخِـــرُ الوُفُـــودِ يُعْلَـــمُ

فِـــي حَـــادِي العَشْـــرَةِ فِـــي المُحَـــرَّمِ وَأَسْـــلَمُوا مِـــنْ قَبْـــلِ ذَاكَ فَـــاعْلَمِ

---

[١] في المخطوط: [بالعجرانة]، والصواب ما أثبت، وانظر «الطبقات» (١/ ٢٥٨).

س٦٥/ مَاذَا وَقَعَ فِي سَنَةِ عَشْرٍ مِنَ الْبُعُوثِ وَالسَّرَايَا؟

ج/ فِيْهَا سَرِيَّةُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيْدِ إِلَىٰ نَجْرَانَ، فَجَاءَ بِهِم مُسْلِمِيْنَ فِي صَدْرِ ذِي الْقَعْدَةِ، وَفِيهَا بَعَثَ ﷺ عَلِيًّا إِلَىٰ الْيَمَنِ (أ) قَبْلَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدِمَ بِبَقِيَّةِ الْهَدْيِ مَعَهُ. (ب)

وَفِيْهَا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ، وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ عَامِلَيْنِ عَلَىٰ أَرْضِ الْيَمَنِ، وَأَمَرَهُمَا[١] أَنْ يُيَسِّرَا وَلَا يُعَسِّرَا، وَيُبَشِّرَا وَلَا يُنَفِّرَا، وَأَنْ يَتَطَاوَعَا وَلَا يَخْتَلِفَا(٢)، وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ حَجَّةُ الْوَدَاعِ الَّتِي بِهَا كَمُلَتْ دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ.

(أ) قال البراء بن عازب رضي الله عنهما: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ خَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ إِلَىٰ اليَمَنِ، قَالَ: ثُمَّ بَعَثَ عَلِيًّا بَعْدَ ذَلِكَ مَكَانَهُ فَقَالَ: «**مُرْ أَصْحَابَ خَالِدٍ، مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ أَنْ يُعَقِّبَ مَعَكَ فَلْيُعَقِّبْ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُقْبِلْ**». (٣)

(ب) كما في حديث جابر الطويل عند مسلم برقم (١٢١٨)، وفيه: وقدم عليٌّ من اليمن بِبُدْنِ النبي ﷺ... الحديث، وسيأتي قريبًا.

قال الشيخ حافظ رحمه الله عن وقائع وأحداث السنة العاشرة للهجرة:

---

[١] في المخطوط: [أمرهم] بضمير الجمع، وما أثبته أصوب؛ لأنهما اثنان، فيؤتىٰ بضمير التثنية.

(٢) رواه البخاري برقم (٣٠٣٨)، ومسلم برقم (١٧٣٣).

(٣) رواه البخاري برقم (٤٣٤٩).

فِيهَا النَّبِيْ أَرْسَلَ خَالِدًا إِلَى ... نَجْرَانَ ثُمَّ أَسْلَمُوا وَأَقْبَلَا

خَالِدُ مَعْ وَفْدِهِمُو فَآبُوا ... فِي صَدْرِ ذِي القَعْدَةِ لَا ارْتِيَابُ

وَبَعَثَ النَّبِيْ عَلِيًّا لِلْيَمَنْ ... مِنْ قَبْلِ حَجَّةِ الوَدَاعِ فَاعْلَمَنْ

وَأَدْرَكَ الحَجَّ مَعَ النَّبِيِّ ثُمْ ... عَادَ لِصَحْبِهِ لِيَسْتَقْبِلَهُمْ

كَذَا أَبُو مُوسَى بْنُ قَيْسِ الأَشْعَرِي ... مَعْهُ مُعَاذٌ عَامِلَيْنِ فَأْثِرِ

لِلْيَمَنِ المَيْمُونِ ثُمَّ أُمِرَا ... بِأَن يُيَسِّرَا وَلَا يُعَسِّرَا

وَأَنْ يُبَشِّرَا وَلَا يُنَفِّرَا ... وَيَتَطَاوَعَا عَلَى مَا أُمِّرَا

س٦٦/ كَيْفَ صِفَةُ حَجَّةِ الْوَدَاعِ؟

ج/ قَالَ الْإِمَامُ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ فِي حَجِّهِ (أ): حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، جَمِيعًا عَنْ حَاتِمٍ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمَدَنِيُّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَىٰ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، فَسَأَلَ عَنِ الْقَوْمِ حَتَّىٰ انْتَهَىٰ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، فَأَهْوَىٰ بِيَدِهِ إِلَىٰ رَأْسِي فَنَزَعَ زِرِّي الْأَعْلَىٰ، ثُمَّ نَزَعَ زِرِّي الْأَسْفَلَ، ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ ثَدْيَيَّ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ شَابٌّ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ، يَا ابْنَ أَخِي، سَلْ عَمَّا شِئْتَ[١]، فَسَأَلْتُهُ، وَهُوَ أَعْمَىٰ[٢]، وَحَضَرَ وَقْتُ الصَّلَاةِ، فَقَامَ فِي نِسَاجَةٍ[٣] مُلْتَحِفًا بِهَا، كُلَّمَا وَضَعَهَا عَلَىٰ مَنْكِبِهِ رَجَعَ طَرَفَاهَا إِلَيْهِ مِنْ صِغَرِهَا، وَرِدَاؤُهُ إِلَىٰ جَنْبِهِ، عَلَىٰ الْمِشْجَبِ، فَصَلَّىٰ بِنَا، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ حَجَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَقَالَ: بِيَدِهِ فَعَقَدَ تِسْعًا، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَكَثَ تِسْعَ (ب) سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ، ثُمَّ أَذَّنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَاجٌّ.[٤] ......

(أ) أي: في حجِّ النبي ﷺ.

(ب) أما متىٰ فُرِض الحج؟ فانظر التعليق علىٰ جواب السؤال رقم (٥٢).

[١] في المخطوط: [شيت]، والتصويب من "صحيح مسلم".

[٢] في المخطوط: [عمي]، والتصويب من "صحيح مسلم".

[٣] في المخطوط: [نساحه] بالحاء المهملة، والتصويب من "صحيح مسلم".

[٤] في المخطوط: [حج]، والتصويب من "صحيح مسلم".

فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ، كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ، فَخَرَجْنَا مَعَهُ، حَتَّىٰ أَتَيْنَا ذَا[١] الْحُلَيْفَةِ (أ)، فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَأَرْسَلَتْ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ: كَيْفَ أَصْنَعُ؟ قَالَ: «**اغْتَسِلِي، وَاسْتَثْفِرِي (ب) بِثَوْبٍ وَأَحْرِمِي**»، فَصَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ (ج)، حَتَّىٰ إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَىٰ الْبَيْدَاءِ، نَظَرْتُ إِلَىٰ مَدِّ بَصَرِي بَيْنَ يَدَيْهِ، مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ، وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ، وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ، وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ، فَأَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ: «**لَبَّيْكَ اللهُمَّ، لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ، وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ**»....

(أ) ذو الحليفة قرية بينها وبين المدينة ستة أميال، أو سبعة، ومنها ميقات أهل المدينة. "معجم البلدان" (٢/ ٣٤٠).

(ب) الاستثفار: هو أن تشد في وسطها شيئًا، أو تأخذ خرقةً عريضةً تجعلها علىٰ محال الدم، وتشد طرفيها من قدامها، ومن ورائها في ذلك المشدود في وسطها، وهو شبيهٌ بثفَر الدابة بفتح الفاء، وفيه صحة إحرام النفساء، وهو مجمع عليه، والله أعلم. قاله النووي رحمه الله (٨/ ٤٠٥).

(ج) القصواء: هي بفتح القاف، وبالمد، وهو اسم لناقةِ النبي ﷺ، وذكروا لها أسماء أخرىٰ. "شرح النووي" (٨/ ٤٠٥).

---

[١] في المخطوط: [ذو]، والتصويب من "صحيح مسلم".

وَأَهَلَّ النَّاسُ بِهَذَا الَّذِي يُهِلُّونَ بِهِ، فَلَمْ يَرُدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْهِمْ شَيْئًا (أ) مِنْهُ، وَلَزِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَلْبِيَتَهُ، قَالَ جَابِرٌ رضي الله عنه: لَسْنَا نَنْوِي إِلَّا الْحَجَّ، لَسْنَا نَعْرِفُ الْعُمْرَةَ، حَتَّىٰ إِذَا أَتَيْنَا الْبَيْتَ[١] مَعَهُ، اسْتَلَمَ الرُّكْنَ. (ب) ....

(أ) إشارة إلىٰ ما رُوي من زيادة الناس فيها في الثناء علىٰ الله والذكر، كما روي في ذلك عن عمر، وذلك أنه كان يزيد: لبيك ذا النعماء والفضل الحسن، لبيك مرهوبا منك ومرغوبا إليك. وعن ابن عمر: لبيك وسعديك، والخير بيديك، والرغباء إليك والعمل. وعن أنس: لبيك حقًّا تعبدًا ورقًّا. والاستحباب عند أكثر العلماء أن تلبي بما لبىٰ به النبي ﷺ، قال مالك: وإن اقتصر عليها فحسن، وإن زاد فحسن. وقال الشافعي: الأفضل الاقتصار عليها إلا أن يزيد ألفاظًا رويت عن النبي ﷺ، مثل قوله: «**لبيك إله الحق**» ونحوه.اهـ[٢]

(ب) السُّنَّة في الركن الأسود تقبيله، فإن لم يتيسر استلمه بيده وقبلها، وإلا استلمه بنحو عصا وقَبَّلَها، وإلا أشار إليه، ولا يشرع شيءٌ من هذا في الأركان الأخرىٰ إلا الركن اليماني؛ فإنه يحسن استلامه فقط، ويسن التكبير عند الركن الأسود في كل طوفة؛ لحديث ابن عباس قال: طاف النبي ﷺ بالبيت علىٰ بعيره كلما أتىٰ الركن أشار إليه بشيءٍ كان عنده، وكَبَّـرَ.[٣]

---

(١) انظر "الشرح الممتع" (٧/ ٢٧٩-٢٨٠) للعثيمين.

(٢) "إكمال المعلم" (٤/ ٢٧٠) للقاضي عياض.

(٣) رواه البخاري برقم (١٦١٢).

وأما التسمية فلم أرها في حديث مرفوع، وإنما صحَّ عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا استلم الحجر قال: باسم الله والله أكبر.

أخرجه البيهقي (٥/ ٧٩)، وغيره بسند صحيح كما قال النووي، والعسقلاني، ووهم ابن القيم رحمه الله فذكره من رواية الطبراني مرفوعًا، وإنما رواه موقوفًا كالبيهقي كما ذكر الحافظ في "التلخيص"، فوجب التنبيه عليه حتىٰ لا يلصق بالسنة الصريحة ما ليس منها.اهـ(١)

(١) من "حجة النبي صلى الله عليه وسلم كما رواها جابر" (ص٥٧) للعلامة الألباني رحمه الله.

فَرَمَلَ (أ) ثَلَاثًا وَمَشَىٰ أَرْبَعًا، ثُمَّ نَفَذَ إِلَىٰ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، فَقَرَأَ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ، فَكَانَ أَبِي (ب) يَقُولُ -وَلَا أَعْلَمُهُ ذَكَرَهُ إِلَّا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ-: كَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، ثُمَّ رَجَعَ إِلَىٰ الرُّكْنِ (ج) فَاسْتَلَمَهُ..........

(أ) الرَّمَل هو إسراع المشي مع تقارب الخُطا...، ولا يستحب الرمل إلا في طواف واحد في حج، أو عمرة، أما إذا طاف في غير حج، أو عمرة فلا رمل بلا خلاف.اهـ[1]

قلت: وقوله: (ولا يستحب الرمل إلا في طواف واحد في حج أو عمرة... إلخ) هو طواف القدوم.

قال ابن عثيمين رحمه الله في "الشرح الممتع" (٧/ ٢٤٣): كان الرمل في حجة الوداع من الركن إلىٰ الركن، أي: في كل الأشواط الثلاثة حتىٰ ما بين الركنين رَمَلَ النبي ﷺ، وفي عمرة القضاء من الركن إلىٰ الركن اليماني فقط.اهـ

(ب) القائل: فكان أبي. هو جعفر بن محمد.

(ج) عند أحمد زيادة: ثم ذهب إلىٰ زمزم فشرب منها، وصبَّ علىٰ رأسه، ثم رجع إلىٰ الركن.[2]

---

(١) "شرح صحيح مسلم" للنووي (٨/ ٤٠٦).

(٢) انظر "حجة النبي ﷺ" للألباني رحمه الله (ص٥٨).

ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَىٰ الصَّفَا، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] «أَبْدَأُ[١] بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ»، فَبَدَأَ بِالصَّفَا، فَرَقِيَ[٢] عَلَيْهِ، حَتَّىٰ رَأَىٰ الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَوَحَّدَ اللهَ وَكَبَّرَهُ، وَقَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ»، ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ (أ)، قَالَ مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ نَزَلَ[٣] إِلَىٰ الْمَرْوَةِ، حَتَّىٰ إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَىٰ، حَتَّىٰ إِذَا صَعِدَتَا مَشَىٰ، حَتَّىٰ أَتَىٰ الْمَرْوَةَ، فَفَعَلَ عَلَىٰ الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَىٰ الصَّفَا (ب)، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ آخِرُ طَوَافِهِ عَلَىٰ الْمَرْوَةِ، فَقَالَ: «لَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمْ أَسُقِ الْهَدْيَ، وَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ لَيْسَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيَحِلَّ، وَلْيَجْعَلْهَا عُمْرَةً»..............

(أ) يدعو بما أحب، ثم يعيد الذكر مرةً ثانية، ثم يدعو بما أحب، ثم يعيد الذكر مرة ثالثة وينزل متجهًا إلىٰ المروة.(٤)

(ب) فيه أنه يسن عليها من الذكر والدعاء والرقي مثل ما يسن علىٰ الصفا، وهذا متفق عليه.(٥)

---

[١] في المخطوط: [ابدءوا] بلفظ الأمر، والتصويب من "صحيح مسلم"، نعم، ورد بلفظ: «ابدءوا» عند النسائي برقم (٢٩٦٢)، والدارقطني (٢/ ٢٥٤)، لكن ذلك شاذ، وانظر "التلخيص الحبير" (٢/ ٨٧٧)، و"حجة النبي ﷺ" (ص٥٩) للألباني.

[٢] في المخطوط: [فرقا] والتصويب من "صحيح مسلم".

[٣] في المخطوط: [نزع] بدل: [نزل]، والتصويب من "صحيح مسلم".

(٤) "الشرح الممتع" (٧/ ٢٦٨).

(٥) "شرح النووي" (٨/ ٤٠٩).

فَقَامَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلِعَامِنَا هَذَا أَمْ لِأَبَدٍ؟ فَشَبَّكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَصَابِعَهُ وَاحِدَةً فِي الْأُخْرَىٰ، وَقَالَ: «**دَخَلَتِ الْعُمْرَةُ فِي الْحَجِّ** -مَرَّتَيْنِ- **لَا بَلْ لِأَبَدِ أَبَدٍ**»[١]، وَقَدِمَ عَلِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ بِبُدْنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَوَجَدَ فَاطِمَةَ رضي الله عنها مِمَّنْ[٢] حَلَّ، وَلَبِسَتْ ثِيَابًا صَبِيغًا، وَاكْتَحَلَتْ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: إِنَّ أَبِي أَمَرَنِي بِهَذَا. قَالَ: فَكَانَ عَلِيٌّ يَقُولُ بِالْعِرَاقِ: فَذَهَبْتُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُحَرِّشًا عَلَىٰ فَاطِمَةَ لِلَّذِي صَنَعَتْ، مُسْتَفْتِيًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِيمَا ذَكَرَتْ عَنْهُ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي أَنْكَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: «**صَدَقَتْ صَدَقَتْ، مَاذَا قُلْتَ حِينَ فَرَضْتَ الْحَجَّ؟**» قَالَ قُلْتُ: اللهُمَّ، إِنِّي أُهِلُّ بِمَا أَهَلَّ بِهِ رَسُولُكَ.[٣] قَالَ: «**فَإِنَّ مَعِيَ الْهَدْيَ فَلَا تَحِلُّ**»، قَالَ: فَكَانَ جَمَاعَةُ الْهَدْيِ الَّذِي قَدِمَ بِهِ[٤] عَلِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ وَالَّذِي أَتَىٰ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِائَةً، قَالَ: فَحَلَّ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَقَصَّرُوا، إِلَّا النَّبِيَّ ﷺ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ (١) تَوَجَّهُوا إِلَىٰ مِنًىٰ، فَأَهَلُّوا بِالْحَجِّ.....................................

---

(١) يوم التروية هو اليوم الثامن من ذي الحجة؛ سمِّي بذلك لأن قريشًا كانت تحمل الماء من مكة إلىٰ منىٰ تسقيهم، وتطعمهم، فيرووا منه... .(٥)

---

[١] في المخطوط: [لأبد الأبد]، والمثبت من "صحيح مسلم".
[٢] في المخطوط: [فمن]، والمثبت من "صحيح مسلم".
[٣] في المخطوط: [رسول الله ﷺ] بدل: (رسولك)، والتصويب من "صحيح مسلم".
[٤] في المخطوط: [بهم] بدل: (به)، والتصويب من "صحيح مسلم".
(٥) "إكمال المعلم" (٤/ ٢٧٤).

وَرَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَصَلَّىٰ بِهَا الظُّهْرَ، وَالْعَصْرَ، وَالْمَغْرِبَ، وَالْعِشَاءَ، وَالْفَجْرَ، ثُمَّ مَكَثَ قَلِيلًا حَتَّىٰ طَلَعَتِ الشَّمْسُ، وَأَمَرَ بِقُبَّةٍ مِنْ شَعَرٍ تُضْرَبُ لَهُ بِنَمِرَةَ، فَسَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَا تَشُكُّ قُرَيْشٌ إِلَّا أَنَّهُ وَاقِفٌ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ، كَمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ تَصْنَعُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَجَازَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ أَتَىٰ عَرَفَةَ، فَوَجَدَ الْقُبَّةَ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ بِنَمِرَةَ، فَنَزَلَ [بِهَا][١]، حَتَّىٰ إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ أَمَرَ بِالْقَصْوَاءِ، فَرُحِلَتْ لَهُ، فَأَتَىٰ بَطْنَ الْوَادِي، فَخَطَبَ [النَّاسَ][٢]، وَقَالَ: «**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ، كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ، وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا[٣] رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؛ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ**(١) ....

(١) معناه: الزائد علىٰ رأس المال، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ﴾[البقرة:٢٧٩]، وهذا الذي ذكرته إيضاح، وإلا فالمقصود مفهوم من نفس لفظ الحديث؛ لأن الربا هو الزيادة، فإذا وضع الربا، فمعناه: وضع الزيادة، والمراد بالوضع: الرد والإبطال.اهـ(٤)

(١) زيادة من "صحيح مسلم".

(٢) زيادة من "صحيح مسلم".

[٣] في المخطوط: [من ربانا] بزيادة: (من)، وليست موجودة عند مسلم؛ لذا حذفتها.

(٤) "شرح النووي" (٨/ ٤١٢).

فَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ؛ فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابُ اللهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ. فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، يَرْفَعُهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَىٰ النَّاسِ: «اللهُمَّ، اشْهَدْ، اللهُمَّ، اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَذَّنَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّىٰ الظُّهْرَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّىٰ الْعَصْرَ، وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئًا، ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، حَتَّىٰ أَتَى الْمَوْقِفَ، فَجَعَلَ بَطْنَ نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ إِلَىٰ الصَّخَرَاتِ، وَجَعَلَ حَبْلَ [أ] الْمُشَاةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّىٰ غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَذَهَبَتِ الصُّفْرَةُ قَلِيلًا، حَتَّىٰ غَابَ الْقُرْصُ، وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ خَلْفَهُ، وَدَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَدْ شَنَقَ لِلْقَصْوَاءِ الزِّمَامَ، حَتَّىٰ إِنَّ رَأْسَهَا لَيُصِيبُ مَوْرِكَ رَحْلِهِ. [ب] ....

[أ] روي: حَبْل، بالحاء المهملة، وإسكان الباء، وروي جَبَل، بالجيم وفتح الباء، قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: الأول أشبه بالحديث، وحَبْل المشاة، أي: مجتمعهم، وحبل الرمل ما طال منه وضخم، وأما بالجيم فمعناه: طريقهم، وحيث تسلك الرجالة.[١]

[ب] معنىٰ: شَنَقَ: ضَمَّ وضَيَّقَ، وهو بتخفيف النون، ومَوْرِك الرحل، قال

---

(١) "شرح النووي" (٨/ ٤١٤).

الجوهري: قال أبو عبيد: المورك والموركة يعني بفتح الميم وكسر الراء، هو: الموضع الذي يثني الراكب رجله عليه قدام واسطة الرحل إذا مل من الركوب. وضبطه القاضي بفتح الراء قال: وهو قطعة أدم يتورك عليها الراكب تجعل في مقدم الرحل شبه المخدة الصغيرة. وفي هذا استحباب الرفق في السير من الراكب بالمشاة وبأصحاب الدواب الضعيفة.(١)

(١) النووي (٨/ ٤١٥).

وَيَقُولُ بِيَدِهِ الْيُمْنَىٰ: «أَيُّهَا النَّاسُ، السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ» (أ)، كُلَّمَا أَتَىٰ حَبْلًا مِنَ الْحِبَالِ (ب) أَرْخَىٰ لَهَا قَلِيلًا، حَتَّىٰ تَصْعَدَ، حَتَّىٰ أَتَىٰ الْمُزْدَلِفَةَ، فَصَلَّىٰ بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ (جـ) ....

(أ) مرتين، بالنصب، أي: الزموا السكينة، وهي: الرفق، والطمأنينة، ففيه أنَّ السكينة في الدفع من عرفات سنة، فإذا وجد فُرجةً يُسْرِعُ، كما ثبت في الحديث.[1]

(ب) الحبال هنا -بالحاء المهملة المكسورة-: جمع حبل، وهو التَّلُّ اللطيف من الرمل الضخم.[2]

(جـ) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في «الزاد» (٢/ ٢٤٧): والصحيح أنه صلاهما بأذان وإقامتين كما فعل بعرفة.اهـ

قال الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «حجة النبي ﷺ» (ص٧٥): وهذا هو الصحيح، فما في بعض المذاهب أنه يقيم واحدة خلاف السنة، وإنْ ورد ذلك في بعض الطرق؛ فإنه شاذٌّ، كما أن الأذان لم يرد أصلًا في بعض الأحاديث، انظر «نصب الراية» (٣/ ٦٩-٧٠).اهـ

(١) «شرح النووي» (٨/ ٤١٥).
(٢) «شرح النووي» (٨/ ٤١٥).

وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا شَيْئًا (أ)، ثُمَّ اضْطَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ طَلَعَ الْفَجْرُ، وَصَلَّىٰ [الْفَجْرَ][١] حِينَ[٢] تَبَيَّنَ [لَهُ][٣] الصُّبْحُ، بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ، ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ، حَتَّىٰ أَتَىٰ الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ (ب)، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَدَعَاهُ[٤]، وَكَبَّرَهُ، وَهَلَّلَهُ، وَوَحَّدَهُ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّىٰ أَسْفَرَ جِدًّا، فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ، وَأَرْدَفَ الْفَضْلَ ابْنَ عَبَّاسٍ، وَكَانَ رَجُلًا حَسَنَ الشَّعْرِ أَبْيَضَ وَسِيمًا..........

(أ) قال ابن القيم رحمه الله في «الزاد» (٢/ ٢٤٧): ولم يحي تلك الليلة، ولا صَحَّ عنه في إحياء ليلتي العيد شيءٌ.اهـ

قال الألباني رحمه الله في «حجة النبي ﷺ» (ص٧٦): وهو كما قال، وقد بينت حال تلك الأحاديث في «التعليق الرغيب علىٰ الترغيب والترهيب».

(ب) بفتح الميم، هذا هو الصحيح، وبه جاء القرآن، وتظاهرت به روايات الحديث، ويقال أيضًا بكسر الميم، والمراد هنا: قُزَح -بضم القاف وفتح الزاي وبحاء مهملة- وهو جبل معروف في المزدلفة، وهذا الحديث حجة الفقهاء في أنَّ المشعر الحرام هو قُزَح، وقال جماهير المفسرين وأهل السير: المشعر الحرام جميع مزدلفة... .(٥)

---

[١] ساقطة عن المخطوط، واستدركتها من «صحيح مسلم».
[٢] في المخطوط: [بعد] بدل: (حين)، والتصويب من «صحيح مسلم».
[٣] ساقطة عن المخطوط، واستدركتها من «صحيح مسلم».
[٤] في المخطوط: [فدعا الله]، والتصويب من «صحيح مسلم».
(٥) «شرح النووي» (٨/ ٤١٧).

فَلَمَّا دَفَعَ[١] رَسُولُ اللهِ ﷺ مَرَّتْ[٢] بِهِ ظُعُنٌ (أ) يَجْرِينَ[٣]، فَطَفِقَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ عَلَىٰ وَجْهِ الْفَضْلِ، فَحَوَّلَ الْفَضْلُ وَجْهَهُ إِلَىٰ الشِّقِّ الْآخَرِ يَنْظُرُ، فَحَوَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ مِنَ الشِّقِّ الْآخَرِ عَلَىٰ وَجْهِ الْفَضْلِ، يَصْرِفُ[٤] وَجْهَهُ مِنَ الشِّقِّ الْآخَرِ يَنْظُرُ، حَتَّىٰ أَتَىٰ بَطْنَ مُحَسِّرٍ (ب)، فَحَرَّكَ قَلِيلًا (ج)، ثُمَّ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْـوُسْطَىٰ الَّتِي تَخْرُجُ عَلَىٰ الْجَمْرَةِ الْكُبْرَىٰ حَتَّىٰ أَتَىٰ الْجَمْرَةَ الَّتِي عِنْدَ الشَّجَرَةِ، فَـرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ.................

(أ) الظعن -بضم الظاء والعين، ويجوز إسكان العين- جمع ظعينة، كسفينة وسُفن، وأصل الظعينة البعير الذي عليه امرأة ثم تسمَّىٰ به المرأة مجازًا؛ لملابستها البعير.(٥)

(ب) محسر -بضم الميم وفتح الحاء وكسر السين المشددة المهملتين- سُمِّي بذلك لأن فيل أصحاب الفيل حُسِر فيه، أي: أعيي وكَلَّ... .(٦)

(ج) قال النووي رحمه الله (٨/ ٤١٨): فهي سنة من سنن السَّيْر في ذلك الموضع.اهـ

[١] في المخطوط: [دخل] بدل (دفع)، والتصويب من "صحيح مسلم".

[٢] في المخطوط: [مر]، والتصويب من "صحيح مسلم".

[٣] في المخطوط: [البحرين]، والتصويب من "صحيح مسلم".

[٤] في المخطوط: [وصف]، والتصويب من "صحيح مسلم".

(٥) "النووي" (٨/ ٤١٧).

(٦) "شرح النووي" (٨/ ٤١٨).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في "الزاد" (٢/ ٢٥٦): وهذه كانت عادته في المواضع التي نزل فيها بأس الله بأعدائه؛ فإن هنالك أصاب أصحاب الفيل ما قص الله علينا؛ ولذلك سُمِّي ذلك الوادي وادي محسر؛ لأن الفيل حُسِر فيه.اهـ

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: وتعليل إسراع النبي ﷺ في وادي محسر بذلك فيه نظر؛ لأن أصحاب الفيل لم يهلكوا هنا، بل في مكان يقال له: المُغَمَّس حول الأبطح، وفي هذا يقول الشاعر الجاهلي:

حبس الفيل بالمغمس حتىٰ ... ظل يحبو كأنه مكسور[1]

---

(١) "الشرح الممتع" (٧/ ٣١٦).

يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ مِنْهَا، مِثْلِ[١] حَصَىٰ الْخَذْفِ (أ)، رَمَىٰ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَىٰ الْمَنْحَرِ، فَنَحَرَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ[٢] بِيَدِهِ، ثُمَّ أَعْطَىٰ عَلِيًّا، فَنَحَرَ مَا غَبَرَ (ب)، وَأَشْرَكَهُ فِي هَدْيِهِ، ثُمَّ أَمَرَ مِنْ كُلِّ بَدَنَةٍ بِبَضْعَةٍ، فَجُعِلَتْ فِي قِدْرٍ، فَطُبِخَتْ، فَأَكَلَا[٣] مِنْ لَحْمِهَا وَشَرِبَا[٤] مِنْ مَرَقِهَا..........................

(أ) قال النووي رحمه الله في شرح الحديث (٨/ ٤١٩): منها حصىٰ الخذف، هكذا هو في النسخ، وكذا نقله القاضي عياض عن معظم النسخ، قال: وصوابه: مثل حصىٰ الخذف. قال: وكذلك رواه غير مسلم، وكذا رواه بعض رواة مسلم. هذا كلام القاضي، والذي في النسخ من غير لفظة: مثل. هو الصواب، بل لا يتجه غيره ولا يتم الكلام إلا كذلك، ويكون قوله: حصىٰ الخذف. متعلقًا بحصيات، أي: رماها بسبع حصيات حصىٰ الخذف يكبر مع كل حصاة، فحصىٰ الخذف متصل بحصيات واعترض بينهما يكبر مع كل حصاة، وهذا هو الصواب والله أعلم.اهـ

قلت: أما المخطوط ففيه: (منها مثل حصىٰ الخذف)؛ فجمع بين: (منها)، و: (مثل).

(ب) أي: ما بقي. قاله النووي رحمه الله (٨/ ٤١٩).

---

[١] كذا في المخطوط: [منها مثل].

[٢] في المخطوط: [ستون]، وهو خطأ واضح.

[٣] في المخطوط: [فأكل]، والتصويب من "صحيح مسلم"، وهو في النظم علىٰ الصواب.

[٤] في المخطوط: [شرب]، والتصويب من "صحيح مسلم".

ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَفَاضَ إِلَىٰ الْبَيْتِ، فَصَلَّىٰ بِمَكَّةَ الظُّهْرَ (أ)، فَأَتَىٰ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَسْقُونَ عَلَىٰ زَمْزَمَ، فَقَالَ: «**انْزِعُوا، بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ**[١]، **فَلَوْلَا أَنْ يَغْلِبَكُمُ النَّاسُ عَلَىٰ سِقَايَتِكُمْ لَنَزَعْتُ مَعَكُمْ**»، فَنَاوَلُوهُ دَلْوًا فَشَرِبَ [مِنْهُ].[٢] هَذَا حَدِيْثٌ عَظِيمٌ جَلِيْلٌ جَامِعٌ لِلْمَنَاسِكِ، وَلِكَثِيْرٍ مِنْ أُصُولِ الدِّيْنِ وَأُمُورِ الْإِيْمَانِ، يَنْبَغِي لِكُلِّ طَالِبِ عِلْمٍ صَحِيْحٍ أَنْ يَحْفَظَهُ، وَيُكَرِّرَهُ [وَيَتَعَقَّلَ مَعْنَاهُ][٣]، وَيَعْمَلَ بِهِ، وَبِاللهِ التَّوْفِيْقُ.

(أ) في هذا الحديث أنه ﷺ صلىٰ الظهر بمكة، وجاء أنه ﷺ صلىٰ الظهر بمنىٰ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.(٤)

قال النووي رحمه الله (٨/ ٤٢٠): ووجه الجمع بينهما أنه ﷺ طاف للإفاضة قبل الزوال، ثم صلىٰ الظهر بمكة في أول وقتها، ثم رجع إلىٰ منىٰ فصلىٰ بها الظهر مرة أخرىٰ بأصحابه حين سألوه ذلك؛ فيكون متنفلًا بالظهر الثانية التي بمنىٰ.اهـ

وقال الشوكاني رحمه الله في "نيل الأوطار" (٣/ ١٤١) بهذا الجمع، إلا أنه جعله ﷺ مأمومًا والنووي جعله إمامًا.

قال الشيخ حافظ رحمه الله ناظمًا صفة حجة النبي ﷺ:

---

[١] في المخطوط تقديم وتأخير، والمثبت من "صحيح مسلم".

[٢] زيادة من "صحيح مسلم" لا توجد في المخطوط، والحديث عند مسلم برقم (١٢١٨).

[٣] كلمة غير واضحة في المخطوط، وبعد التأمل ظهر لي ما أثبت.

(٤) رواه مسلم برقم (١٣٠٨).

تَقَدَّمَ القَوْلُ بِأَنَّ الحَجَّ فِي ... ستٍّ أَتَىٰ الأَمْرُ بِهِ، وَقِيلَ فِي

تِسْعٍ، وَقِيلَ: بَلْ بِعَامٍ عَاشِرِ ... وَقِيلَ: قَبْلَ هِجْرَةٍ وَذَا عَرِي

عَنْ حُجَّةٍ وَقَصْدُنَا الآنَ البَيَانْ ... عَنْ وَصْفِ حَجَّةِ النَّبِيِّ كَالْعَيَانْ

فَبَعْدَ أَنْ قَدْ بَلَّغَ الرَّسُولُ مَا ... يُفْرَضُ فِي الشَّرْعِ بَيَانًا مُحْكَمَا

وَلَمْ يَكُنْ بَقِي مِنَ الدَّعَائِمِ ... يَحْتَاجُ تَبْيِينًا سِوَىٰ الحَجِّ افْهَمِ

سَارَ النَّبِيْ لَهُ بِجَمْعٍ لَمْ يُرَ ... فِي مِثْلِهِ مِنْ قَبْلُ فِيمَا أُثِرَا

فِي عَامِ عَاشِرٍ لِخَمْسٍ بَقِيَتْ ... مِنْ شَهْرِ ذِي القَعْدَةِ بِالسَّبْتِ ثَبَتْ

وَالظُّهْرَ فِي يَثْرِبَ صَلَّىٰ أَرْبَعَا ... وَالعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ بَعْدُ دَفَعَا

لِوَادِي العَقِيقِ ذِي الحُلَيْفَةِ ... وَفِيهِ صَلَّىٰ الخَمْسَ دُونَ مِرْيَةِ

وَمِنْهُ قَدْ أَهَلَّ مِنْ مَسْجِدِهِ ... كَذَاكَ مَعْ رُكُوبِهِ مِنْ بَعْدِهِ

حَتَّىٰ إِذَا اسْتَوَىٰ عَلَىٰ البَيْدَاءِ ... أَهَلَّ ثَالِثًا بِلَا مِرَاءِ

مِنْ أَجْلِ ذَاكَ اخْتَلَفُوا أَيْنَ أَهَلْ ... كُلٌّ لِمَا شَاهَدَهُ مِنْهُ نَقَلْ

وَاخْتَلَفَ النَّقْلُ لِمَا أَهَلَّ بِهْ ... عَلَىٰ رِوَايَاتٍ ثَلَاثٍ فَانْتَبِهْ

فَجَاءَ أَنَّهُ أَهَلَّ مُفْرِدَا ... وَكَوْنُهُ تَمَتُّعًا قَدْ أُسْنِدَا

وَجَاءَ فِيهِ قَارِنًا وَهْوَ الأَصَحْ ... نَحْوُ ثَلَاثِينَ حَدِيثًا فِيهِ صَحْ

وَالطِّيبُ لِلإِحْرَامِ كَانَ[١] اسْتَعْمَلَا ... وَطَافَ فِي نِسَائِهِ وَاغْتَسَلَا

وَرَأْسُهُ لَبَّدَهُ بِالْعَسَلِ ... وَأَشْعَرَ الهَدْيَ وَتَقْلِيدٍ يَلِي

---

[١] في المخطوط: [كال] بدل: (كان)، وهو خطأ.

وَكَانَ يُعْلِي الصَّوْتَ بِالتَّلْبِيَةِ *** وَيَأْمُرُ الصَّحْبَ بِدُونِ مِرْيَةِ

وَبَاتَ فِي قُدُومِهِ بِذِي طُوَىٰ *** وَفِيهِ صَلَّىٰ الصُّبْحَ مُسْلِمٌ رَوَىٰ

وَبَعْدَ ذَاكَ مَكَّةَ قَدْ دَخَلَا *** وَكَانَ مِنْ قَبْلِ الدُّخُولِ اغْتَسَلَا

وَبِالطُّهُورِ فِي قُدُومِهِ بَدَا *** وَطَافَ بِالْبَيْتِ وَبِالرُّكْنِ ابْتَدَا

سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ ثَلَاثًا رَمَلَا *** وَمَا بَقِي فِيهِ مَشَىٰ مَا رَمَلَا

مُضْطَبِعًا كَانَ بِبُرْدٍ أَخْضَرِ *** مُسْتَلِمًا فِي كُلِّهَا لِلحَجَرِ

وَبَيْنَ رُكْنَيْهِ اليَمَانِيَيْنِ *** يَمْشِي جَمِيعَهَا بِدُونِ مَيْنِ

لأَنَّهُ كِلَيْهِمَا يَسْتَلِمُ *** وَمَشْيُهُ كَانَ لِذَاكَ فَافْهَمُو

وَقَدْ نَهَىٰ القَوِيَّ فِي اسْتِلَامِ *** أَنْ يُؤْذِيَ الضَّعِيفَ بِازْدِحَامِ

فَلْيَسْتَلِمْهُ خَالِيًا وَإِنْ يَرَىٰ *** زَحْمَةً اسْتَقْبَلَهُ وَكَبَّرَا

وَبَعْدَ أَنْ تَمَّمَهُ تَتْمِيمَا *** جَاءَ إِلَىٰ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ

وَفِيهِ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ وَقَرَا *** سُورَتَي التَّوْحِيدِ مِنْ غَيْرِ مِرَا

وَعَادَ بَعْدُ لاسْتِلَامِ الحَجَرِ *** ثُمَّ أَتَىٰ الصَّفَا كَمَا فِي الأَثَرِ

ثُمَّ تَلَا الآيَةَ وَابْتَدَا بِهِ *** ثُمَّ عَلَيْهِ قَدْ رَقِي فَانْتَبِهِ

مُهَلِّلًا مُكَبِّرًا ثُمَّ دَعَا *** ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَبَعْدَ ذَا سَعَىٰ

مِنْهُ إِلَىٰ المَرْوَةِ ثُمَّ فَعَلَا *** كَفِعْلِهِ عَلَىٰ الصَّفَا مُكَمِّلَا

سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ جَمِيعًا رَمَلَا *** بَطْنَ المَسِيلِ وَمَشَىٰ فِيمَا خَلَا

وَكَانَ فِي ذَا السَّعْيِ وَالطَّوَافِ *** يَمْشِي وَلَا الْتِفَاتَ لِلْخِلَافِ

هَــــذَا وَلـــمَّا أَنْ أَتَـــمَّ السَّــــعْيَا ... آذَنَ مَـــنْ لَمْ يَـــكُ سَـــاقَ الهَـــدْيَا

بِـــالحَلْقِ[١] وَالتَّقْصِــــيرِ وَلْيُحِلُّــــوا ... وَمَـــا بِـــالاحْرَامِ حَـــرَامٌ حِـــلُّ

فَقِيـــلَ: هَـــلْ هَـــذَا لَنَـــا أَوْ لِلَأَبَـــدْ ... أَجَـــابَهُمْ نَبِيُّنَـــا: بَـــلْ لِلَأَبَـــدْ

وَكَـــــانَ ذَاكَ رَابِـــــعَ الأَيَّـــــامِ ... مِـــنْ شَـــهْرِ ذِي الحِجَّـــةِ لَا إِيهَـــامِ

وَقَـــدْ أَقَـــامَ أَرْبَعًـــا لَمْ يَطُـــفِ ... بِالْبَيْـــتِ غَيْـــرَ ذَا الطَّـــوَافِ فَـــاعْرِفِ

وَالْقَصْـــدُ ذِكْـــرُ فِعْلِـــهِ لَا المَنْـــعُ مِـــنْ ... طَـــوَافِ مَـــنْ شَـــاءَ مَتَـــىٰ شَـــاءَ فَـــدِنْ

وَيَـــوْمَ ثَـــامِنٍ إِلَـــىٰ مِنَـــىٰ دَفْـــعْ ... بَعْـــدَ الـــزَّوَالِ فِـــي الخَمِـــيسِ ذَا وَقَـــعْ

مَـــعْ كُـــلِّ مُحْـــرِمٍ وَمَـــنْ قَـــدْ كَـــانَ حَـــلْ ... أَمَـــرَهُ إِذْ ذَاكَ بِـــالحَجِّ أَهَـــلْ[٢]

وَالظُّهْـــرَ ثُـــمَّ العَصْـــرَ وَالمَغْـــرِبَ بِـــهْ ... صَـــلَّىٰ كَـــذَا العِشَـــا وَفَجْـــرٍ فَانْتَبِـــهْ

وَدَفْعُـــهُ بَعْـــدَ طُلُـــوعِ الشَّـــمْسِ فِـــي ... تَاسِـــعِ ذِي الحِجَّـــةِ غَيْـــرِ مُنْتَـــفِ

وَقَـــالَ فِـــي نَمِـــرَةَ إِلَـــىٰ الـــزَّوَالْ ... ثُـــمَّ أَتَـــىٰ الـــوَادِيَ رَاكِبًـــا فَقَـــالْ

خُطْبَتَـــــهُ هُنَـــــاكَ ثُـــــمَّ أَذَّنَـــــا ... بِـــلَالُ وَابْتَـــدَا بِـــأُخْرَىٰ فَهُنَـــا

كَـــانَ انْتِهَاؤُهَـــا مَـــعَ انْتِهَـــاءِ ... مِـــنَ الأَذَانِ دُونَـــمَا مِـــرَاءِ

ثُـــمَّ أَقَـــامَ لِصَـــلَاةِ الظُّهْـــرِ ... ثُـــمَّ أَقَـــامَ بَعْـــدَهَا للعَصْـــرِ

ثُـــمَّ أَتَـــىٰ مِـــنْ بَعْـــدِ ذَاكَ المَوْقِفَـــا ... وَاسْـــتَقْبَلَ القِبْلَـــةَ مِـــنْ غَيْـــرِ [خَفَـــا][٣]

---

[١] في المخطوط: [الحق] بدل: (الحلق).

[٢] في المخطوط: [أمره بالحج بالحج أهل]، وانظر المصدر السابق.

[٣] غير واضحة في المخطوط، ولكن عند التأمل ظهر ما أثبت، ثم وجدتها في نسخة شيخنا الفيفي حفظه الله تعالى كذلك.

وَكَانَ عِنْدَ الصَّخَرَاتِ جَاعِلَا — بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الوُقُوفِ الجَبَلَا

وَرَاكِبًا كَانَ وَكَانَ مُفْطِرَا — لِشُرْبِهِ الحِلَابَ فِيهَا أُثِرَا

وَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ إِذْ ذَلِكُمُو — (اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمُ)

وَلَمْ يَزَلْ وُقُوفُهُ مَعَ الدُّعَا — حَتَّىٰ إِذَا كَانَ الغُرُوبُ دَفَعَا

مِنْ عَرَفَاتٍ مُرْدِفًا أُسَامَهْ — وَشَانِقًا مَرْكَبَهُ زِمَامَهْ

وَيَأْمُرُ النَّاسَ بِأَنْ لَا يُسْرِعُوا — وَقَالَ: لَيسَ البَرَّ في أَن تُوضِعُوا

حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَ جَمْعًا نَزَلَا — وَأَسْبَغَ الوُضُوءَ نَصًّا نُقِلَا

وَبِالأَذَانِ عِنْدَ ذَاكَ أَمَرَا — ثُمَّ أُقِيمَ مَغْرِبٌ بِلَا مِرَا

وَوَضَعُوا رِحَالَهُمْ ثُمَّ أَقَامْ — أَيْ لِلْعِشَاءِ ثَانِيًا بِلَا مَلَامْ

وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا قَدْ سَبَّحَا — وَجَاءَ نَصٌّ فِي البُخَارِي أَفْصَحَا

فِيهِ بِتَأْذِينٍ لِكُلٍّ مِنْهُمَا — وَذَكَرَ التَّسْبِيحَ مَا بَيْنَهُمَا

لَكِنَّهُ عَلَىٰ ابْنِ مَسْعُودٍ وُقِفْ — وَالرَّاجِحُ المَرْفُوعُ فَاجْزِمْ لَا تَقِفْ

وَقَدَّمَ النَّبِيُّ بَعْضَ الثَّقْلِ — لِيَقِفُوْا وَيَدْفَعُوا بِاللَّيْلِ

ولَمْ يَكُنْ لِغَيْرِ ثُقْلٍ رَخَّصَا — فِي ذَلِكُمْ لَكِنْ بِهِمْ قَدْ خُصِّصَا

هَذَا وَقَدْ صَلَّىٰ النَّبِيُّ الفَجْرَ مَعْ — بِزَوغِهِ مُبَادِرًا حِينَ طَلَعْ

وَرَكِبَ القَصْوَىٰ وَجَاءَ المَشْعَرَا — مَازَالَ وَاقِفًا إِلَىٰ أَنْ أَسْفَرَا

وَكَانَ فِي مَوْقِفِهِ مُسْتَقْبِلَا — مُحَمْدِلًا مُكَبِّرًا مُهَلِّلَا

وَحِينَمَا أَسْفَرَ جِدًّا دَفَعَا ... قَبْلَ طُلُوعِ[(١)] الشَّمْسِ ثُمَّ أَسْرَعَا

حِينَ أَتَى مُحَسِّرًا وَكَانَ قَدْ ... أَرْدَفَ مَعْهُ الفَضْلَ فَافْهَمْ مَا وَرَدْ

وَلِحَصَى الرَّمْيِ هُنَاكَ قَدَّرَا ... مِثْلَ حَصَى الخَذْفِ لَهُمْ مُفَسِّرَا

وَسَلَكَ النَّبِيْ الطَّرِيقَ الوُسْطَى ... لِلْجَمْرَةِ الكُبْرَى كَمَا قَدْ خُطَّا

ثُمَّ رَمَى بِالحَصَيَاتِ السَّبْعِ مَعْ ... كُلِّ حَصَاةٍ مِنْهُ تَكْبِيرٌ وَقَعْ

مِنْ بَاطِنِ الْوَادِي يَمِينُهُ مِنَى ... وَالْبَيْتُ عَنْ يَسَارِهِ تَيَقُّنَا

وَبَعْدَ أَنْ رَمَى لِبُدْنِهِ نَحَرْ ... سِتِّينَ بَعْدَهَا ثَلَاثًا وَأَمَرْ

بِنَحْرِ بَاقِيهَا عَلِيًّا وَلَهُ ... أَشْرَكَ فِي الهَدْيِ وَقَدْ وَكَّلَهُ

عَلَى اللُّحُومِ وَالجِلَالِ مِنْهَا ... تَقْسِيمُهَا كُلًّا وَلَيْسَ مِنْهَا

شَيْئًا لِجَزَّارٍ وَقَدْ أَعْطَاهُ ... مِنْ عِنْدِهِ الأُجْرَةَ أَخْرَجَاهُ

وَكَانَ قَدْرُ ذَلِكَ الهَدْيِ مِئَه ... مِنْ إِبِلٍ قَدْ صَحَّ فَاعْلَمْ [نَبَأَهْ][٢]

وَمِنْ جَمِيعِهَا بِبَضْعَةٍ أَمَرْ ... تُطْبَخَ كَيْ يَأْكُلَ مِنْهَا فِي أَثَرْ

فَأَكَلَا مِنْهَا وَبَعْدَ نَحْرِهِ ... حَلَّقَ رَأْسَهُ فَنِصْفُ شَعْرِهِ

فَرَّقَهُ فِي الصَّحْبِ مُسْلِمٌ رَوَى ... ذَا وَأَبُو طَلْحَةَ نِصْفَهُ حَوَى

وَبَعْدَ ذَاكَ لَبِسَ الثِّيَابَا ... مُسْتَعْمِلًا لِلطِّيبِ لَا ارْتِيَابَا

ثُمَّ أَفَاضَ بَعْدَ ذَا لِلْكَعْبَةِ ... وَطَافَ رَاكِبًا بِدُونِ مِرْيَةِ

---

(١) في المخطوط: [الطلوع].

[٢] غير واضح في المخطوط، وصُوِّب من نسخة شيخنا الفيفي حفظه الله تعالى، وانظر «صحيح البخاري» برقم (١٧١٨).

ثُمَّ بِمَاءِ زَمْزَمٍ تَضَلَّعَا ... وَفِيهِ بَيْنَ الْمَرْوَتَيْنِ مَا سَعَىٰ

وَهَكَذَا مَنْ كَانَ مَعْهُ قَارِنَا ... أَوْ مُفْرِدًا وَكَانَ بِالْهَدْيِ اعْتَنَا

أَمَّا أُولُوا الفَسْخِ وَمَنْ تَمَتَّعَا ... فَإِنَّهُ مَعْ ذَا الطَّوَافِ قَدْ سَعَىٰ

ذَا صَحَّ عَنْ عَائِشَةٍ فِي مُسْلِمِ ... وَفِي البُخَارِيْ وَلَدَيْهِ فَاعْلَمِ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ حَدِيثٌ آخَرُ ... لِمَا رَوَتْ عَائِشَةُ مُفَسِّرُ

وَالظُّهْرَ صَلَّاهَا بِمَكَّةَ عَلَىٰ ... رِوَايَةٍ وَفِي مِنَىٰ الْأُخْرَىٰ انْجَلَا

كِلَاهُمَا نَصُّ الصَّحِيحِ قَدْ عَلَا ... مِنْ أَجْلِ ذَا كَانَ اخْتِلَافُ مَنْ خَلَا

بَيْنَ مُرَجِّحٍ لِإِحْدَىٰ تَيْنِ ... وَقَائِلٍ صَلَاةٌ مَرَّتَيْنِ

وَخَطَبَ النَّبِيُّ يَوْمَ النَّحْرِ ... وَوَدَّعَ الْأُمَّةَ نَصًّا فَادْرِ

وَقَالَ مَوْقِفٌ جَمِيعٌ عَرَفَهْ ... كَذَاكَ جَمْعٌ لَا يَخُصُّ مَوْقِفَهْ

كَذَا مِنَىٰ صَارَتْ جَمِيعًا مَنْحَرَا ... لَا بِمَكَانِ نَحْرِهِ مُنْحَصِرَا

وَتَرْكُ تَرْتِيبٍ لِمَنْ لَمْ يَشْعُرِ ... لَمْ يَأْتِ فِيهِ حَرَجٌ فَاعْتَبِرِ

كَحَالِقٍ وَالْهَدْيُ لَمَّا يُنْحَرِ ... وَالنَّحْرُ قَبْلَ الرَّمْيِ بِالجَهْلِ اعْذُرِ

هَذَا وَقَدْ بَاتَ النَّبِيُّ فِي مِنَىٰ ... لَيَالِيَ التَّشْرِيقِ نَصًّا بَيِّنَا

يَرْمِي الثَّلَاثَ الجَمَرَاتِ كُلَّهَا ... فِي كُلِّ يَوْمٍ لِلزَّوَالِ فَادْرِهَا

وَعِنْدَ أُولَاهَا وَوُسْطَاهَا وَقَفْ ... يَدْعُو طَوِيلًا وَلَدَىٰ الْأُخْرَىٰ انْصَرَفْ

وَأَوْسَطَ الْأَيَّامِ مِنْ مِنَىٰ خَطَبْ ... مُذَكِّرًا مُوَدِّعًا بِلَا رِيَبْ

وَقَدْ رُوِي بِأَنَّ فِيهِ نَزَلَتْ ... سُورَةُ (نَصْرٍ) بِالْوَفَاةِ آذَنَتْ

وَاسْتَأْذَنَ العَبَّاسُ أَنْ يَبِيتَ فِي | مَكَّةَ للسَّقْيِ الَّذِي بِهِ حُفِي
كَذَاكَ للرُّعَاةِ قَدْ رَخَّصَ أَنْ | يَرْمُوا لِيَوْمَيْنِ بِيَوْمٍ فَاعْلَمَنْ
مِنْ بَعْدِ رَمْيِهِمْ لِيَوْمِ النَّحْرِ | وَبَعْدَ ذَا يَرْمُونَ يَوْمَ النَّفْرِ
وَلَمْ يَكُنْ فِي نَفْرِهِ تَعَجَّلَا | بَلْ نَفْرُهُ ثَالِثَ يَوْمٍ نُقِلَا
وَالْعَصْرَ قَدْ صَلَّاهُ بِالْمُحَصَّبِ | كَذَا العِشَاءَيْنِ افْهَمْنَهُ تُصِبِ
وَبَاتَ فِيهَا ثُمَّ لَمَّا كَانَ مِنْ | آخِرِ لَيْلَةٍ أَفَاضَ فَاسْتَبِنْ
لِلبَيْتِ فِيهِ الصُّبْحَ صَلَّىٰ وَتَلَا | سُورَةَ (وَالطُّورِ) افْهَمَنْ مَا نُقِلَا
وَطَوَّفَتْ بِالْبَيْتِ أُمُّ سَلَمَهْ | رَاكِبَةً وَرَا الصُّفُوفِ فَاعْلَمَهْ
وَطَافَ بَعْدُ وَأَتَىٰ الْمُلْتَزَمَا | ثُمَّ دَعَا اللهَ بِمَا قَدْ قَسَمَا
وَكَانَ مَخْرَجُ النَّبِيِّ مِنْ كُدَا | أَسْفَلَ مَكَّةَ بِضَمٍّ قَدْ بَدَا
وَخطَبَ النَّاسَ بِمَاءٍ [قَدْ دُعِي][١] | غَدِيْرَ خُمٍّ عِظَةً لَهُمْ فَعِ
وَبِكِتَابِ اللهِ أَوْصَىٰ فَاعْتَصِمْ | وَأَهْلَ بَيْتِهِ كَذَا أَوْصَىٰ بِهِمْ
وَقَالَ مَنْ مَوْلَاهُ كُنْتُ فَعَلِي | مَوْلًىٰ لَهُ فَلَا تَكُنْ بِمَعْزِلِ
وَهَذِهِ الخُطْبَةُ عَنْهُ اشْتَهَرَتْ | عَنْ صَحْبِهِ مِنْ طُرُقٍ قَدْ كَثُرَتْ
وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا لِشِيعِيٍّ غَوِي | مِنْ حُجَّةٍ قَطُّ عَلَىٰ مَا قَدْ هَوِي

[١] في المخطوط: [بماء يدعىٰ].

س٦٧/ كَمْ جُمْلَةُ الْغَزَوَاتِ؟

ج/ هِيَ سَبْعٌ وَعِشْرُونَ غَزْوَةً، أَوَّلُهَا: الْأَبْوَاءُ ⓣ، ثُمَّ بُوَاطُ(١)، ثُمَّ عُشَيْرَةُ(٢) ثُمَّ بَدْرٌ الْأُولَىٰ(٣)، ثُمَّ بَدْرٌ الْعُظْمَىٰ(٤)، ثُمَّ غَزْوَةُ الْكُدْرِ(٥)، ثُمَّ السَّوِيْقُ، ثُمَّ غَطَفَانُ(٦) ذُو[٧] أَمَرّ، ثُمَّ بُحْرَانَ(٨)، ثُمَّ أُحُدٌ.(٩) ثُمَّ حَمْرَاءُ الْأَسَدِ(١٠) ....

ⓣ انظر أحداث السنة الثانية من الهجرة، وبدر الأولىٰ هي بدر العظمىٰ، ويقال لها أيضًا: بدر القتال. ويقال أيضًا: بدر الفرقان، أي: لأن الله تعالىٰ فرق فيها بين الحق والباطل. وينظر "السيرة الحلبية" لبرهان الدين الحلبي في الكلام عن هذه الغزوة.

---

(١) انظر أحداث السنة الثانية من الهجرة.

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) انظر المصدر السابق.

(٥) انظر المصدر السابق، وغزوة الكُدْر هي غزوة بني سُلَيم.

(٦) انظر المصدر السابق، وغزوة غطفان هي غزوة ذي أمر.

[٧] في المخطوط: [ذي]، والمثبت هو الصواب.
انظر أحداث السنة الثالثة من الهجرة، وغزوة ذي أمر هي غزوة غَطفان، ووقع في المخطوط: [عطفان ثم ذي أمر]، وهو خطأ.
وذو أمَرَّ بفتح أوله وثانيه وتشديد الراء. "معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. (١/ ١٩٢).

(٨) انظر المصدر السابق، وغزوة بحران هي غزوة الفُرُع.

(٩) انظر المصدر السابق.

(١٠) انظر المصدر السابق.

ثُمَّ بَنُو[١] النَّضِيرِ، ثُمَّ ذَاتُ الرِّقَاعِ(٢)، ثُمَّ بَدْرٌ الآخِرَةُ(٣)، ثُمَّ دُوْمَةُ الْجَنْدَلِ(٤)، ثُمَّ الْخَنْدَقُ(٥)، ثُمَّ بَنُو[٦] لِحْيَانَ، ثُمَّ ذُو[٧] قَرَدٍ، ثُمَّ بَنُو[٨] الْمُصْطَلِقِ، ثُمَّ الْحُدَيْبِيَةُ(٩)، ثُمَّ خَيْبَرُ(١٠)، ثُمَّ عُمْرَةُ الْقَضَاءِ(١١)، ثُمَّ الْفَتْحُ(١٢)، ثُمَّ حُنَيْنٌ(١٣) ثُمَّ الطَّائِفُ(١٤)، ثُمَّ تَبُوكُ(١٥)، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْخِلَافُ فِي بَعْضِ هَذَا التَّرْتِيبِ، وَمَنْ لَمْ يَعْدُدِ الْحُدَيْبِيَةَ وَالْقَضَاءَ فِي الْغَزَوَاتِ فَهِيَ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ.

---

[١] في المخطوط: [بني]، والمثبت هو الصواب، وقد صوبه شيخنا الفيفي حفظه الله تعالى عندما عرضت ذلك عليه ليلة (٧/ ٧/ ١٤٣٣هـ).

انظر أحداث السنة الرابعة من الهجرة.

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) انظر أحداث السنة الخامسة من الهجرة.

(٤) ودومة تُضم دالها وتُفتح، يقال: دُومة. و: دَومة.

(٥) انظر المصدر السابق، وغزوة الخندق هي غزوة الأحزاب.

[٦] في المخطوط: [بني]، والمثبت هو الصواب.

انظر أحداث السنة السادسة، وغزوة بني لحيان هي غزوة عُسْفَان.

[٧] في المخطوط: [ذِي]، والمثبت هو الصواب.

انظر المصدر السابق.

[٨] في المخطوط: [بني]، والمثبت هو الصواب. انظر المصدر السابق.

(٩) انظر المصدر السابق.

(١٠) انظر أحداث سنة سبع من الهجرة.

(١١) انظر المصدر السابق.

(١٢) انظر أحداث سنة ثمان من الهجرة.

(١٣) انظر المصدر السابق.

(١٤) انظر المصدر السابق.

(١٥) انظر أحداث سنة تسع من الهجرة.

س٦٨/ فِي كَمْ قَاتَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ هَذِهِ الْغَزَوَاتِ؟

ج/ قَاتَلَ ﷺ فِي تِسْعِ غَزَوَاتٍ: بَدْرٍ الْكُبْرَىٰ، وَأُحُدٍ، وَالْخَنْدَقِ، وَقُرَيْظَةَ، وَبَنِي الْمُصْطَلِقِ، وَخَيْبَرَ، وَالْفَتْحِ، وَحُنَيْنٍ، وَالطَّائِفِ.

س٦٩/ كَمْ جُمْلَةَ السَّرَايَا وَالْبُعُوثِ؟

ج/ كَانَتْ بُعُوثُهُ ﷺ وَسَرَايَاهُ ثَمَانِيًا وَثَلَاثِيْنَ، بَيْنَ بَعْثٍ وَسَرِيَّةٍ، وَقِيْلَ: تِسْعًا وَثَلَاثِيْنَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ كُلٌّ مِنْهَا فِي تَارِيْخِهَا مِنَ السِّنِيْنَ إِلَّا سَرِيَّةُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ إِلَىٰ تُخُومَ بِالْبَلْقَاءِ فَفِي سَنَةِ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ.(١)

س٧٠/ كَمْ كَانَتْ كُتُبُهُ إِلَى الْمُلُوكِ؟

ج/ ثَبَتَ مِنْ ذَلِكَ كِتَابُهُ ﷺ إِلَىٰ هِرَقْلَ عَظِيْمِ الرُّومِ، وَكِتَابُهُ إِلَىٰ كِسْرَىٰ، وَكِتَابُهُ إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ غَيْرُ أَصْحَمَةَ(٢)، وَكِتَابُهُ إِلَىٰ الْمُقَوْقِسِ مَلِكِ مِصْرَ(٣)، وَكِتَابُهُ إِلَىٰ الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَىٰ، وَكِتَابُهُ إِلَىٰ مَلِكَي عُمَانَ، وَكِتَابُهُ إِلَىٰ صَاحِبِ الْيَمَامَةِ: هُوذَةَ بْنِ عَلِيٍّ، وَكِتَابُهُ إِلَىٰ الْحَارِثِ بْنِ شِمْرٍ الْغَسَّانِيِّ، وَكِتَابُهُ إِلَىٰ مُسَيْلِمَةَ، وَتَقَدَّمَ ذِكْرُهَا مَعَ الرُّسُلِ بِهَا إِلَّا كِتَابَهُ إِلَىٰ مُسَيْلِمَةَ(٤) فَمَعَ رُسُلِ مُسَيْلِمَةَ؛ لِأَنَّهُ جَوَابٌ عَنْ كِتَابِهِ.

---

(١) انظر "الطبقات" (٢/ ١٧٠-١٧٢)، و"صحيح البخاري" برقم (٤٤٦٨) و(٤٤٦٩) مع شرح الحافظ من "فتح الباري" (٨/ ١٩١).

(٢) انظر المرجحين لهذا القول في التعليق علىٰ الجواب عن السؤال رقم (٥٧).

(٣) ملك الإسكندرية.

(٤) انظر لذلك الجواب عن السؤال رقم (٥٧).

س٧١/ اذْكُرْ عُمَّالَهُ ﷺ عَلَى الصَّدَقَاتِ؟

ج/ بَعَثَ ﷺ الْمُهَاجِرَ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ عَلَىٰ صَنْعَاءَ، وَخَرَجَ عَلَيْهِ الْأَسْوَدُ الْعَنْسِيُّ وَهُوَ بِهَا، وَعَلَىٰ بَنِي أَسَدٍ أَيْضًا، وَمَالِكَ بْنَ نُوَيْرَةَ عَلَىٰ صَدَقَاتِ بَنِي حَنْظَلَةَ، وَفَرَّقَ صَدَقَاتِ بَنِي سَعْدٍ عَلَىٰ الزِّبْرِقَانِ بْنِ بَدْرٍ، وَقَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ كُلٌّ عَلَىٰ نَاحِيَةٍ، وَالْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ عَلَىٰ الْبَحْرَيْنِ، وَعَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ إِلَىٰ أَهْلِ نَجْرَانَ؛ لِيَجْمَعَ صَدَقَاتِهِم وَيَقْدَمَ عَلَيْهِ بِجِزْيَتِهِم.(١)

س٧٢/ مَا آخِرُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ مِنَ السُّوَرِ التَّامَّةِ؟

ج/ قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو: آخِرُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ: الْمَائِدَةُ، وَالْفَتْحُ(٢) يَعْنِي: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾، وَمِثْلُهُ قَالَتْ عَائِشَةُ فِي الْمَائِدَةِ(٣)، وَمِثْلُهُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾(٤)، وَقَالَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ: آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ بَرَاءَةٌ.(٥)

---

(١) "السيرة" لابن إسحاق (ص٦٦٦).

(٢) رواه الترمذي برقم (٣٠٦٣)، وضعفه الألباني في "ضعيف سنن الترمذي" برقم (٥٨٩).

(٣) رواه الحاكم (٢/ ٣١١) بسند حسن.

(٤) رواه مسلم برقم (٣٠٢٤).

(٥) رواه البخاري برقم (٤٦٥٤)، و مسلم برقم (١٦١٨).

س٧٣/ مَا آخِرُ مَا نَزَلَ مِنَ الآيَاتِ؟

ج/ قَالَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ: آيَةُ الْكَلَالَةِ.[١] وَقَالَ عُمَرُ: آيَةُ الرِّبَا. (أ) وَقَالَ ابْنُ شِهَابٍ: آيَةُ الرِّبَا وَآيَةُ الدَّيْنِ.[٢] وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: آخِرُ شَيْءٍ نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾[البقرة:٢٨١]. (ب) ....

(أ) لم يثبت عن عمر؛ لأنه من رواية الشعبي عنه، والشعبي لم يلقه كما في "جامع التحصيل" (ص٢٠٤)، وانظر "فتح الباري" (٨/ ٢٥٨).

ولكن ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا.[٣]

(ب) وهذا القول ثابت عن ابن عباس، رواه النسائي برقم (٧٧) من "تفسيره"، وسنده صحيح، وصححه شيخنا الوادعي رحمه الله في تحقيقه لـ"تفسير ابن كثير" (١/ ٦١٤).

وقد بوب الإمام البخاري رحمه الله في "صحيحه": باب ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾، ثم ذكر قول ابن عباس السابق: آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا.

قال الحافظ رحمه الله في "فتح الباري" (٨/ ٢٥٩): كذا ترجم المصنف...، ولعله أراد أن يجمع بين قَوْلَي ابن عباس؛ فإنه جاء عنه من هذا الوجه وجاء عنه من وجه

(١) رواه البخاري برقم (٤٦٥٤)، ومسلم برقم (١٦١٨).

[٢] كذا في المخطوط: [عن ابن شهاب]، ولعله مقحم؛ لأن المراد هنا هو كلام من كانوا متواجدين أثناء نزول القرآن، ولعل في الكلام سقطًا، أو تصحيفًا، والله أعلم.

(٣) رواه البخاري برقم (٤٥٤٤).

آخر: آخر آية نزلت علىٰ النبي ﷺ ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة:٢٨١]، وطريق الجمع بين هذين القولين: أنَّ هذه الآية هي ختام الآيات المنزلة في الربا؛ إذ هي معطوفة عليهن.

وأما ما سيأتي في آخر سورة النساء من حديث البراء: آخر سورة نزلت براءة، وآخر آية نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾[النساء:١٧٦] فيجمع بينه وبين قول ابن عباس بأنَّ الآيتين نزلتا جميعًا فيصدق أنَّ كلًّا منهما آخر بالنسبة لما عداهما، ويحتمل أن تكون الآخرية في آية النساء مقيدة بما يتعلق بالمواريث مثلًا بخلاف آية البقرة، ويحتمل عكسه، والأول أرجح؛ لما في آية البقرة من الإشارة إلىٰ معنىٰ الوفاة المستلزمة لخاتمة النزول...اهـ

وَمِثْلُهُ قَالَ أَبُو سَعِيْدٍ الْخُدْرِيِّ (أ)، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ بَيْنَ نُزُولِهَا وَبَيْنَ مَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ إِحْدَىٰ وَثَلَاثُونَ[١] يَوْمًا، وَقَالَ سَعِيْدُ بْنُ جُبَيْرٍ مِثْلَهُ فِي آخِرِيَّتِهَا، قَالَ: وَعَاشَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ نُزُولِهَا تِسْعًا[٢]، ثُمَّ مَاتَ لَيْلَةَ الْإِثْنَيْنِ لِلَيْلَتَيْنِ خَلتَا مِنْ رَبِيْعٍ الْأَوَّلِ.(٣)

(أ) لم أجده من رواية أبي سعيد الخدري عن ابن عباس، وإنما من رواية الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس كما في "تفسير ابن كثير" (١/ ٦١٤) بتحقيق شيخنا الوادعي رحمه الله.

وهي رواية ضعيفة؛ فأبو صالح هو باذان مولىٰ أم هانئ ضعيف، وبرواية الكلبي عنه تشتد ضعفًا؛ لأنه متهم، نعم وجدت كما في "تفسير ابن كثير" (١/ ٦١٤) قال: ورواه عطية عن أبي سعيد، قال: آخر آية نزلت: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٍ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾[البقرة:٢٨١]، فلعل المصنف ظنَّ أبا سعيد هذا هو الخدري؛ فإن كان كذلك فلا نستطيع أن نجزم به؛ لأنه -أعني عطية وهو العوفي- كان يروي عن الكلبي، ويكنيه بأبي سعيد؛ ليوهم أنه الخدري وما هو بالخدري؛ لذا قال الإمام أحمد: بلغني أن عطية كان يأتي الكلبي فيأخذ عنه التفسير وكان يكنىٰ بأبي سعيد، فيقول: قال أبو سعيد.

قال الذهبي رحمه الله: يعني يوهم أنه الخدري. "ميزان الاعتدال" (٣/ ٨٠).

---

[١] في المخطوط: [ثمانون]، والتصويب من "تفسير ابن كثير".

[٢] في المخطوط: [تسع]، والصواب ما أثبت.

(٣) رواه ابن أبي حاتم "تفسيره" (٢/ ٥٥٤) برقم (٢٩٤٤)، وفي سنده: عبد الله بن لهيعة، وهو ضعيف.

وَلَعلَّ هَذِهِ الآَيَاتِ مِنِ ابْتِدَاءِ[١] آيَةِ الرِّبَا إِلَىٰ آخِرِ آيَةِ الدَّيْنِ نَزَلَتْ دُفْعَةً وَاحِدَةً، وَاللهُ أَعْلَمُ.

س٧٤/ مَتَى تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ؟

ج/ تُوُفِّيَ فِي شَهْرِ رَبِيْعٍ الْأَوَّلِ[٢] مِنَ السَّنَةِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً.(٣)

س٧٥/ مَتَى اشْتَدَّ بِهِ وَجَعُ مَوْتِهِ ﷺ؟

ج/ اِشْتَدَّ بِهِ يَوْمَ الْخَمِيْسِ (أ)، وَتُوُفِّيَ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ(٤)، وَجُهِّزَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ.(٥)

س٧٦/ مَنِ اسْتَخْلَفَ عَلَى الصَّلَاةِ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ؟

ج/ اِسْتَخْلَفَ عَلَىٰ الصَّلَاةِ بِالنَّاسِ صَاحِبَهُ فِي الْغَارِ، وَرَفِيْقَهُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، وَأَوَّلَ مُصَدِّقٍ بِرِسَالَتِهِ، وَمُنْقَادٍ لِمَا جَاءَ بِهِ، وَالْخَلِيْفَةَ بَعْدَهُ فِي أُمَّتِهِ: أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيْقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.(٦)

(أ) قال ابن عباس رضي الله عنهما: يوم الخميس ما يوم الخميس، اشتد برسول الله ﷺ وجعه.(٧)

---

[١] في المخطوط: [الابتداء]، وما أثبت أقوم للسياق.

[٢] ما بين المعقوفتين لا يوجد في المخطوط، وتم استدراكه من كتب السِّير.

(٣) انظر "صحيح البخاري" برقم (٤٤٦٦).

(٤) انظر "صحيح البخاري" برقم (٦٨٠)، و"صحيح مسلم" برقم (٤١٩).

(٥) انظر "سيرة ابن هشام" (٤/ ٤١٦)، و"أحكام الجنائز" (ص١٣٧-١٣٨) للألباني رحمه الله.

(٦) انظر "صحيح البخاري" برقم (٦٨٧)، و"صحيح مسلم" برقم (٤١٨).

(٧) رواه البخاري برقم (٤٤٣١).

س٧٧/ عَنْ كَمْ تُوُفِّيَ مِنْ زَوْجَاتِهِ ﷺ؟

ج/ تُوُفِّيَ ﷺ عَنْ تِسْعِ نِسْوَةٍ، وَهُنَّ: عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، وَحَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ، وَأُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ، وَأُمُّ سَلَمَةَ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ، وَسَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ، وَزَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ، وَمَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ، وَجُوَيْرِيَّةُ بِنْتُ الْحَارِثِ، وَصَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيّ، وَمَاتَ قَبْلَهُ مِنْ زَوْجَاتِهِ: خَدِيجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَبْلَ الْهِجْرَةِ، وَزَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمَةَ قَبْلَ وَفَاتِهِ، وَكَانَ يُقَالُ لَهَا: أُمُّ الْمَسَاكِيْنِ.(١)

س٧٨/ كَمْ لَهُ مِنْ ولد؟

ج/ لَهُ ﷺ مِنَ الْوَلَدِ ثَلَاثَةٌ مِنَ الذُّكُورِ: الْقَاسِمُ، وَيُقَالُ: الطَّيِّبُ، وَالطَّاهِرُ(ت)، وَبِهِ كَانَ يُكْنَىٰ، وَعَبْدُ اللهِ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَأَرْبَعٌ مِنَ النِّسَاءِ: فَاطِمَةُ، وَزَيْنَبُ، وَرُقَيَّةُ، وَأُمُّ كُلْثُومٍ، وَكُلُّ وَلَدِهِ ﷺ مِنْ خَدِيْجَةَ إِلَّا إِبْرَاهِيمَ(٢)، وَكُلُّهُم مَاتَ قَبْلَهُ إِلَّا فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَبَعْدَهُ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ.(٣)

(ت) لم أجد من المصادر ما تذكر لنا أن (الطيب، والطاهر) هو القاسم، وإنما هو عبد الله، إلا أن بعضهم جعل (الطاهر) غير (الطيب)، وبعضهم لم يفرق، قال ابن سيد الناس: وهذا هو الصحيح. يعني عدم التفرقة.(٤)

---

(١) انظر "الطبقات" (١/ ١٣١)، و"أنساب الأشراف" (١/ ٣٩٦)، و"عيون الأثر" (٢/ ٣٨١).

(٢) فإنه من مارية القبطية التي أهداها إليه المقوقس. "الروض الأنف" (٢/ ١٥٩).

(٣) انظر "الطبقات" (١/ ١٣٣)، و"عيون الأثر" (٢/ ٣٦٤)، و"الفصول" لابن كثير (ص٢٦٦-٢٢٨).

(٤) وانظر "الطبقات" (١/ ١٣٣)، و"نسب قريش" (ص٢١)، و"عيون الأثر" (٢/ ٣٦٤)، و"السيرة النبوية" لابن كثير (١/ ٢٦٤).

س٧٩/ هَلْ وَرَّثَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا؟

ج/ قَالَ ﷺ: «نَحْنُ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُوْرَثُ، مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ» [أ]، وَإِنَّمَا وَرَّثَ ﷺ الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ.

[أ] رواه البخاري برقم (٣٠٩٢)، ومسلم برقم (١٧٥٧) بلفظ: «**لا نورث؛ ما تركناه صدقة**»، أما اللفظ الذي ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فإنه عند النسائي في "السنن الكبرىٰ" برقم (٦٢٧٥)، لكن بلفظ: «**إِنَّا معاشر الأنبياء...**» أما لفظ: «نحن» فلا يوجد؛ لذا قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في "فتح الباري" (١٢/ ٨): وأما ما اشتهر في كتب أهل الأصول وغيرهم بلفظ: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورِّث**» فقد أنكره جماعةٌ من الأئمة، وهو كذلك بالنسبة لخصوص لفظ: «نحن»، وفي "موافقة الخُبْر الخَبَرَ" (١/ ٤٨٢) قال: وحاصل هذا أن الخبر لم يوجد بلفظ «نحن» وَوُجِدَ بلفظ: «**إنَّا**»، ومفادهما واحد، فلعل من ذكره ذكره بالمعنىٰ، والله أعلم.اهـ

وقال تلميذه السخاوي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الأجوبة المرضية" (٢/ ٧٢٨) برقم (١٨٧): ...، فلفظة: «**إنا معاشر الأنبياء**» كذلك هو في "السنن" للنسائي منفردًا به عن سائر أصحاب الكتب الستة، وأما ما وقع في السؤال من لفظ: «نحن» فقد أنكَرَ وروده في كتب الحديث غيرُ واحدٍ من الأئمة، ولم نره كذلك إلا في كتب الأصول ونحوها، وكأنهم أوردوه بالمعنىٰ.اهـ[1]

---

(١) قال أبو همام -ختم الله له بالحسنىٰ-: كان الفراغ من هذا التعليق في ظهر يوم الأحد الموافق (١/ من شهر ربيع الأوَّل/ لعام ١٤٢٩هـ) بمكة المكرمة زادها الله تشريفًا، بمحلة الجميزة بمنزلي بجبل (أبو سلاسل).

=

والــحمـــد لله رب الـعـــالـــمين

وصـــلىٰ الله عَـــلَىٰ سيِّـدنا محمـــدٍ وعـــلىٰ آلـــه وصحبــه

والتابعين لهم بإحسان إِلَىٰ يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا آمين

تـم بقلم ناسخه من مؤلفه عــلي بـن قـاسم المَنَفِي[١]

فِي نـصف شـهـر شـوال لـعام (١٣٦٦هـ)

غفر الله لَهُ[٢]، وللمؤلف، ولوالديهما،

ولـجميـع الـمسلميـن.

= وصـــلىٰ الله عـــلىٰ خيـر خلقـــه محمد بن عبد الله النبي الأميـن،

وعـــلىٰ آله وصحابته أجمعين، وعلىٰ من سار علىٰ هديـــه

واقتفـــىٰ أثـــره إلىٰ يـــوم الـــدين

والحمـــد لله رب العالـــمين

[١] كذا في المخطوط: [الْمَنَفِي]، وكنت أظنه تصحف من (الفيفي)، ثم عرفت أنه صواب كما في آخر كتاب "السمط الحاوي" لشيخنا؛ نسبةً إلىٰ ذراع مَنَفَة.

[٢] في المخطوط: [لنا به]، فأثبت: (له).

قال الشيخ حافظ رَحِمَهُ اللَّهُ عن أحداث السنة الحادية عشرة من الهجرة:

قَدِ اسْتَهَلَّتْ فَادْرِ بَعْدَمَا اسْتَقَرْ ... بِطَيْبَةٍ رِحَالُ سَيِّدِ البَشَرْ
فِي صَدْرِهَا بَعْثُ أُسَامَةٍ إِلَىٰ ... أَرْضِ فَلَسْطِينَ وَلَكِنْ نَزَلَا
أَثْنَاءَ ذَاكَ بِالرَّسُولِ مَا نَزَلْ ... فَكَانَ عِنْدَ ذَلِكَ الخَطْبُ الجَلَلْ
اثْنَا لَيَالٍ قَدْ بَقِينَ مِنْ صَفَرْ ... وَقِيلَ: فِي صَدْرِ رَبِيعٍ الأَغَرْ
وَزَارَ بِاللَّيْلِ بَقِيعَ الغَرْقَدِ ... مُسْتَغْفِرًا لَهُمْ وَفِي الصُّبْحِ ابْتُدِي
بِهِ وَمَعْ ذَا كَانَ فِي زَوْجَاتِهِ ... يَدُورُ بِالقَسْمِ عَلَىٰ عَادَاتِهِ
وَعِنْدَمَا اشْتَدَّ بِهِ اسْتَأْذَنَهُنْ ... فِي أَنَّهُ يَكُونُ عِنْدَ خَيْرِهِنْ
عَائِشَةَ هِيَ ابْنَةُ الصِّدِّيْقِ ... وَقَدْ أَذِنَّ فَادْرِ بِالتَّحْقِيقِ
وَكَانَ فِي أَيَّامِ شَكْوَاهُ يَؤُمْ ... أَصْحَابَهُ بِأَمْرِهِ صِدِّيْقُهُمْ
حَتَّىٰ إِذَا مَا كَانَ خِفَّةً وَجَدْ ... فِي الظُّهْرِ عَنْ يَسَارِ صِدِّيْقٍ قَعَدْ
ثُمَّ بِهِمْ صَلَّىٰ إِمَامًا فِي الأَصَحْ ... عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ مُبَلِّغًا وَضَحْ
وَذَاكَ فِي يَوْمِ الخَمِيسِ ثُمَّ لَمْ ... يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ لِلَّذِي بِهِ أَلَمْ
حَتَّىٰ إِذَا كَانَ صَلَاةُ الصُّبْحِ مِنْ ... نَهَارِ الاثْنَيْنِ بِنَصٍّ لَمْ يَهُنْ
بَدَا لَهُمْ بِوَجْهِهِ وَقَدْ أَمَرْ ... لَهُمْ بِإِتْمَامِ الصَّلَاةِ وَاسْتَتَرْ
وَكَانَ فِي تِلْكَ الضُّحَىٰ الوَفَاةُ[١] ... وَمِنْ وَصِيَّةِ النَّبِيْ الصَّلَاةُ
وَمُلْكُ الايْمَانِ وَأَنْ لَا يُتَّخَذْ ... قَبْرُ الرَّسُولِ مَسْجِدًا كَمَا اتَّخَذْ

[١] في المخطوط: [الوصلاة]، والتصويب من نسخة شيخنا الفيفي حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

مَنْ قَبْلَنَا اليَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ … قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ جِهَارَا

وَلَا يُقَرُّ فِي جَزِيرَةِ العَرَبْ … دِيْنٌ سِوَىٰ الإِسْلَامِ فَاحْفَظْهُ تُثَبْ

وَارْتَابَ بَعْضُ الصَّحْبِ فِي وَفَاتِهِ … وَظَلَّ طَامِعًا بَقَا حَيَاتِهِ

حَتَّىٰ أَتَىٰ الصِّدِّيقُ بِالثَّبَاتِ … وَصَادِقِ العَزْمِ وَالاسْتِثْبَاتِ

فَقَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا لَهُمُو … وَكُلَّ مُشْكِلٍ أَزَاحَ عَنْهُمُو

وَبَايَعَ النَّاسَ عَلَىٰ الْكِتَابِ … وَسُنَّةِ النَّبِيْ بِلَا ارْتِيَابِ

وَشَرَعُوا بَعْدُ بِتَجْهِيزِ النَّبِيْ … وَأُسْنِدَ الأَمْرُ إِلَىٰ الأَقَارِبِ

وَهُم عَلِي مَعْ عَمِّهِ العَبَّاسِ … وَالْفَضْلُ مَعْ قُثَمْ بِلَا الْتِبَاسِ

كَذَا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدِ الأَمِيرْ … وَصَالِحٌ مَوْلَىٰ نَبِيِّنَا النَّذِيرْ

وَمَعْهُمُ أَوْسٌ مِنَ الأَنْصَارِ … وَكَانَ بَدْرِيًّا بِلَا إِنْكَارِ

وَلَمْ يُجَرِّدُوهُ بَلْ فِي ثَوْبِهِ … قَدْ غَسَّلُوهُ يُدْلِكُونَهُ بِهِ

بِالمَاءِ وَالسِّدْرِ وَجَفَّفُوهُ … وَبَعْدُ فِي الأَكْفَانِ أَدْرَجُوهُ

كُفِّنَ فِي ثَلَاثَةٍ أَثْوَابِ … مِنْ كُرْسُفٍ بِيْضٍ بِلَا ارْتِيَابِ

بِلَا قَمِيصٍ لَا وَلَا عِمَامَهْ … عَلَىٰ الأَصَحِّ فَالْزَمْ ائْتِمَامَهْ

وَبَعْدَهَا صَلَّوا بِلَا إِيْهَامِ … عَلَيْهِ أَفْرَادًا بِلَا إِمَامِ

وَفِي مَكَانِ مَوْتِهِ قَدْ دُفِنَا … لَيْلًا كَذَا اللَّحْدُ لَهُ تَعَيَّنَا

وَفَرَشُوا قَطِيْفَةً حَمْرَاءَ لَهْ … وَنَصَبُوا اللَّبِنَ بِلَا مُجَادَلَهْ

وَغَاسِلُوهُ قَبْرَهُ قَدْ نَزَلُوا ... إِلَّا[١] قُثَمٌ أُسَامَةٌ لَمْ يَنْزِلُوا

وَكَانَ دَفْنُهُ بِلَا مِرَاءِ ... فِيمَا رُوِي لَيْلَةَ الارْبِعَاءِ

وَعُمْرُهُ ثَلاثُ مَعْ سِتِّينَا ... إِذْ عَاشَ قَبْلَ الْوَحْيِ أَرْبَعِينَا

ثُمَّ ثَلاثٌ بَعْدَهَا يُوحَىٰ إِلَيْهْ ... مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْرَضَ تَبْلِيغٌ عَلَيهْ

وَقَامَ بِالتَّبْلِيغِ عِشْرِينَ سَنَهْ ... حَتَّىٰ أَتَمَّ دِينَهُ وَأَحْسَنَهْ

وَلَمْ يُوَرِّثْ دِرْهَمًا كَلَّا وَلَا ... دِينَارًا احْفَظْ وَافْهَمَنْ مَا نُقِلَا

بَلْ وَرَّثَ الوَحْيَيْنِ نُورًا وَضِيَا ... كَذَاكَ عِلْمُ الدِّيْنِ إِرْثُ الأَنْبِيَا

صَلَّىٰ عَلَيْهِمْ رَبُّنَا وَسَلَّمَا ... وَالآلِ وَالصَّحْبِ وَتَابِعٍ سَمَا

وَتَمَّ بِالإِجْمَالِ نَظْمُ السِّيْرَهْ ... عَلَىٰ اخْتِصَارٍ قَاصِدًا تَيسِيرَهْ

وَبَعْدَهُ يَتْلُوا بِإِذْنِ اللهِ ... نَظْمُ شَمَائِلِ النَّبِيْ الأَوَّاهِ

وَاللهَ أَرْجُوا العَوْنَ وَالتَّوْفِيقَا ... وَدَفْعَهُ المَانِعَ وَالتَّعْوِيقَا

---

[١] في المخطوط: [لا] بدل: (إلا).

فَهْرِسُ مَوْضُوعَاتِ الْمُقَدِّمَةِ

فِهْرِس أُسْئِلَةِ كِتَابِ أَمَالِي فِي السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ

فَهْرِسُ مَوْضُوعَاتِ كِتَابِ أَمَالِي فِي السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ

